

# الإمكانيات

حَقِيقَتُهُ وَأَثَرُهُ فِي النَّفْسِ وَالْمَجْتَمَعِ  
أَصُولُهُ وَفُرُوعُهُ  
مُقْتَضِيَاتُهُ وَنَوَاقِضُهُ

تأليف

الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي

أستاذ الفلسفة الإسلامية وقارئة الأديان المساعد  
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مكتبة الزهراء  
بحرم جامعة القاهرة



بيروت





# الأمثلة

حَقِيقَتُهُ وَأَثَرُهُ فِي النَّفْسِ وَالْمَجْتَمَعِ  
أَصُولُهُ وَفُرُوعُهُ  
مُقْتَضِيَاتُهُ وَنَوَاقِضُهُ

تَأَلَّفَ

الدكتور محمد عبد الله الشرفاوي

أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المساعد  
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مكتبة الزهراء  
بحرم جامعة القاهرة

دار الحبيل  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المؤلف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه  
ومن والاه ،

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ... ثم أما بعد :

فلا غرو أن من أجل ما ينتفع المرء بتعلمه وتعليمه ، ودرسه  
وتدريسه ، أصول ( العقيدة الالهية الايمانية ) بما لها من مزايا وفضائل ،  
وما تحققه من آثار عظام في النفوس المؤمنة والمجتمعات المتدينة ؛ في  
الأولى والآخرة .

وعلى أهمية هذه العقيدة ، ورفعة شأنها ، وسمو مكانتها - فهي أصل  
الدين الاسلامي ومحوره ومرتكزه ومنطلقه وغايته ، فان التأليف فيها -  
في معظم الأحيان - لم يرتفع الى مقامها ، ولم يسم سموها ، ولم يصف  
صفاءها ، ولم يسر على استقامة نهجها ، واستواء صراطها ، بل تعرجت  
به الطرق ، وتوزعت به السبل ، فلم يرق رقيها ، فكان مما أثمره من  
مؤلفات في العقيدة : ما ( شوش ) على العقيدة ذاتها ، وما قصر في  
تصويرها ، وما ضلل السائرين اليها ، ومنها ما بذر الخلاف وسقى شجرته  
حتى آتت أكلها المر ، فاضعف الأمة وأنهكها ، وفث عضدها ، وكسر  
صلابتها ، ومكن من رقبتها ؛ وما كان ذلك الا بسبب اختلال المنهج الذي  
نهجت عليه أكثر هذه المؤلفات .

فالعقيدة : عقيدة القرآن والسنة ، لا سبيل الى عرضها ، أو سوقها  
وتقريرها ، أو البرهنة عليها بمعزل عن الكتاب والسنة ؛ نصا وروحا ،  
ومنطلقا وهدفا ، وابتداء وانتهاء .

وتأسيساً على ذلك ، فأننا لم نأخذ مادة هذا الكتاب من تراث  
( علم الكلام ) أو من كتب ( الردود ) على علماء الكلام والعراك معهم ،  
بل حرصت - كل الحرص - واجتهدت - غاية الاجتهاد - وبذلت - علم  
الله - قصارى الجهد في عرض ( العقيدة الاسلامية ) متكاملة ، وتقريرها  
واضحة ، وتصويرها جليلة بهية ، والاستدلال عليها ، والاقناع بها ،  
والدعوة اليها ، كما جاءت في مصدرها الوحيد - الذي لا مصدر لها  
سواه - ؛ ألا وهو الوحي : القرآن والسنة المطهرة .

لذلك تجدني قد أكثرت من ايراد الشواهد من الايات الكريمات

( م ١ - مالايمان )



والأحاديث الصحاح ، حتى يتحقق ما رجوناه واستهدفناه . كما وقد ابتعدت عن تقديم العقيدة أو تقريرها في جو العراك والخصومة والردود والجدل ؛ ومن ثم لم أشر الى أى من تلك المراجع التى نثير العراك ، وتبعث النزاع ، وتصور ما كان من خصام وثقاق - أكثر من تصوير العقيدة ذاتها - الا على مضض وكره واضطرار ، بصرف النظر عن مكانة من كتبوها ، وعما كان لهم من صدارة وإمامة .

ويعجبني - فى ذلك - ما كتبه الأستاذ الشيخ ( محمد الغزالى ) ، فقد كان مما قال ( ١ ) :

من الغفلة ان نحسب ان تكوين العقيدة يتم فى مجلس مناظرة ، تتصيد فيها النصوص ، وينشد فيها الغلب ، ويلعب فيها بالالفاظ ، ويستعمل منطق ( أرسطو ) فى المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة ! . . . . . وفى ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة ! ، ولو أمكن الوصول إليها . فانه يصعب الاقتناع بها :

وعفا الله عن أجدادنا ، فقد أولعوا بذلك ، وأعانهم عليه ان الدولة الاسلامية كانت سيدة العالم . ( وكأنه ) لا بأس على رجالها ان يشتغلوا بالترف العقلى ، وأن يحولوا فراغهم من الجهاد فى سبيل الله الى جهاد فى هذا الميدان الخطر ، فانشغلوا بانفسهم عن أعدائهم ، ثم ذهب الرجال وبقي الجدل . . . . . بقى الى اليوم يهدد وحدة الأمة ، ويهز كيانها .

ومع أن الدولة الاسلامية جثت على قدميها أمام أعدائها ، واقترب الخطر من صميم العقيدة ذاتها ، فان الريح النتنة لهذا الجدل ما تزال تهب من بعض الجماعات التى تحترف - للأسف الشديد - خدمة الاسلام . وقد استقرت رواسب هذا الخلاف الطائش فى أذهان العامة ، ثم سيطرت على سلوكهم بعد ما أخذوا أسوأ ما فيه ، ورفضوا أفضل ما فيه !!

فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة ؟! ان أعراض المرض لا تزال تعزو الأمة المنهوكة ، وما تزال بحاجة الى عناية الراشدين المخلصين ، . . . ولا أحسب أمة تحتاج الى وحدة الأفكار والمشاعر ، مثل هذه الأمة الاسلامية ، وانها لتملك أصل ذلك ومصدره . ألا انه عقيدة الكتاب والسنة .

وكما حرصت على تصوير العقيدة من القرآن والسنة ، قصدت الى إبراز الأثر الهائل الذى تحدثه هذه العقيدة فى نفس المؤمن بها : من

---

( ١ ) عقيدة المسلم ، المقدمة ، طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة .



إيجابية ، وفعالية ، وتوازن ، واتساق ، واطمئنان ، وأمن ، ورضى ،  
وأمل ، واستبشار ، وتفاؤل ، وقدرة على الحب الصادق ، وما تغرسه من  
شاعر عميقة بالعزة والكرامة ، والحرية ... الخ . وما تحدثه في المجتمع  
من مثالية وإخلاقية ، وتراحيم وتألف ، وعدل وتأخي ... الخ . وباختصار  
فإن الإيمان بالله تعالى هو : الشفاء الناجع - الذي لا شفاء غيره - لكل  
أمراض النفس ، وما أكثرها ! ، وهو الحل لكل مشكلات المجتمع ، أي مجتمع .  
وركزت على تجلية الصلة الوثقى ، والارتباط الحميم ، بين الإيمان  
والعمل ؛ فلا إيمان كاملاً بلا عمل صالح ، ولا عمل صحيحاً مقبولاً بغير  
اعتقاد ويقين .

وقد أسلمنا هذا إلى مناقشة مسألة تكفير المؤمنين ببعض آثامهم ،  
وبينا وجه الحق فيها : معتمدين على النصوص الواضحة ، وعلى فهم  
علمائنا الثقات لهذه النصوص ، وأوردنا نصين مهمين في ذلك ، للامام  
الحلي والامام أبي عبيد القاسم بن سلام رحمهما الله .

ثم عرضت أصول الإيمان الستة أصلاً أصلاً ، مركزاً على البرهنة على  
كل ذلك ، بما استدل به القرآن الكريم ، من براهين شرعية وعقلية ، ومن  
خلال النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس ، وقراءة ما أبدعته القدرة  
الالهية وأحكمته وأتقنته .

ولم يفتنا الإشارة إلى عقائد بعض الأديان الوضعية ، والكتابية التي  
انحرفت وتوجهت وجهة وثنية خالصة ، مع التعريف بأصولها الوثنية  
ومصادرها الحقيقية ، وبعدها عن الوحي والحق ... وليس بعد الحق إلا الضلال .  
وقد أوجزت القول في بعض النقاط ، وفصلته في نقاط آخر ، وكنت -  
حين أوجز - أحرص على حشد المراجع حشداً ، لمن أراد التوسع والاستزادة .  
وان كان لي أن أصف عملي هذا ، قلت :

انه كتاب يقرر أصول الإيمان وثمرته ، بمنهج القرآن والسنة ، ويستدل  
عليها بدلائل الوحي ، ويستثمر حقائق العلم المنبثقة عن النظر في الآفاق  
والأنفس بغية تثبيت العقائد في النفوس ، وترسيخها ، والتمكين لها ،  
والدعوة إليها .

هذا ، واني لأرجو الله أن أكون قد وفقت إلى ما سعيت إليه ، وأسأله  
سبحانه - أن يرزقني الاخلاص في القول والعمل ، والحمد لله الذي بنعمته  
تتم الصالحات .

محمد الشرقاوي

١٨/٤/١٤٠٩ هـ

المعادي في

٢٨/١١/١٩٨٨ م



# القسم الأول

بحوث تمهيدية تتعلق بالايمان والاعتقاد ، وتشمل:

- ١ - نظرة عامة الى خريطة العقائد في العالم المعاصر .
- ٢ - كلمة عن نشأة الدين ، وهل هو ظاهرة اجتماعية ، وهل تطور من الوثنية الى التوحيد ؟!
- ٣ - ضرورة العقيدة للفرد والمجتمع .
- ٤ - مصدر العقيدة وبيان قصور الميتافيزيقا في مجال الألوهية .
- ٥ - كتب العقيدة في التراث الاسلامي : نظرة تقويمية عامة .
- ٦ - من خصائص العقيدة الاسلامية وميزاتها .
- ٧ - حقيقة الايمان والاعتقاد .
- ٨ - ملحق حول : عدم تكفير المؤمن بالمعصية أو الذنب .



## نظرة عامة الى خريطة العقائد الدينية في العالم المعاصر

هناك ملاحظة جديرة بالتأمل والاعتبار تبرز بشدة أمام الناظر لحال الانسان في نهاية هذا القرن العشرين ، تتمثل في ذلك الوضع الشاذ بين ما حققه من تقدم علمى وفنى وصناعى هائل مذهل ، وما أصابه من فقر روحى وخواء ايمانى يعانى بسببه أشد معاناة وأنكاسا .

وبنظرة سريعة الى خريطة العقائد في العالم المعاصر نرى أن الكتلة الشيوعية - فيما تعلن - قد تركت الايمان ظهرياً وولته دبرها ( ١ ) ، وفرغت من قضيته ، وقالت ان ( الدين خرافة ) ، وأنه ( أفيون الشعوب ) ، و ( لا اله والحياة مادة ) : ومن يقرأ كتابات ماركس ، وانجلز ، ولينين وستالين ، وماو ، وكيم سونج وغيرهم يدرك الأمر - على جليته ، ومن يتابع الممارسات الرسمية للدول الشيوعية مع الأقليات المؤمنة ، يتحقق من أن هذه الكتلة - التى تضم تحت جناحها أكثر من ربع سكان المعمورة - قد اتخذت الالحاد شرعة والكفر بالله منهجاً .

وإذا يممنا شطر آسيا الجنوبية الشرقية ( وهى من أعلى المناطق

( ١ ) انظر كتاب لينين الجامع لفكر ماركس وانجلز ولينين بعنوان : ( المختارات ) أصدرته دار التقدم فى موسكو ( فى خمسة مجلدات ) بالعربية ١٩٧١ .

وانظر : سدنى هوك : ( التراث الغامض : ماركس والماركسيون ) ترجمة سيد كامل زهران ، نشر الهيئة المصرية العامة ، ١٩٨٦ ، وانظر : نيقولاى لوسكى : ( تاريخ الفلسفة الروسية ) ترجمة فؤاد كامل ، نشر المعارف بمصر ، وانظر : بردياييف : ( الاتجاه العام للفلسفة السوفيتية الالحادية المحاربة ) باريس ١٩٣٣ م وانظر : هانز كلسن : ( النظرية البلشفية ) ترجمة د . حسين نصار ، الحلبي ١٩٥٤ م . وانظر : جورج بوليتزر : ( أصول الفلسفة الماركسية ) ، تعريب شعبان بركات . طبع بيروت . وانظر كتابات كل من : د . محمد أبو ريان ( موقف الاسلام من الماركسية ) و د . سعيد رمضان ( نقض أوهام المادية الجدلية ) وطارق حجى : ( أفكار ماركسية فى الميزان ) و ( الشيوعية والأديان ) والاستاذ محمد قطب : ( اتجاهات فكرية معاصرة ) .

واقراً الفصل الذى كتبناه بعنوان : ( الفلسفة الماركسية ) فى كتابنا ( مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ) ص ١٧٧ - ٢١٦ .



اكتظاظاً بالسكان - مثل الهند واليابان وكوريا والفلبين وتايلاند الخ ( وجدنا معظم سكانها يدينون بالوثنيات : فيعبدون الأبقار أو الأحجار أو الأشجار أو الأنهار أو غير ذلك . وهؤلاء يشكلون نسبة كبيرة من سكان المعمورة ، ولا يعبدون الله الخالق البارىء . ويحمل عليهم أصحاب العقائد الوضعية الوثنية في شتى بقاع العالم شرقه وغربه . ولو اتخذنا الأرقام مقياساً لقلنا أكثر من نصف سكان العالم اليوم ملحدون أو وثنيون !!

وإذا انتقلنا الى أصحاب الديانات المماوية أو الكتابية رأينا أولاً - في الديانة المسيحية - أن الكتاب الذى أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام قد بدل وحرف وغير وزيف ، ووضع الكتاب الهواة والمحترفون عوضاً عنه أكثر من مائتين من الأناجيل المزيفة ، واختارت الكنيسة من بينها هذه المجموعة المعروفة باسم ( العهد الجديد ) New Testament واستبدلوا بعقيدة التوحيد التى دعاهم اليها عيسى عليه السلام ، تلك المنظومة من العقائد الوثنية للأمم السابقة عليهم . وقد فرغ العلماء النصارى المتخصصون من الاستدلال العلمى على ذلك ، وانتهوا - بالحجج القاطعة والأدلة الداحضة - الى أن عقائد التثليث ، والتجسد أو الاتحاد ، والصلب ، والفداء ... الخ عقائد وثنية كانت تدين بها الأمم السابقة ؛ مثل قدماء المصريين واليونان والرومان والهنود وغيرهم ( ١ ) ، وعدد النصارى يشكل نسبة عظيمة من سكان المعمورة .

( ١ ) للتحقق والتوسع انظر : كتابنا : ( فى مقارنة الأديان ) طبعة ١٩٨٦ ، ومقدمتنا وتعليقنا على كتاب الطاهر البىروتى ( العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ) نشر دار الصحوة بالقاهرة . وانظر للأساتذة اللاهوتيين الغربيين هذه النماذج فقط :

1 - The Myth of God Incarnate, Edited by John Hick, SCM London 7th Ed. 1985.

( وهذا الكتاب قد ألفه سبعة من أساتذة الكليات اللاهوتية وأحدث ضجة علمية كبرى عند نشره لأول مرة ) .

2 - Eden Spence : Early Christianity and Paganism, Hoo - Vince.

3 - J. M. Robertson, Pagan Christs, Univrsity Books, Inc., New Hyde Park, N. Y.



أما اليهود فقد تنكبوا طريق الوحي ورسولهم موسى عليه السلام بين ظهرانهم ، وكتبهم تسجل عليهم ذلك فيما بقى فيها من آثار وحي ونبوة . انهم غيروا ( التوراة ) التى أنزل الله ، وكتبوا بدلا منها كتباً كثيرة اسموها : ( العهد القديم Old Testament ) ؛ ووضعوا فيها من وثنيات الأمم السابقة ومما أوحاه لهم الهوى والتعصب ما يطول ذكره ( ١ ) . فالمسيحية واليهودية ديانتان أصولهما سماوية كتابية قد انحرف بهما أتباعهما الى الوثنية .

واذا انتقلنا الى المسلمين وجدنا أمرهم عجباً من العجب ، فتعدادهم قد يصل الى ألف مليون نسمة . وان كان الله تعالى قد حفظ كتابه ( القرآن

- 
- 4 - RoBen Lane Fox, Pagans and Christians. U.s.A. 1986.  
Great Britain By Viking 1987 ( Twice ).
  - 5 - Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London ( Firist Published in 1921 ).
  - 6 - Emil Schiirer. The History of the Jewis People in the age of Jesus Chirst, Tand T Clark, ( Revised English Editkion ) 1979.
  - 7 - Jesus of the Early Christians : A Study in Christian Origins,  
by : G. A. Welles. G. Britain 1971.

( ١ ) للتوسع انظر كتابنا ( فى مقارنة الأديان ) وانظر للفليسوف اليهودى باروخ سبنوزا : ( رسالة فى اللاهوت والسياسة ) ترجمة د . حسن حنفى ، نشر الهيئة المصرية للكتاب . وانظر :

- 1 - Otto Eissfeldt, The Old Testament : An Introduction Oxford 1974.
- 2 - John H. Hayes, An Introduction to Old testment Study SCM London 1979.
- 3 - Martin Hengel, Judaism And Hellenism 2Vol. SCM. 1974.

وانظر ما كتبه ابن حزم فى الفصل ، وما كتبه الحبر السموأل بن يحيى المغربى فى ( افحام اليهود ) بتحقيقنا نشرة ١٩٨٥ م ( وكان السموأل يهوديا فاسلم ، . واقرأ طبعة دار المشرق البيروتية للعهد القديم بموافقة للنائب الرسولى للاتين بولس باسيم .



الكريم ) من العبث والتحريف والتبديل - ولم يكل هذه المهمة للمسلمين أو لغيرهم - فان معظم المسلمين لم يفهموا كتابهم حق الفهم ، ولم يعقلوا عن ربهم كما أمرهم ؛ فانهم وان كان الحق معهم ، والوحى الالهى بين ايديهم ، فان غالبيتهم يرسفون فى اغلال الجهل ، والتقليد والتبعية لغيرهم من اهل العقائد المحرفة . واقلهم على الدين الحق فهما واعتقاداً وعملاً .

على كل حال ينبغى ان ننظر الى الاسلام ممثلاً فى كتابه المنزل الموحى به من الله المحفوظ من التحريف بحفظ الله تعالى ، والى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة - لنرى أن الايمان أو الاعتقاد الحق الذى أوحى الله به الى رسوله ليبلغه للناس كافة لم يزل كما أنزله الله ، وحجته قائمة على الناس جميعاً . فالاسلام وسط هذه العقائد المتعددة التى تعج بها خريطة العالم المعاصر - فى نهاية القرن العشرين - هو الدين الوحيد الذى يدعو الى الايمان بالله تعالى وتوحيده وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله وعظيم سلطانه ، والايمان بالرسول جميعاً ، والكتب التى أنزلها الله ، والملائكة ، واليوم الآخر ، والقدر ، وينظم للناس شئون حياتهم وعلائقهم ويضع لهم قيمهم ومثلهم الخ .

وهكذا نرى أن معظم البشر اليوم اما ملاحدة معطلون كفار أوثنيون أو يدينون بديانات أصولها سماوية موحى بها لكن يد التحريف والتغيير ذهبت بها كل مذهب فحولتها الى قوالب أو هياكل ثم عبأتها بالعقائد الوثنية الوضعية . وصدق الله القائل فى محكم التنزيل :

« وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (١) .

« وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ؛ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (٢) .

ولا ريب أن قارئ التاريخ الدينى للبشر تهوله كثرة عدد الملحدين نفاة الألوهية منكرى الغيب فى القرن العشرين كثرة غريبة عجيبة !! .....

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٣ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .



يحدث هذا في قرن تقدم العلم الطبيعى ، وفي عصر التقدم الصناعى والتقنى العظيم الذى ليس للبشرية به سابق عهد ، بل لم تكن تصبو اليه أو تحلم به .

ويستطيع الباحث المنصف أن يقطع بأن الحضارة المادية الغربية قد هيات المناخ ، وساعدت بفلسفتها التى تنظر الى الانسان على أنه كيان مادى أى جسم فقط ؛ فتعمل بعنصرية - تحسد عليها - على أن تشبع حاجته المادية ؛ ومن ثم كدست له الشئ الكثير من الأدوات والوسائل والأشياء ، ولم تأبه الى حاجته المعنوية الروحية ، فتعمل على ارضائها واشباعها . . . . . وهل حاجة الروح شئ غير الايمان والعقيدة !! وان شئنا نظرة أعمق قلنا : ان الكنيسة فى العصور الوسطى تتحمل وزر جنوح الحضارة الغربية بالانسان نحو المادة والانحياز لها على حساب حاجة روحه ، وهى الحاجة الحقيقية التى يهين أهمالها الفرصة للالحاد والكفر والتعطيل . وهذا ما وقع بالفعل .

ولأن الالحاد والكفر والتعطيل لا ينسجم مع فطرة الانسان بل يصدماها ويقف منها على الطرف المناقض ، سقط انسان القرن العشرين رغم كل علومه الطبيعية وصناعاته وتقنيته المذهلة وتقدمه المادى العظيم فى وهدة البؤس النفسى والقلق والخوف والتوتر وفقدان الغاية والهدف ؛ وان أردت الاختصار ، انه وقع فى الشقاء والضنك بكل ما تحمل هذه الكلمة الجامعة من معنى ، فهو فى شقاء وضنك نفسى وسياسى وعسكرى واقتصادى واجتماعى ( ١ ) الخ . الخ . ، وصدق الله القائل :

---

( ١ ) يراجع كتابنا : ( مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ) ص ٢٢٩ - ٢٣٦ ، وراجع كتاب الفيلسوف الالماني ( شبنجلر ) ( Decline of the West ) فى مجلدين طبعة نيويورك ١٩٢٦ - ١٩٢٨ م .

وانظر كتاب مؤرخ الحضارة الأمريكى المعاصر : ول ديورانت : ( مباحث الفلسفة ) ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، الأنجلو ١٩٥٦ ، وانظر كتابات كل من توينبى ، وأينشتاين ، وأجنازيوسيلون ، وكوستلر ، وفورستر ، وكلارك ، وريك فروم ، وجان بول سارتر ، وكارل بوبر ، وبرتراند رسل ، وسدنى هوك ، وكارل ياسيرز ، وجاك مارتين ، ورينولد نيبور ، وسار فيبالي كرشنان التى تشخص أزمة الانسان فى ظل

=



« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى - الآية » ( ١ ) .

لا ريب هذا حال الانسان - من حيث الاعتقاد والايمان - فى نهاية القرن العشرين . ولا أحب أن يتوهم متوهم أن ثمة صلة أو رباط بين تقدم العلم الطبيعى وبين ذبوع الالحاد والكفر والتعطيل . بل اننا نقرر واثقين - بكل ما لدينا من شواهد وبيانات - أن تقدم العلم الطبيعى - على العكس من ذلك - سيؤدى - ضرورة - الى ايقاظ نزعة التدين فى النفوس وتفجير طاقاتها الايمانية ومكوناتها الاعتقادية ولو بعد حين وان بوادى تدعو الى التفاؤل العظيم تلوح أمامنا مؤكدة ما نقطع به ، وتأسيسا على ذلك فانا نرى أن خريطة العقائد والأديان فى القرن الواحد والعشرين ستتغير وتتحسن وان نسبة كبيرة من الملحددين النفاة ستعود الى حظيرة الايمان بالله وتيمم شطر الدين . ومما يساعد على ذلك - اضافة الى تقدم العلم الطبيعى - ما يرى من معالم اضمحلال وأفول الحضارة المادية الغربية ذات النظرة الفلسفية المنكرة للانسان والكون والحياة ( ٢ ) ؛

---

الحضارة الغربية ، وقد جمعت الأستاذة أدريين كوخ هذه الكتابات فى مجلد بعنوان *Philosophy for A time Crisis*

وانظر ما كتبه كولن ولسون فى ( سقوط الحضارة ) والكسيس كاريل فى : ( الانسان ذلك المجهول ) وجارودى ، ومحمد أسد ، وسيد قطب ، واسماعيل الفاروقى ، وكتابات الوجوديين عن الهم والقلق والخوف الذى يعانى منه انسان الحضارة المادية الغربية التى تنظر بعين واحدة ( عوراء ) ، والتى تمشى على ساق واحدة فهى ( عرجاء ) .

( ١ ) سورة طه - آية ١٢٣ .

( ٢ ) واليك قارئى العزيز بعض بيانات قادة العلم والفكر والسياسة فى الغرب . . يقول الدكتور ويلسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية : « . . . وخلاصة المسألة أن حضارتنا ان لم تنقذ بالمعنويات ، فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ؛ وأنها لا يمكن أن تنجو الا اذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها . . . ذلك هو الأمر الذى يجب أن



الى جانب مقدمات صحوة من أصحاب العقيدة الالهية الصحيحة الصافية  
التي تكفل الله تعالى بحفظ كتابها ( القرآن الكريم ) من أى تبديل أو  
تحريف أو تغيير ؛ الى جانب يقظة موفقة من علماء اللاهوت المسيحى  
لدراسة نصوصهم وعقائدهم دراسة نقدية واعية مستنيرة تنفى عنها ما لحق  
بها من أو شاب وأوصاب أضرت ضرراً بليغاً بالدين والايمان ، وأثرت سلباً  
على خريطة الاعتقاد فى العالم المعاصر .

=

تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية ، وأصحاب رؤس أموالنا ،  
وكل فرد خائف من الله محب لبلده « نقلها لنا العلامة الدكتور محمد  
عبد الله دراز فى كتابه القيم ( الدين ) ص ١٠٣ عن الصحف الفرنسية  
الصادرة فى ١٩٤٠/٦/٢٦ م .

ويقول ( بيتان ) عاهل الدولة الفرنسية فى خاتمة خطابه الذى أذاعه  
على أمتة عقب توقيع الهدنة مع زعيم ألمانيا فى ١٩٤٠/٦/٢٥ : « اننى  
أدعوكم أول كل شئ الى نهوض أخلاقى » ويرى عالم الطبيعة الأمريكى  
روبرت ميللكان : « أن أهم أمر فى الحياة هو الايمان بحقيقة المعنويات  
وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الايمان سبباً للحرب العامة ، واذ لم  
نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة ، بل يصير العلم نكبة  
على البشرية » . عن ( الدين والعلم ) للمشير أحمد عزت باشا ، نشر  
لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ ( ص ١٠٣ : الدين ) وفى خطبة المارشال  
مونتجومرى Montgomery أمام الجيش الثامن فى ١٩٥١/٣/٤ قال :  
« ان أهم عوامل الانتصار هو العامل الأخلاقى ؛ ولا يمكن لقائد أن يدفع  
جنوده الى بذل أقصى جهودهم فى العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة  
الى ما يعملونه ويقينى أن الجيش اذا سار على غير مرضاة الله سار على  
غير هدى .

ان خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ؛  
عن الصحف المصرية الصادرة فى ١٩٥١/٣/٥ ( الدين : ص ١٠٤ ) .



كلمة عن نشأة الدين ، وهل هو ظاهرة اجتماعية ، ومناقشة من يرى  
تطور الدين وترقيه من الوثنية الى التوحيد

---

١ - هل التدين نزعة أصيلة في الانسان ، أو فكرة عارضة طارئة ؟  
وهل التدين خالد باق ما بقى الانسان ، أو أن أمره الى زوال ؟  
لا مرأ أن التدين ، أو الاعتقاد الايماني ، أو الحاسة الدينية ، أو  
غريزة الدين - على اختلاف مذاهب الناس في تسميتها - أمر فطري جبلى  
مركوز في اعماق الانسان ، هذا من ناحية ، كما أن تسليم الانسان  
بضرورة قانونى السببية والغائية ينبغى أن يسلمه الى التدين والاعتقاد  
في الله والايمان بالغيب من ناحية أخرى . وتأسيسا على ذلك فيقال ان  
الاعتقاد الايماني أو فكرة التدين - في جوهرها - قد صاحبت الانسان منذ  
اول وجوده على ظهر لأرض ، « وليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت  
عن نشأة الانسان » (١) . وقد صرح كثير من ثقات العلماء بأصالة نزعة  
التدين في الانسان (٢) لكن هنالك جماعة من الدارسين الغربيين من

---

(١) انظر العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه :  
« الدين » ص ٨٤ ، ويسرنى أن أشير هنا الى أنى أفدت منه - رحمه  
الله - فائدة عظيمة ، ونقلت عن كتابه نصوصا عديدة قيمة  
(٢) جاء في معجم ( لاروس ) للقرن العشرين : « ان الغريزة  
الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها  
الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهى ، وبما فوق  
الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ... » ( وهذه  
الغريزة ) لا تختفى ، بل لا تضعف ولا تذبل ، الا في فترات الاسراف في  
الحضارة ( لعله يقصد الاسراف في الترف والرفاهية ) ، وعند عدد قليل  
جدا من الأفراد .

أما ( بارتيلمى سانت هيلير ) فيقول : « هذا اللغز العظيم الذي  
يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟  
من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟  
ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه  
الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شئ بعد هذه



كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، دفعتهم ممارسات الكنيسة الى التطرف في الحكم بان الدين ليس أصلا في النفس البشرية ، ولكنه ظاهرة عارضة طارئة في حياة البشر ، ومن هؤلاء ( فولتير ) الذي قال : « ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصة ، قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحدادة ، والنجارة ، قبل أن تفكر في مسائل الديانات والروحانيات » بل قال : ان فكرة التاليه انما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسفهاء » ( ١ ) .

=

الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ .. هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ، ولا مجتمع ، الا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة ، مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو متحولة ... » .

( الدين ص ٨٤ ) B. St. Hilaire Mahomet et Le Coram P. xxxiv.

ويقول ( هنرى برجسون ) : « لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة » ( منبع الدين والأخلاق ) .

ويذكر ( شاوشان Chachoin ) : « مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر ... علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية ، وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذويننا ، فان عقلنا في أوقات السكون والهدوء ( عظما كنا أو متواضعين خيارا كنا أو أشرارا ) ، يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزلية لم ؟ وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في العلل الأولى أو الثانية ، وفي حقوقنا وواجباتنا » ( تطور الفكر الدينى ) ( عن الدين ص ٨٥ ) .

Voltaire, Essai Sur Les mœurs, p. 14.

( ١ )

ومما يذكر أن ( جان جاك روسو ) نظر الى القوانين نفس هذه النظرة فقال : « ان الأفراد الذين سبقوا الى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض ، حدا بهم جشعهم ، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم ، الى أن يأتروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور ، ويضللوا بها الفقراء » . ( عن الدين ص ٨٥ ) . ومما يذكر هنا أن ( فيتشه ) نظر الى الأخلاق ذات النظرة ... راجع كتابنا : ( الفكر الأخلاقى : دراسة مقارنة ) .

ويعلق الدكتور محمد عبد الله دراز على ذلك قائلا :

« هذه النظرة الساخرة الى الأديان - والقوانين - ليست مبتكرة ،  
وانما هي ترديد لصدى مجون قديم ، كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان  
وكانوا يروجونه فيما روجوه من المغالطات والتشكيكات فقيما زعم أهل  
السفسطة ( أن الانسان كان في أول نشأته يعيش بغير رادع عن قانون ،  
ولا وازع من خلق ، وأنه كان لا يخضع الا الى القوة الباطنة ...  
ثم كان أن وضعت القوانين ، فاخفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى  
البدائية ، ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة ... فهناك فكر  
بعض العباقرة في اقناع الجمهور بأن في السماء قوة أزلية أبدية ترى كل  
شيء .. وهكذا لم تكن القوانين والديانات في تصويرهم الا ضربا من  
السياسية الماهرة التي تهدف الى علاج أمراض المجتمع بكل حيلة  
ووسيلة » ( ١ ) .

ويمكننا أن نقول باطمئنان أن تكهنات فولتير وغيره من أصحاب  
الفلسفة الماركسية ، والماديين عموما ، والسوفسطائيين من قبل ، هي  
الأفكار العارضة الطارئة ، ولا يغرنك كثرة صراخهم فان كثرة الصراخ  
ليست دليلا ، كما أن زيادة العدد أو نقصانه لا يؤخذ منه حجة .

ثم جاء ( أوجست كونت ) فخرج على الناس بما أسماه ( قانون  
الحالات الثلاث التي مر بها العقل الانساني في تطوره ) وما يهمننا منه  
هنا أنه وان كان قد أقر بأن الدين ظاهرة عريقة في القدم ، وأنها أول  
مراحل تطور الفكر الانساني ، فانه لم ير أن تقدمها الزماني يكسبها صفة  
الأصالة والثبات والاستمرار والخلود ، بل هو - على العكس - يطبعها  
بطابع الشيخوخة والهرم ، وينذر أن مصيرها الى اضمحلال وفناء ، ثم  
أجهد نفسه ، وأعياى فكره في البرهنة على ذلك ( ٢ ) .

---

( ١ ) الدين : ص ٨٢

( ٢ ) راجع كتابه ( محاضرات في الفلسفة الوضعية ) و « ليفي بريل » :  
( فلسفة أوجست كونت ) ترجمة د . محمود قاسم ، الأنجلو سنة ١٣٧١ هـ



وخلاصة رأى ( كونت ) : أن الانسان فى تطوره العقلى والفكرى قد مر بثلاث مراحل أو أدوار ؛ هى :

- دور الفلسفة الدينية .

- ودور الفلسفة التجريدية .

- ودور الفلسفة الواقعية . وهذا الدور الثالث - فى نظره - هو آخر الأطوار وأسمائها . فبعد أن كان الناس يعللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة خارجية عنها ، انتقلوا الى تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها ، كقوة النمو ، والمرونة ، والحيوية ، الخ ، ثم انتهوا الى رفض كل تفسير خارجى أو داخلى ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هى ، ومعرفة ما بينها من ترابط وجودى ، بقطع النظر عن أسبابها وغاياتها .

وعلى هذا يكون ( دور التفكير الدينى ) يمثل الحال البدائية التى نلتهت بها الانسانية فى مرحلة طفولتها ، فلما كبرت عن الطوق خلعتها لتستبدل بها ثوبا وسطا فى دور مراهقتها ؛ حتى اذا بلغت أشدها ، واكتمل رشدها ، أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية ( ١ ) .

هذا كلام ( كونت ) وهو فى نظر العقل الرشيد « دعوى غير مسلمة ،

=

١٩٥٢ م . وانظر الفصل الذى كتبناه فى ( مدخل لدراسة الفلسفة ) عن الفلسفة الوضعية ص ١٥٢ - ١٦٢ .

• وانظر : ( منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية ) وهو رسالة ماجستير قدمها محمد أمزيان الى قسم الفلسفة بدار العلوم ١٩٨٧ م . ص ١٩ - ٢٢ ومواضع أخر . وانظر تعليقات ( أندريه كريسون ) على ( كونت ) فى : ( تيارات الفكر الفلسفى ) ص ٣٣٣ ، ٣٨٤ من الترجمة العربية ، وتعليق ( بييردو كاسيه ) فى ( الفلسفة الكبرى ) ص ١٦٢ من الترجمة العربية . ويعتبر ( كونت ) ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ثالث ثلاثة أسسوا ورادوا ( الفلسفة الوضعية ) والاخران هما : ( سان سيمون ) ١٧٦٠ - ١٨٢٥ و ( اميل دوركايم ) ١٨٥٨ - ١٩١٧ م .

Auguste Comte Cours de Philosophie Positive ( ١ )

عن ( الدين ص ٨٦ ) .

( م ٢ - الايمان )

لأنها مجردة عن البرهان ، ولأنها تحرف التاريخ ، وتصادم العيان .  
فتحن مازلنا نسمع ونرى فى كل عصر تقديسا للروحانيات ، وشغفا  
بالمعنويات والمعقولات الكلية ، عند فريق من الناس ، الى جانب الكلف  
بالحوادث والحقائق الجزئية ، عند فريق آخر . وليس الحد الذى يفصل  
بين المعسكرين هو جهل أحدهما بالتجارب الكونية وخبرة الآخر بها . . .  
كما أن « الحالات الثلاث » التى يصورها ( كونت ) لا تمثل أدوارا  
تاريخية متعاقبة ، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة فى كل الشعوب . . .

« بل ان هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة فى نفس كل فرد ،  
وأن لها وظائف يكمل بعضها بعضا فى اقامة حياة الانسان على وجهها ،  
ولكل واحدة منها مجال يوائمها .

بل يذهب الدكتور دارز الى أبعد من ذلك فيقرر أن ترتيب ( كونت )  
للحالات الثلاث معكوس منكوس يقف على رأسه لأن النظرة الوضعية تقع  
فى مبدأ الطريق لا فى نهايته ، وأنها تمثل مرحلة الطفولة النفسية لا مرحلة  
النضج والكمال . . أما ملكة التعليل بالمعانى العامة فانها تنبثق فى النفس  
على أثر ذلك ، متى استيقظت ملكتها التجريد والتعميم فى التصورات  
والأحكام ، فلا يكتفى الذهن بجمع الحوادث فى سلسلة . . بل يحاول  
ربطها برباط معنوى تدور فى فلكه . . والمعارف الانسانية لا تستحق اسم  
( العلم ) حتى تأخذ بنصيب من هذا التعميم والتجريد أما النظرة الروحية  
أو الدينية فهى أوسع النظرات مجالا وأبعدها مطلبا ، فهى لا تتمكن من  
النفس الا حين يتسع أفقها . . . وتتجاوز حوادث الكون وظواهره الى  
ما وراءه . .

« وهكذا ينقلب الترتيب الذى تخيله ( كونت ) رأسا على عقب ،  
وتعود الحاجات النفسية الثلاثة الى أوضاعها الطبيعية المعقولة : حاجة  
الحس ، فحاجة العقل ، فحاجة الروح ، . . وكلها داخلة ومتعاصرة فى  
كيان النفس الانسانية . . . وكما أننا لا نجد اشارة واحدة تدل على قرب  
زوال النزعة الاستقرائية التجريبية ، أو النزعة التعليلية الفلسفية كذلك



لا نرى اشارة واحدة تشير الى أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الانسان « (١) .

يقول الدكتور ( ماكس نورده ) : « هذا الاحساس ( الشعور الدينى ) أصيل يجده الانسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدساً » .

ويذكر ( أرنست رينان ) فى تاريخ الأديان : « أن من الممكن أن يضمحل كل شئ نحوه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الانسان فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية » .

ويؤكد الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه : « نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ، لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، فنظرة التدين ستلاحق الانسان ما دام ذا عقل ... وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه » (٢) .

٢ - هل الدين ظاهرة اجتماعية ، نشأ أول ما نشأ وثنياً بدائياً ساذجاً ، ثم ترقى وتطور الى التوحيد ؟

لا ريب عندنا أن الحل النهائى لهذه المسألة انما يكون عن طريق الوحي ، لأنها داخلية فى منطقة الغيب التى هى موضوع الايمان ، وليست من شأن العلوم الاستقرائية ، ولا العلوم الاستنتاجية .

والحق أن نصوص القرآن والسنة ترشدنا الى أن عقيدة الانسان الأول فى الله كانت عقيدة التوحيد ، كانت العقيدة الراقية الصحيحة لأنها استجابة مباشرة للفطرة « فطرة الله التى فطر الناس عليها » (٣) . وأن الناس فى البدء كانوا مؤتلفين على الحق مستقيمين عليه ، ثم طرأ عليهم

---

(١) د . دراز : الدين ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) عن كتاب الدين ص ٨٩ .

(٣) سورة الروم آية ٣٠ .

الاحراف وعرض لهم الاختلاف بعد ذلك ؛ « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا » ( ١ ) ، وإن اتساع سُقة الخلاف واستمراره إنما كان بتأثير الوراثة والبيئة : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ( ٢ ) . كما أن النصوص تدل على أن الانسان الأول ، والجماعة البشرية الأولى لم تترك وشأنها تستلهم غرائزها وحدها ، بغير مرشد ومذكر ، بل نعهدتها السماء بنور الوحي من أول يوم ، فكان ابو البشر هو أول الأفاضل الملهمين ، وأول المؤمنين الموحدين وأول المتضرعين الأولين ( ٣ ) تلك هداية الوحي .

أما أولئك الذين أثاروا مسألة ( نشأة الدين ) وراموا حلها ، فإنهم لم يتجهوا الى المرجع الذى يملك كلمة الفصل فى ذلك ، أعنى نصوص الوحي ؛ بل سلكوا للوصول الى هذا المطلب طريقة التنقيب عن أديان الأمم القديمة ، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى بهم السير فى تلك العصور المظلمة ، أو تلك الأقطار المنعزلة ، الى اقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الدينى اعتبروه صورة مطابقة لما كان عليه الانسان الأول من اعتقاد .

وجاءت نتائج دراساتهم متعاكسة متناقضة ؛ فقال ( فريق منهم ) ان الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وأن الانسان أخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج فى علومه وصناعاته ؛ حتى زعم بعضهم أن عقيدة « الاله الأحد » عقيدة جد حديثة ، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى .

هذه نظرية ( التطور ) التى سادت فى القرن التاسع عشر فى أكثر من فرع من فروع العلم - وحاول تطبيقها على الأديان بعض العلماء مثل كونت وسبنسر Spencer ، وتايلور Tailor ، وجيمس فريزر

---

( ١ ) سورة يونس آية ١٩ .

( ٢ ) متفق عليه .

( ٣ ) اقرأ عن آدم عليه السلام فى سورة البقرة ، الآيات ٣٣ : ٥٣٨

وفى سورة طه ، الآيات ١١٥ : ١٢٣ .



G.Frazer ، واميل دور كايم E. Durkheim وغيرهم . وليس من شك في أن رؤيتهم للدين على أنه ( ظاهرة اجتماعية ) أو ( وضع بشرى ) جعلهم يقيسونه في نفس كفة الميزان التي وضعوا فيها معطيات الانسان الأخرى مثل الصناعات والفنون وغيرها ( ١ ) . فكما كانت صناعات الانسان الأول وعلومه ساذجة بدائية ، كذلك كانت ديانته وثنية ساذجة تنعدد فيها الالهة وتتصارع ، ثم ترقى - كما ترقى صناعاته وعلومه - الى أن بلغت درجة التوحيد ( ٢ ) .

أما الفريق الآخر فيقرر - بنفس المنهج - بطلان مذهب الفريق الأول ، ويثبت أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، مستدلا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون

---

( ١ ) ولقد وافقهم على ذلك الأستاذ عباس العقاد رحمه الله ، إذ يقول في صدر كتابه : ( الله ) : « ترقى الانسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات ؛ فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك علومه وصناعاته . فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات ، وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى . وينبغي أن تكون محاولات الانسان في سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات ، لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلبا ، وأطول طريقا من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التي يعالجها العلم تارة ، والصناعة تارة أخرى . كتاب : ( الله ) ص ٥ دار المعارف ١٩٤٧ م ، وراجع مقالة الأستاذ حماد الصقلي عن ( النبوة والحاجة إليها ) في مجلة ( هذه سبيل ) الحولية الصادرة عن كلية الدعوة والاعلام بالرياض ١٤٠٤ هـ بإشرافنا .

( ٢ ) ونحن نقول لو كان الدين وضعاً بشرياً ، أي ظاهرة اجتماعية ، بمعنى أن المجتمع هو الذي يخترعه وينشئه لربما كان هذا القول سديداً . لكن أما وأن الدين ( وضع الهى ) فإن سنة النشوء والتطور والترقى - التي قد تنطبق على صناعات الانسان ومعارفه - لا تنطبق على الدين . فهو ( وضع الهى ) كامل تام . . بدأ بدعوة التوحيد ، ثم حرف الانسان وغير وبدل ، وجدد لله له الدعوة حيناً بعد حين على السنة رسله الكرام عليهم السلام .

الوثنيات ان هى الا اعراض طارئة ، او امراض متطفلة ، بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .

وهذه هى نظرية ( فطرية التوحيد واصالته ) التى انتصر لها جمهور من علماء الأجناس ، وعلماء الانسان ( الأنثروبولوجى ) ، وعلماء النفس . ومن أشهر مشاهيرهم لانج Lang الذى أثبت وجود عقيدة ( الاله الأعلى ) عند القبائل الهمجية فى أستراليا ، وأفريقيا ، وأمريكا . ومنهم شريدر Schraeder الذى اثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، وبروكلمان Brockilman الذى وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولروى Laroy ، وكاترفاج Quatrefages عند أقزام أواسط افريقيا ، وشميدت Schmidt عند الأقزام وعند سكان استراليا الجنوبية الشرقية ، وانتهى شميدت هذا الى أن فكرة ( الاله الأعظم ) توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الانسانية ( ١ ) .

وفى الواقع ان تناقض نتائج البحث بين ( التطوريين والتوحيديين ) ، وموافقتنا لرأى التوحيديين ، لا تنسينا أن نقول : ان كليهما قد رام تحديد صورة العقيدة عند ابتدائها فى الجنس البشرى . أى العقيدة البدائية الحقيقية ، وأن كليهما قد توسل الى هذه الغاية بدارسة الشعوب المتأخرة والأمم الغابرة . وهذا خطأ فى الوسيلة كما سنرى .

والحق أن كل النظريات التى رامت تحديد ديانة الانسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية ، أو الأمم الهمجية ، فصورتها لنا تارة سليمة ، وتارة سقيمة ، وتارة ملفقة ، انما هى افتراضات مبنية على افتراضات ، فهى لا تصف الحق الثابت ، الذى هو مطلب العلم الصحيح ، وانما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلا أو كثيرا ، أو لا تشبهه البتة .

والخطأ الذى وقع فيه الفريقان معا هو أنهم حاولوا اقحام اسم العلم الوضعى التجريبي فى البحث عن عقيدة الانسان الأول ، وهى



منطقة حرام على هذا العلم ، ولن يحقق فيها نتائج حقيقية ، وعلماء تاريخ الأديان يقرون بأنه يستحيل « أن ينجح العلم الوضعي في حل مشكلة بروج الدين في النوع الانساني . . . لأن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الأولى في موضع ما ، وكل ما نجده انما هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلا أو كثيرا » .

كما انهم أخطأوا في منهج الاستدلال على ديانة الانسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية ، وهذا وهم قائم على افتراض أن هذه الأمم كانت واستمرت على هذه الحالة من التخلف ، ولم نمر بأدوار مختلفة متقلبة ، تقترب فيها أو تبتعد عن المدنية ، والذي أثبتته التاريخ بهذا الصدد ، واتفق عليه المنقبون عن آثار القرون الماضية ، أن فترات الركود والتقهقر التي سبقت مدنياتها الحاضرة كانت مسبقة بمدنيات مزدهرة ، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة ، قريبة أو بعيدة ، في أدوار تتعاقب على البشرية ، كما تتعاقب الفصول السنوية على الوجود . بحيث يصبح من العسير أن نحكم بصفة قاطعة بأيهما بدأت دورة الزمان . وليس تعيين أحد الأمرين للابتداء الحقيقي باثبات تاريخيا من مقابله .

فكذلك يقال بشأن العقائد الدينية .

انه من الممكن أن تكون الخرافات القديمة بداية ديانات ، كما يمكن أن تكون نتيجة تحلل وتحريف لديانة صحيحة سابقة ( ١ ) .

ونود أن نقول - قبل أن ننهي هذه المناقشة - أن أكثر المتخصصين في علم الاجتماع ، في الشرق الاسلامي ، قد قبلوا في تسليم وخضوع ، بل وحماس مفتون مقولة ( التطوريين ) الذين يرون - كما رأينا - أن الدين ظاهرة اجتماعية ، وأن أصله الأسطورة والخرافة ، ثم تطور عنها وترقى - تبعا لسنة التطور - الى التوحيد . ومعظمهم يردد أفكار ( كونت ) و ( دوركايم ) و ( هربرت سبنسر ) و ( جيمس فريزر ) و ( تايلور ) وغيرهم ، دون وعي بأن هذه الأفكار مجرد افتراضات أقاموها على

افتراضات ، لم يؤيدها العلم الصحيح ، ولم يشهد لها المنطق أو الواقع أو التاريخ . كما أنها تناقض مقررات الوحي الثابت عن الحق تعالى وتعظم .

وحق علينا - من أجل ذلك - أن نناقشهم ونحاورهم . وأن نقول مع العلامة دراز : « قد كان مقتضى الوضع السليم ، في تعرف ما كانت عليه بداية الأديان فيما قبل التاريخ - أن نسترشد في مقارنتها - لا بسير الفنون والصناعات - بل بسير الديانات المعروفة منذ طفولة التاريخ الى اليوم ، ألا واننا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية ، ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد . فالأشبه أن تكون هذه سنة التطور في الديانات كلها : ان بدايتها دائماً خير من نهايتها » (١) .

### ٣ - تصورات الباحثين الغربيين عن أسباب نشأة العقيدة الالهية :

زمهما يكن من أمر ( التطوريين ) فان الدين قد نشأ وظهر وقد أجهد الباحثون الغربيون أنفسهم في وضع اجابة على سؤال طرحوه مؤداه : ما الذى دفع الانسان للتدين والاعتقاد ؟

أو ماذا حفز الانسان ، وأثاره نحو الاعتقاد الدينى ؟

أو - بعبارة أخرى - ما هى العوامل وراء اثاره الفكرة أو الحاسة الدينية فى نفس الانسان ؟

ولم تكن ثمة اجابة واحدة أو تصور واحد ، ولكن اجابات متعددة وتصورات كثيرة :

● فهناك تصور المذهب الطبيعى أو الكونى الذى يرى ان العامل الأول فى نشأة العقيدة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة ، وقد نسب اليها القول بأن العبادة الأولى كانت عبادة الطبيعة .

(١) ص ١١٦ ويجدر أن نشير هنا الى أن كتاب الدكتور دراز بحث رائد ويتيم فى هذا المجال ، قد كتبه يرحمه الله سنة ١٩٥٢ م ، وقد عولنا عليه فى كتابة هذا البحث . ويمكن مراجعة رسالة محمد أمزيان المشار اليها آنفا للاطلاع على مدى هذه النظرية التطورية فى نشأة الدين عند أساتذة علم الاجتماع فى الشرق الاسلامى .



● وهناك تصور المذاهب الروحية أو الحيوية ، وقد نسب اليها أن الأصل كان عبادة أرواح الموتى ثم الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر .

● وهناك تصور المذهب النفسى ، الذى تتلخص فكرته العامة فى أنه لاجل الوصول الى العقيدة الالهية - واثارتها فى النفس الانسانية - لم يكن بالناس حاجة الى التأمل فى الطبيعة وجمالها ، ولا فى التقلبات الكونية وأهوالها ، ولا فى التجارب العجيبة فى عالم الأرواح وأسرارها ، بل ان تجارب الانسان النفسية ، فى حياته العادية المألوفة له فى كل يوم ، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة الى تلك الحقيقة العليا .

● وهناك تصور المذهب الأخلاقى وصاحبه الفيلسوف عمانويل كانت ، وقد شرحه فى كتابه : نقد العقل العملى .

● وهناك تصور المذهب الاجتماعى ، ورائده دوركايم Durkheim ، الذى يرى أن التدين وليد أسباب اجتماعية ، أى أن عقل الجماعة هو الذى يخلق الأديان ويبرزها الى الوجود .

هذه تصورات المفكرين الغربيين عن نشأة الدين ، وواضح أنها تشترك جميعها فى القول بأن العقيدة الالهية قد وصل اليها الانسان بنفسه عن طريق عوامل انسانية ، سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية ، أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية ، الى غير ذلك .

ومما يلاحظ أن بعض هذه التصورات الخاطئة تشكل قاعدة خلفية لبعض دارسى علم الاجتماع الدينى عندنا ، ومن ثم وجب علينا التنبيه اليها فى اشارة وجيزة (١) .

---

(١) وقد ناقش الدكتور دراز هذه التصورات مناقشة علمية مستفيضة ثم علق عليها ، أنظر ص ١١٩ - ١٨٠ .

## أثر العقيدة في النفس والمجتمع

تمهيد :

بداية أذكر أن هذا الموضوع طويل متشعب . ولا يمكننى أن أعالجه بصورة دقيقة وافية في مثل هذا المبحث الوجيز ، ولعل شعورى العميق بأهمية هذا الموضوع يغفر لى هذا الإيجاز الذى هو أشبه ما يكون برشحة من بحر ، وشعاع من شمس ، مع التنويه بضرورة العودة اليه في مقام آخر ( ١ ) ان شاء الله .

والآن . . لو اجتهدنا في تلخيص أعز مطلب يطمح كل فرد الى تحقيقه لنفسه ويسعى اليه كل مجتمع لقلنا في كلمة واحدة : انه السعادة . فالسعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل بشر ، من الفيلسوف فى قمة تفكيره وتجريده ، الى العامى فى قاع سذاجته وبساطته ، من الملك ، الى الصعلوك ، ولا نحسب أحدا يبحث عن الشقاء لنفسه ، أو يرضى بتعاستها .

ولكن كيف تتحقق هذه السعادة للفرد وللمجتمع ؟

لقد جرب الناس أن وفرة المال ، وقوة السلطان والجاه ، وكثرة الأولاد ، وتحقيق المنافع ، والعلوم المادية ، لم تستطع - وحدها - تحقيق السعادة للفرد والمجتمع ، وهل معنى ذلك أن لا مفر أمام البشر من الوقوع ضحايا الشقاء والبؤس والضنك بمختلف صنوفه وشتى أنواعه وما أكثرها ، وما أكثر تنوعها ؟ !!

نقول لا . . فهذا هو الايمان . ، الايمان وحده هو القادر على أن يفجر

---

( ١ ) يحسن بالقارىء أن يراجع كتاب الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى : ( الايمان والحياة ) طبعة مؤسسة الرسالة الثانية عشر سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، وقد أفدنا منه كثيرا فى كتابة هذا البحث ، وينظر كذلك رسالة ( الرد على الدهريين ) لجمال الدين الأفغانى ، وكتاب ( الدين ) للدكتور دراز ، و ( خصائص التصور الاسلامى ) لسيد قطب ، و ( الانسان بين المادية والاسلام ) لمحمد قطب ، ومؤلفات محمد عبده ، ورشيد رضا ، ومحجب الدين الخطيب ، ومؤلفات ( ابن القيم ) و ( الغزالى ) ، و ( البيهقى ) ، و ( الحليمى ) ، و ( العودة الى الايمان ) لهنرى لنك .



فى قلب الانسان المؤمن ينباع وانهارا من السعادة لا تفيض ، ويستحيل ان نتحقق السعادة بغيرها ، تلك هى ينباع السكينة ، والطمأنينة ، والامن النفسى ، والامل والبشر والتفاؤل ، والرضا ، والحب ، والعزة ، والحرية انح . والايمان قادر على ان يفيض على نفس المؤمن هذه العناصر وغيرها مما يجعله سعيدا فى هذه الحياة الدنيا ، سعيدا فى حياته الآخرة كذلك . فالعقيدة الايمانية لها امكانات هائلة فى تحقيق السعادة للفرد ، بل لا يمكن ان تتحقق للفرد سعادة بغيرها . ومعروف ان ما يؤثر فى الفرد يؤثر فى المجتمع ، فالحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة متشابكة ، فما يحقق للفرد السعادة يحققها للمجتمع بالضرورة ، فالمجتمع الصالح السعيد ليس اكثر من افراد صالحين سعداء .

اولا : اثر العقيدة فى الفرد :

١ - الايمان يحقق له سكينة النفس وطمأنينة القلب :

قال تعالى :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » (١) . « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢) .

لامراء ان سكينة النفس ورضاها وطمأنينة القلب تشكل ركنا هاما واساسيا من اركان سعادة الانسان ، بل هى ينبوع الاول للسعادة . ولامراء كذلك ان السبيل اليها لا يكمن فى الذكاء ولا العلم ، ولا الصحة ، ولا القوة ، ولا المال والغنى ، ولا الشهرة والجاه ، ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية وحدها .

ان للسكينة والطمأنينة مصدرا واحدا هو الايمان بالله ايمانا صادقا عميقا لا يكدره شك ، ولا يفسده نفاق . وهذا ما يشهد به الواقع المائل ، وما أيدته التاريخ الحافل ، وما يلمسه كل انسان بصير منصف ، فى نفسه وفيمن حوله .

لقد عرفنا أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا ، وشعورا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الايمان ، وبرد اليقين .

ان حياتهم لا طعم لها ولا مذاق ، وان حفلت باللذائذ والمرفهات ، انهم لا يدركون لحياتهم معنى ، ولا يعرفون لها هدفا ، ولا يفقهون لها سرا ، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس ، أو اطمئنان قلب ، أو انشراح صدر ؟

ان هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحه الايمان ، وشجرة التوحيد الطيبة ، التي تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . فهي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين ، ليثبتوا اذا اضطرب الناس ، ويرضوا اذا سخط الناس ، ويوقنوا اذا شك الناس ، ويصبروا اذا جزع الناس ، ويحلموا اذا طاش الناس .

هذه السكينة روح من الله ، ونور ؛ يسكن اليه الخائف ، ويطمئن عنده القلق ، ويتسلى به الحزين ، ويستروح به المتعب ، ويقوى به الضعيف ، ويهتدى به الحيران (١) .

اذن لا سكينة نفس ، ولا طمأنينة قلب ، ولا انشراح صدر ، بغير الايمان بالله واليوم الآخر .

**ولكن كيف يحقق الايمان سكينة النفس المؤمنة ؟**

( أ ) لا ريب أن المؤمن - بايمانه - يسائر فطرته التي فطره الله عليها ، وينسجم معها ، فالمؤمن يعيش مع فطرته في سلام ووئام ، لا في حرب وخصام ، لأنه يستجيب لها ولا يعاندها ، يلبي حاجتها ، وينقع غلتها ، ذلك لأن « في فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم ، ولا ثقافة ، ولا فلسفة ، انما يملؤه الايمان بالله جل وعلا .

وستظل الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجوع والظما ، حتى تجد الله ، وتؤمن به ، وتتوجه اليه .

---

(١) نقلنا هذا التصوير الجميل عن الأستاذ الدكتور القرضاوى ( بتصرف ) ص ٩٠ - ٩٤ من ( الايمان والحياة ) .



فاذا لم يجد الانسان ربه - وهو اقرب اليه من حبل الوريد - فلن يجد السعادة ، ولن يجد السكينة ، ولن يجد الحقيقة ... لن يجد نفسه ذاتها « كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ( ١ ) .

وكيف يجد نفسه من لم يعرفها ؟ وكيف يعرفها من حجب عنها بالغرور والكبر ؟ أو شغل عنها باتباع الشهوات ، والاخلاد الى الأرض ، والغرق في لذائذ الحس ، ومطالب الجسد والطين ؟

لقد اجتمع في خلق الانسان قبضة من طين الأرض الى نفخة من روح الله ، فمن عرف جانب الطين ، ونسى الروح لم يعرف حقيقة الانسان . ومن أعطى الجانب المادى حاجته ، ولم يعط الجانب الروحى غذاءه من الايمان ومعرفة الله ، فقد بخر الفطرة الانسانية حقها ، وجعل قدرها ، وحرماها ما به حياتها وقوامها ، ولم يتسق معها أو يسايرها .

يقول ابن القيم - رحمه الله - :

« في القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله .

وفيه وحشة لا يزيلها الا الانس بالله .

وفيه حزن لا يذهب به الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته .

وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه .

وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة

الصبر على ذلك الى وقت لقائه .

وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق

الخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا » ( ٢ ) .

وكذلك فالذى لا يعطى الجانب الروحى حاجته من الايمان والاعتقاد

ومعرفة الله ، فانه يعاني الشعث ، والوحشة ، والحزن ، والقلق ، والحسرة ،

والفاقة التى لا حدود لها ، وما ذلك الا لانه لم يهتد الى فطرته التى فطره

الله عليها ، ولم يعطها حقوقها .

---

( ١ ) سورة الحشر ١٩ .

( ٢ ) ابن القيم : مدارج السالكين ، وانظر ( الايمان والحياة )

ص ٩٦ - ٩٨ بتصرف .

( ب ) وهنالك أسئلة فطرية ضرورية ملحة تستكن في أعماق أعماق الانسان وتهجم عليه تطلب اجابات حاسمة واضحة فاطعة تثمر اليقين ، وتقطع الشك ، وتذهب بالقلق .

ما هذا الوجود ؟ ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعها ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟

هذه الأسئلة ألحت على الانسان منذ خلق ، وستظل تلح عليه الى أن تطوى صفحة الحياة ، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها . ولم تجد هذه الأسئلة ولن تجد - لها أجوبة شافية الا في الدين .

أجل ، الدين وحده (١) هو الذى يحل عقدة الوجود الكبرى ، وهو المرجع الوحيد الذى يستطيع أن يجيبنا عن هذه الأسئلة اجابة ترضى الفطرة ، وتشفى الصدور ، وتثمر اليقين فى القلب ، وتزرع السكينة فى النفس ، وتقضى على الحيرة والشك والتخبط .

ان الذى أفنى الفلاسفة فيه أعمارهم ، وأذابوا فيه شموع حياتهم ، دون أن يجنوا ثمرة تشبع جوعهم الفكرى ، قد حصله المؤمن فى دعة وهدوء ، فعرف : من أين جاء ؟ ولم جاء ؟ وإلى أين يذهب ؟ ولم يحيا ؟ ولم يموت ؟ وماذا ينتظره هناك ؟ عرف ذلك من مصدره الذى لا يضل ولا ينسى ،

---

(١) لقد تصدى العقل الانسانى - غير المسترشد بهداية الوحي - للاجابة عن هذه الأسئلة ، فتخبط ، واضطرب ، وتاه ، وزل وجاء بكلام متهافت سخيف . انظر كتابنا ، ( فى الفلسفة العامة ) مبحث قصور الميتافيزيقا الفلسفية فى مجال الالهيات ، نشرة الزهراء بالقاهرة . يقول الفخر الرازى فى كتابه ( أقسام اللذات ) - بعد أن حصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، وطاف بدائرة المعارف الفلسفية والكلامية لعصره : « لقد تأملت الكتب الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تروى غليلا ، ولا تشفى عليلا . ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن . . . ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي » . وانظر ( خصائص التصور الاسلامى ) لسيد قطب ، الفصل الأول .



ومن وحى الله عز وجل . ومن عرف حقبة الوجود من رب الوجود فقد  
شدى الى صراط مستقيم .

ان الوحي قد أراح الانسان من عناء البحث فيما يبدد طاقته دون  
الطير بما بشبح ويغنى ، وقدم له ما ينبغى أن يعلمه - وما يستطيعه -  
عن مبدأ الوجود ومصدره ، ومنتهاه وغايته ، وعلته وأسراره ، قدمها  
خالصة سائغة ، سالمة من جدل المجادلين ، وتعمقات المتفلسفين ، وتخرصات  
المتكلمين .

فالوحي وحده هو السبيل الفذة للوصول الى اليقين فى قضايا الوجود  
الكبرى وبغير الوحي لن يكون يقين ، وبغير اليقين لن تكون سكينة ، وبغير  
السكينة لن تكون سعادة .

( ج ) بهذا الايمان البسيط العميق الذى جاء به الوحي ، وأيده  
العقل ، واقتضته الفطرة ، وشهد له كل سطر ، بل كل كلمة فى كتاب الوجود  
المفتوح - سلم المؤمن من الشك والاضطراب ، واستراح من البلبلة والحيرة  
الذهنية والنفسية التى يتجرع غصصها الجاحدون والمرتابون .

بهذا الايمان الواضح المريح ، حل المؤمن ألغاز الوجود الكبرى حين  
عرف مبداه ومصره ، وغايته ومهمته ، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه  
وغايته وهدفه ، فانحلت عقد الشك من نفسه ، وزالت علامات الاستفهام  
الكبيرة من حياته .

لقد عرف أن له ربا - هو رب كل شئ ومليكه - هو الذى خلقه  
فسواه ، وكرمه وفضله ، وجعله فى الأرض خليفة ، وكفل له رزقه ، وسخر  
له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة  
وباطنه ، فاطمأن الى ربه ، ولاذ بجواره ، واعتصم بحبله ، فأوى بهذا  
الايمان الى ركن شديد ، ولاذ بقرار مكين ، واستمسك بالعروة الوثقى  
لا انفصام لها ...

وعرف أن هذه الحياة القصيرة التى يعيشها الناس ممزوجة الخير  
بالشر ، والعدل بالظلم ، والحق بالباطل ، واللذة بالألم ، ليست هى الغاية ،  
ولا اليها المنتهى . انما هى مزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى . تجزى

فيها كل نفس بما كسبت ، فاستراح المؤمن بذلك من التساؤل العريض عن الحياة والموت : ما سرهما ؟ ماذا بعدهما ؟ استراح المؤمن من ذلك حين علم وأيقن أنه خلق للخلود الأبدى ، وانما ينقله الموت من طور الى طور ، او من دار الى دار ...

وعرف المؤمن أنه لم يخلق في هذه الحياة عبثا ، ولم يترك سدى ، فبعث الله اليه رسله بالبينات هداة ومعلمين ، مبشرين ومنذرين ، ليهتدى الناس الى الحق ، ويستبينوا معالم الطريق ، ويعرفوا ما يرضى الله فيبتغوه ، وما يسخطه فيتقوه ، وليقيموا بين الناس موازين القسط ، ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وليكونوا أمثلة رفيعة - تحس وترى - يتخذها الناس أسوة حسنة لصالح الأعمال ومكارم الاخلاق ...

وعرف المؤمن أنه ليس غريبا على الكون الكبير من حوله ، ولا معزولا عنه ، انه بايمانه لم يعد وحده ، ان الكون كله معه . ففطرة هذا الكون هي الايمان ، هي التسبيح والسجود للرب الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى : « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شئ الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا » (١) .

مكاسب الايمان اذن مكاسب عظيمة هائلة ، فهو يقدم للمؤمن تصورا فذا متوازنا منضبطا ينجى المؤمن من عذاب الحيرة والشك ، فالجاحدون بالله ، أو المرتابون فيه ، الشاكون في لقائه يوم الحساب ، يحيون حياة لا معنى لها ولا هدف ، ولا غاية ، ومن ثم فهي حياة لا طعم لها ولا راحة فيها ، حياة كلها قلق وحيرة .

انهم لا يوقنون بشئ يطمئنون اليه ، ويستريحون له في قضية وجودهم أنفسهم ، ووجود الكون كله من حولهم .

ان عقولهم المحدودة لا تستطيع أن تجيبهم اجابة تشفى الصدور ،

وتحقق السكينة واليقين ، وتمحو ظلمات الشك والحيرة والاضطراب ( ١ ) ، وهذا الشك الذى يعانيه الجاحدون الملحدون والمرتابون الشاكون ليس امرا يسيرا هينا ، انه عذاب أليم ، وكوة من جحيم فتحت عليهم ، تلفحهم بنارها ، وكلما خف لهيها هبت عليهم عواصف الشك من جديد ، فاشتعلت النار ، ليزوقوا العذاب ... وهذا القلق امر لا مناص منه .. ، يسلبهم السكينة والسعادة ، وما اصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربطه بين الغم والحزن والسخط والشك ، وربطه الفرح والروح بالرضا واليقين ، حيث يقول : « ان الله عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح فى الرضا واليقين ، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك » ، وتأمل ما يمر به قلب الشاعر المرتاب ( ايليا أبو ماضى ) فى مقطوعته ( الطلاس ) من حيرة وشك وقلق واضطراب :

جئت ، لا اعلم من اين ولكنى اتيت  
ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت  
وسابقى سائرا ، ان شئت هذا أم أبيت  
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟  
لست أدري !!

اجديد أنا أم قديم أنا فى هذا الوجود ؟ !!  
هل أنا حر طليق ، أم أسير فى قيود ؟ !!  
هل أنا قائد نفسى فى حياتى أم مقود ؟ !!  
أتمنى أننى أدري ، ولكن ...  
لست أدري !

وطريقى ، ما طريقى ؟ أطويل أم قصير ؟!  
هل أنا أصعد ، أم أهبط فيه وأغرور ؟!  
أنا السائر فى الدرب ، أم الدرب يسير ؟!  
أم كلانا واقف ، والدهر يجرى ؟!  
لست أدري !!

---

( ١ ) ( الايمان والحياة ) ص ١٠٩ - ١١٤ بتصرف ، وانظر النماذج الشعرية التى تعكس روح الحيرة والشك والقلق والاضطراب التى يعانيها الملحدون والنفاة والمرتابون .



أترانى قبلما أصبحت انسانا سويا  
كنت محوا ومحالا ، أم ترانى كنت شيا ؟ !  
الهذا اللغز حل ، أم سيبقى أبديا ؟  
لست أدري ! .. ولماذا لست أدري ؟!  
لست أدري !

فالمؤمن يمنحه إيمانه تصورا صحيحا ورؤية واضحة ، واجابة  
قاطعة تورثه اليقين والسكينة والاطمئنان ، وتنزع عنه كل قلق وحيرة  
وشك واضطراب ؛ فيعرف مصدره ومصدر هذا الوجود معه ، ومصيره  
ومصير كل شيء ، ومعناه وغايته ، ومركزه في هذا الكون ، وعلاقته  
بالحياة والوجود بأسره .

( د ) ومما يبعث السكينة في نفس المؤمن أن عفيده لا تتركه نهبا  
للنزاع في المسالك يميل مع هذه ، ثم يلوذ بتلك ، لكنها توضح له الغاية  
وترسم له السبيل الى بلوغ هذه الغاية ؛ فلا يتارجح ولا يتردد ، ولا يشك  
ولا يتوقف .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم  
عن سبيله » ( ١ ) « اهدنا الصراط المستقيم » ( ٢ ) .

فقد استراح المؤمن من توزع الغايات وتعدد السبل وتفرقها ، فحصر  
الغايات كلها في غاية واحدة يحرص عليها ، ويسعى اليها ؛ وهى  
رضوان الله تعالى ، ولا يبالي معه برضا الناس أو سخطهم .

وبهذا الصراط المستقيم كان المؤمن في أخلاقه وسلوكه مطمئنا غير  
قلق ، ثابتا غير متقلب ، واضحا غير متردد ، مستقيما غير متعرج ،  
بسيطا غير معقد ، لا يحيره تناقض الاتجاهات ، ولا يعذبه تنازع  
الرغبات ، ولا يحطم شخصيته الصراع الداخلى في نفسه : أيفعل أم يترك ؟  
أيفعل هذا أم ذاك ؟

---

( ١ ) سورة الأنعام - ١٥٣ .

( ٢ ) سورة فاتحة الكتاب .

ان له مبادئ واضحة ، ومعايير ثابتة يرجع اليها في كل عمل وكل تصرف ، وهذا يمنحه سكينه وسلاما لا حدود لهما .

(هـ) كما يزود الايمان المؤمن بتصور رائع لهذا الوجود من حوله ، يجعله يحيى في انس وتواصل وارتباط ، وتناسق معه ، فليس هذا الكون عدوا له ، ولا غريبا عنه ، انه مجال تفكره واعتباره ، ومسرح نظره وتأملاته ومظهر نعم الله وآثار رحمته .

فهذا الكون العظيم كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن ، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن . والمؤمن ينظر اليه نظره الى دليل يهديه الى ربه ، والى صديق يؤنسه في وحشته .

وبهذه النظرة الايمانية الودود الرحبة للوجود ، تتسع نفس المؤمن ، وتتسع حياته ، وتتسع دائرة الوجود الذي يعيش فيه .

فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه الذي وسع العالمين : المنظور وعبر المنظور ، عالم الشهادة وعالم الغيب ، ووسع الحياتين : الدنيا والآخرة ، حياة الفناء وحياة الخلود ، ووسع الوجودين : الوجود المحدث الفانى ، والوجود الواجب الباقي : وجود الله عز وجل .

وليس هناك أضيق من صدر الملحد والشاك في الله والآخرة ، انه يعيش معزولا عن الأزل والأبد ، عن الأمس والغد ، لا يعرف الا يومه ، ولا يعرف من يومه الا لذاته المحسة ، وهو يعيش معزولا عن الوجود العريض ، لا يرى منه الا شخصه وشخصا محدودة أخرى ، ولا يرى من شخصه الا جسمه المادى ، ودوافعه الحيوانية .

فالقلب يتسع وينفسح وينشرح بنور الايمان واليقين ، وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن قول الله تعالى : « أفمن أشرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » (١) .

قال له : « ان النور اذا دخل القلب اتسع وانفسح » .

ويضيق القلب وينكمش بظلمة الاحاد والشك والنفاق : « فمن يرد

الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام • ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا « (١) •

(و) ومن أعظم بواعث السكينة والطمأنينة والرضا - التي يزرعها الايمان في نفس المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر - ذلك الشعور الفذ بأنه ليس في هذا الوجود - وحده ؛ لأنه في معية الله تعالى ، « وان شعور المؤمن بأن يد الله في يده ، وأن عنايته تسير بجانبه ، وأنه ملحوظ بعينه التي لا تنام • وأنه معه حيث كان ، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف ، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج •

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ في كتاب ربه : « والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » (٢) ، « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٣) •

ولا ريب أن فرط احساس الانسان بالوحدة والعزلة لمن أهم العوامل الأساسية للاضطرابات العقلية والنفسية والبؤس •

(هـ) ومما يعمق شعور المؤمن بالسكينة والطمأنينة الى جانب ذلك - شعوره بأنه غير معزول عن اخوانه المؤمنين ، فهم يحيون في ضميره وحسه ووجدانه ، وما أكرم شعور المؤمن بأنه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع أنبياء الله ورسله المقربين ، ومع كل صديق وشهيد وصالح من المؤمنين في كل عصر •

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (٤) •  
وأى مرافقة للانسان أسعد من مرافقة هؤلاء الأبرار الأطهار الأنقياء الاتقياء •

والانسان بهذه المعية الرفيعة يستشعر أن تاريخه طويل ممتد موصول ، وهو تاريخ الايمان والمؤمنين من لدن آدم عليه السلام الى يومه (٥) •

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ • (٣) الحديد ٤ •  
(٢) البقرة ١١٥ • (٤) النساء ٦٩ •  
(٥) المرجع السابق ( بتصرف ) •



(ز) ومعروف أن من أخطر بواعث القلق الذى يعصف بسكينة النفس وأمنها ورضاها هو تحسر الانسان وأسفه وندمه وبكاؤه على ما قد يكون وقع له فى ماضيه ، وسخطه على حاضره ، وخوفه من المستقبل .  
فيحزن حزنا مؤلما على ماضيه ويأسى عليه ، ولا يفتر عن اجترار الامة ، ومضغ ذكرياته الكئيبة ، الى جانب القلق على الحاضر ، والخوف من المستقبل .

أما النفس المؤمنة ، فان عقيدتها تحميها وتصونها من الاستسلام لمثل هذه المشاعر الأليمة ، والأفكار المظلمة ، والاسترسال فى الحزن والتحسر على ما فات ، بل تعتقد أن كل شيء بقضاء الله ، وكل ما قضاه الله وقدره لابد أن ينفذ ، وما أصاب من قضاء الله لا يقابل بغير الرضا والتسليم .

المؤمن لا يقول : لو فعلت كذا لكان كذا ، ولكن يرضى بقضاء الله ، ويقول قدر الله وما شاء فعل . فان لو تفتح عمل الشيطان ، وهل السخط ، والقلق ، وشدة التحسر ، والتبرم الا من وسوسة الشيطان .

المؤمن يعقل عن ربه قوله :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » (١) .

٢ - الايمان يحقق الرضا :

ان شعور الانسان بالرضا من أول أسباب السكينة النفسية التى هى سر السعادة ؛ والمؤمن وحده هو الذى يحس تلك الحالة النفسية الرائعة ؛ فالرضا نعمة روحية جزيلة مبعثها الايمان بالله رب العالمين ، وهيهات أن يصل اليها جاحد بالله ، أو شاك فيه ، أو مرتاب فى جزاء الآخرة .

« فالمؤمن راض عن نفسه ، وعن وجوده ومكانه فى الكون لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة بلا غاية ، ولا كما مهملا بلا قيمة ، ولا شيئاً تافها بلا معنى ، بل هو قبس من نور الله ، ونفخة من روح الله ، وخليفة فى أرض الله » ..

« وهو راض عن ربه ، لأنه آمن بكماله وجلاله ، وأيقن بعدله ورحمته ، واطمأن الى علمه وحكمته ، أحاط سبحانه بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ووسع كل شيء رحمة ، لم يخلق شيئا لهوا ، ولم يترك شيئا سدى ، له الملك وله الحمد ، نعمه عليه لا تعد ، وفضله عليه لا يحد ، فما به من نعمة فمن الله ، وما أصابه من حسنة فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، يثني على الله بقوله : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئ ، واذا مرضت فهو يشفئ ، والذى يميئتنى ثم يحين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » (١) »

« والمؤمن موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه ، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به ، ينظر فى الآفاق والأنفس فيرى آثار بره تعالى ورحمته ؛ فيناجى ربه : « بيدك الخير انك على كل شيء قدير » (٢) » فالخير بيديه ، والشر ليس اليه » .

والمؤمن راض عن الكون والحياة ، والمؤمن عميق الاحساس بنعم الله عليه ، والمؤمن يرى آثار رحمة الله ونعمته فى كل شيء حوله ، ويرى ان نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى ، ولا يفقد المؤمن شعور الرضا الغامر هذا وان أصابته البأساء والضراء ، وهزته زلازل الحياة .

### ٣ - الايمان يورث الأمن النفسى :

لا أمن لمن لا ايمان له ، وعلى قدر الايمان يكون الأمن والسلام النفسى ، يقول عز من قائل : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » . نزلا من غفور رحيم » (٢) .

وقال سبحانه : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (٣) .

(١) الشعراء : ٧٧ - ٨٢ .

(٢) فصلت : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام : ٨٢ .

فايمان المؤمن مصدر أمنه ، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها ؛ انه طمأنينة تتعلق بالمستقبل ، بكل ما يتوقعه الانسان ويخاف منه ، أو يخاف عليه ، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسى وان الناس يخافون من أشياء كثيرة وأمور شتى لكن المؤمن قد سد أبواب الخوف كلها ، فلم يعد يخاف الا الله وحده ، يخافه ان يكون قد فرط فى حقه ، أو اعتدى على خلقه ، أما الناس فلا يخافهم لأنهم لا يملكون له ضرا ، ولا نفعا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا .

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ( ١ ) .

« وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فو رب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ( ٢ ) .

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » ( ٣ ) .

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وأياكم » ( ٤ ) .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى » ( ٥ ) .

ولا خوف من الموت وانقضاء الأجل :

« وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا كتاب » ( ٦ ) .

« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ( ٧ ) .

« ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » ( ٨ ) .

ولا ريب أن الخوف يستلب السعادة ، فلا أمن ، ولا طمأنينة ، ولا سلام ، ولا رضا ، ولا سعادة مع الخوف ، واقرا هذه الصورة النفسية التى سجلها احد الخائفين ، وتأمل : كيف يكون الخوف فى غيبة العقيدة الايمانية ؟

- 
- |                                   |                               |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| ( ١ ) سورة الذاريات ( ٥٨ ) .      | ( ٥ ) سورة طه ( ١٣٢ ) .       |
| ( ٢ ) سورة الذاريات ( ٢٢ ، ٢٣ ) . | ( ٦ ) سورة فاطر ( ١١ ) .      |
| ( ٣ ) سورة هود ( ٦ ) .            | ( ٧ ) سورة الاعراف ( ٣٤ ) .   |
| ( ٤ ) سورة العنكبوت ( ٦٠ ) .      | ( ٨ ) سورة المنافقون ( ١١ ) . |

» ... اننى أعيش فى خوف دائم ، فى رعب من الناس والأشياء ، ورعب من نفسى ، لا الثروة أعطتنى الطمأنينة ، ولا المركز الممتاز أعطانيها ، ولا الصحة ، ولا الرجولة ، ولا المرأة ، ولا الحب ، ولا السهرات الحمراء ... ضقت بكل شيء ، بعد أن جربت كل شيء .

اننى أكره نفسى ، أخاف من نفسى ، ألا ترى الأشباح من حولى ؟ ألا تحس بالخوف يفتح فمه لكى يلتهمنى ! مم هذا ؟ ليست لى هموم ، ان همى الأكبر هو هذه الدنيا ... المال عندى ، المركز والجاه والصحة والمرأة والجمال ، .. و .. كل شيء بين يدي ، كل شيء ملكى ، لماذا أنا خائف اذن مم أخاف ؟

من الله ؟ كلا ! ان الله لا وجود له فى حياتى ، مم اذن أخاف ؟ من الموت ؟ ربما ، ولكنى لا أبالى به ، لا أشعر أننى أخافه ، انه عندى مجرد ظاهرة ، من أين يأتى الخوف اذن ؟

ربما كنت خائفا لأنه لا يوجد شيء أخاف منه ، ربما كنت خائفا لأن كل شيء بين يدي ، محضر لدى ، ان الامتلاء كالجوع كلاهما يخيف !! ، لو كان المال ليس حاضرا لدى لتمنيته وسعيت من أجله ... لو كان المركز المحترم بعيدا عنى لبذلت جهدى لكى ابلغه ، ولكن كل شيء موجود : المال ، والمرأة ، والأصدقاء ، والاحترام .

كل ما يسعى الناس اليه ويفكرون فيه ميسر لى : ليس لى ما يشغلنى أو يتعبنى الحصول عليه .. حياتى فراغ .. همومى ؟ لا هموم لى ... اذن لا بد أن أخاف ، لأننى لا أجد ما أخاف منه ، لا بد أن أخاف من المجهول الذى لا أعرفه ...

اننى تأته فى الحياة ... ان الحياة الآن هى عدوى ... اننى أشعر أنها تسخر منى ، وتقف فى وجهى ، كالغول .... عرفت الآن مم أخاف ... « (١) » .

---

(١) مقتبسة من يوميات الأستاذ محمد زكى عبد القادر على لسان صديق له : ( عن الايمان والحياة ص ١٥٦ - ١٥٧ ) .



أى خوف هذا الذى ملا على هذا المرتاب المسكين أقطار نفسه ١٢ ،  
ان الملحددين الجاحدين والشاكين المرتابين يعانون الخوف المقق  
العاصف الذى يسلبهم نعمة الامن والسكينة والسلام النفسى .. انهم يخافون  
كل شىء ، ويخافون من الاشياء ، يخافون الزمن ، والمحن ، والفقر ،  
والمرض ، والناس ، والموت ، يخافون مما يعلمون ، ومما يتوهمون ..  
وهم يخلقون ما يخافون .

#### ٤ - الايمان يمنح الأمل والتفاؤل والاستبشار :

الأمل ، وما أدراك ما الأمل !!

انه أكسير الحياة ، ودافع نشاطها ، ومخفف ويلاتها ، وباعث البهجة  
والسعادة فيها ، به تنمو شجرة الحياة ، ويرتفع صرح العمران ، والأمل  
قوة دافعة تشرح الصدر للعمل ، وتخلق دواعى الكفاح من أجل الواجب ،  
وتبعث النشاط فى الروح والبدن ؛ وحيث يكون الأمل يكون الاستبشار  
والتفاؤل ، وينقشع اليأس والقنوط والتشاؤم والتبرم والضجر والسخط  
والتعاسة .

واذا تغلب اليأس على انسان ، أى انسان ، اسودت الدنيا فى وجهه ،  
وضاقت الحياة بما رحبت ، أمام عينيه ، وأوصدت الأبواب ، وتقطعت  
الأسباب ، فهو سم بطيء للروح والنفس والوجدان .

ولا وراء أن اليأس قرين الكفر ، ولا غرو أن نرى أن الكافرين آياس  
الناس ، كما نجد اليائسين أكفر الناس ، فهناك تلازم بين اليأس والكفر ؛  
كلاهما سبب لآخر وثمره له : اليأس يلد الكفر ، والكفر يلد اليأس  
والقنوط :

« انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (١) .

« ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (٢) .

وأظهر ما يتجلى يأس اليائسين ، وقنوط القانطين عند نزول الشر  
والشدائد :

« وإذا انعمنا على الانسان اعرض وضى بجانبه واذا مسه الشر كان  
يتوسا » (١) .

« وان مسه الشر فيئوس قنوط » (٢) .

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس  
كنور » (٣) ثم استثنى من ذلك : « الا الذين صبروا وعملوا  
الصالحات » (٣) .

وهكذا فكل من فقد اليقين الجازم بالله ولقائه ، وحكمته وعدله ، فقد  
حرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون والحياة ، وعاش ينظر الى الدنيا  
بمنظار أسود قاتم ، ويرى الأرض غابة ، والناس وحوشا ، والعيش عبثا  
لا يطاق .

اما الايمان والأمل فانهما متلازمان ، والمؤمن أوسع الناس أملا ،  
وأكثرهم تفاؤلا واستبشارا وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر والياس  
والقنوط ؛ اذ الايمان معناه الاعتقاد باله عظيم يدبر الكون ، ولا يخفى  
عليه شيء ، ولا يعجز عن شيء ، قوته غير محصورة ، رحمته غير متناهية ،  
كرمه غير محدود . . الهقدير رحيم يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف  
السوء ، يمنح الجزيل ، ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو  
عن السيئات ، اله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وأبر بخلقه من  
أنفسهم . اله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار  
ليتوب مسيء الليل . اله يفرح بتوبة عبده ، اله يجزى الحسنة بعشر أمثالها  
الى سبعمائة ضعف أو يزيد ، ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو . اله يدعو  
المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد .

فالمؤمن الذى يعتصم بهذا الاله البر الرحيم ، العزيز الحكيم ، الغفور  
الودود ، ذى العرش المجيد ، الفعال لما يريد - يعيش على أمل لا حد  
له ، ورجاء لا تنفصم عراه ، وتفاؤل واستبشار .

---

(١) الاسراء / ٨٣ .

(٢) فصلت / ٤٩ .

(٣) هود ٩ - ١١ .

## ه - الايمان يثمر الحب فى القلوب :

ما أروع الحب !

فانه اذا استقر فى القلب ، أخلى البغض والكراهة والشنآن والحقد والحسد ، وليس باعث على الحب الحقيقى النقى الصافى كالايمان ؛ فالحب والايمان قرناء .

ما أروع الحب !

« فانه يحول المرحوا ، والتراب تبرا ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذى يلين الحديد ، ويذيب الحجر ، ويبعث الميت ، وينفخ فيه الحياة ..

» ان هذا الحب هو الجناح الذى يطير به الانسان المادى الثقيل فى الأجواء العليا ، ويصل من الثرى الى الثريا « ...

والايمان وحده هو ينبوع الحب المصفى ، والمؤمن وحده هو الذى يستطيع أن يحب .. يحب الوجود كله : بدايته ونهايته ، الموت فيه والحياة ... والمؤمن يحب الله واهب الحياة ومصدر الخلق والأمر ، والايجاد والامداد ، ويحب الطبيعة فهى أثر من آثار الله ، ويحب الحياة ، ولا يكره الموت ، ويحب الناس لأنهم اخوانه فى الآدمية ، وشركاؤه فى العبودية لله ، جمع بينه وبينهم رحم ونسب .

والمؤمن سليم الصدر لا يحسد ولا يحقد ، وما أجل قول رسولنا صلى الله عليه وسلم - وهو يربط بين الايمان والحب فى عروة واحدة ، فيقول : « والذى نفسى بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا » (١) .

## ٦ - أثر العقيدة فى ارتفاع الروح المعنوية للمؤمن :

ان أشد الناس جزعا ، وأكثرهم هلعا ، وأسرعهم انهيارا أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الايمان .

---

(١) الشاعر جلال الدين الرومى صاحب ( المثنوى ) عن الشيخ أبى الحسن الندوى فى كتابه : ( رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ) ص ٢٨٨ ( الايمان والحياة ) ص ١٧٥ وما بعدها .

انهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به ، ولا باله فيطمئنوا الى حكمته في خلقه ، ولا بانبياء فيجدوا في حياتهم القاسية قدوة وعبرة ، ولا بحياة أخرى فتهد عليهم نسماتها منعشة للنفس ، طاردة للكآبة ، باعثة للأمل . وقد كشف القرآن هذا النموذج من الناس فقال :

« وان مسه الشر فيئوس قنوط » ( ١ ) « واذا مسه الشر كان يئوسا » ( ٢ ) .

« ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به . وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » ( ٣ ) .

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور » ( ٤ ) .  
اما المؤمنون فهم أصبر الناس على البلاء ، وأثبتهم في الشدائد ، وأرضاهم نفسا في الممات ؛ عرفوا قصر عمر الدنيا بالنسبة للخلود فلم يطعموا أن تكون دنياهم جنة قبل الجنة :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » ( ٥ ) ، « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » ( ٦ ) .

« عرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عمياء ، ولا خبط عشواء ، ولكنه وفق قدر معلوم ، وقضاء مرسوم ، وحكمة أزلية ، وكتابة الهية ، فأمنوا بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ...

« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسهم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير » ( ٧ ) .

« وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة ، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم ، تنضج نفوسهم ، وتصلق إيمانهم ، وتذهب صدا قلوبهم :

- 
- |                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| ( ١ ) سورة فصلت / ٤٩ . | ( ٥ ) النساء / ٧٧ .    |
| ( ٢ ) الاسراء ٨٣ .     | ( ٦ ) آل عمران / ١٨٥ . |
| ( ٣ ) الحج / ١١ .      | ( ٧ ) الحديد / ٢٢ .    |
| ( ٤ ) هود / ٩ .        |                        |



» مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء كمثل الحديد تدخل النار ،  
فيذهب خبثها ، ويبقى طيبها .

وان الاحاد والارتياب وما بنى عليهما من مذاهب وفلسفات مادية  
لا يستطيع ان تهب نظمها للناس الروح المعنوية العالية التى تهون عليهم  
الشدائد ، وتمدهم بالصبر والثبات فى الازمات ؛ وعدم الخضوع امام  
الشهوات والمحرمات .

٧ - العقيدة تغرس الشعور بالعزة والكرامة فى نفس المؤمن :

مكانة الانسان فى نظر الماديين :

لئن كان الانسان مطلقا - فى نظر الماديين - قطعة من تراب الأرض ،  
منها نشأ ، وعليها قامت حياته ، واليها يعود .

وهو - فى تصورهم - كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب  
والأنسجة والغدد والخلايا ، وما العقل والتفكير الا مادة يفرزها المخ ،  
كما تفرز الكبد الصفراء ، أو كما تفرز الكلية البول !! على حد تعبير  
المفكر المادى ( كارل فخت ) .

انه كائن مثل غيره من الهوام والزواحف والبهائم والحشرات والقروء ،  
الا أنه ( تطور ) مع الزمن فأصبح هذا الانسان . ومن ثم فلا امتياز له ،  
ولا أهمية ، ولا تكريم ، ولا تفضيل ، ولا خلافة له ، ولا أمانة يحملها  
من دون الخلائق .. انه هيكى مادى بأكل ويشرب وينام ويستيقظ ،  
ويتقلب فى البلاد ، وقضى الأمر . وهو كائن صغير حقير اذا ما قيس حجمه  
الى حجم الجبال والكواكب والسيارات ، وهو حديث طارىء فى الزمان  
اذا ما قيس الى عمر الأرض التى يدب فوقها .

مكان الانسان فى نظر الاسلام :

قال تعالى :

» ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من  
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا « (١) .

« اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس » (١) .

« واذا قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الارض خليفة » (٢) « وعلمه آدم الاسماء كلها » (٣) .

« لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » (٤) « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك » (٥) .

لقد تفضل الله سبحانه ، فخلق الانسان بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الاسماء كلها ، وعلمه البيان ، وأسجد له ملائكته الأبرار الأطهار ، وسواه وعدله وفى احسن تقويم وصورة ركبه ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق ، وجعله خليفة له اعمار هذه الحياة الدنيا ، بما زوده من العقل والارادة ، ثم حملة الأمانة والمسئولية (٦) وخاطبه وأرسل اليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وحفظه بملائكته . واستعمله لنفسه سبحانه ثم سخر له هذا الكون ، وذلل له ، وجعله من أجله ؛ والآيات تترى فى ذلك ، منها قوله تعالى :

« الله الذى خلق السموات والارض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ،

(١) سورة ص / ٧١ - ٧٤ .

(٣) البقرة ٣٠ .

(٢) البقرة ٣١ .

(٤) التين ٤ .

(٥) الانفطار / ٦ - ٨ .

(٦) قارن فى هذا المراجع التالية : ( احياء علوم الدين ) للغزالى ، و ( مدارج السالكين ) لابن القيم ، عباس العقاد : « الانسان فى القرآن » ، د . بنت الشاطىء « الانسان فى القرآن » ، سيد قطب : ( خصائص التصور الاسلامى ) و ( مقومات التصور الاسلامى ) ، د . أبو اليزيد العجمى : ( الانسان بين المسئولية والتكريم ) طبعة رابطة العالم الاسلامى . والدكتور يوسف القرضاوى : ( الايمان والحياة ) . والاستاذ محمد الغزالى : ( نظرات فى القرآن ) .

وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، آتاكم من كل ما سألتموه ، وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها « ( ١ ) .  
« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة » ( ٢ ) .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ( ٣ ) .

تلك هى مكانة الانسان فى هذا الكون . ولا ريب أن الذى بواه هذه المكانة السامقة ما فيه من سر القبس الالهى ونور النفخة التى فيه من روح الله .

ولقد سما الاسلام بالانسان فاعترف به كله ، روحه وجسده ، عقله وقلبه ، ارادته ووجدانه ، غرائزه الهابطة ، وأشواقه الصاعدة ... لم يضع فى عنقه غلا ، ولا فى رجله قيда ، ولم يحرم عليه طيبا ، ولم يغلق فى وجهه باب خير ، ولم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به ، ويبيعون له صكوك الغفران ؛ بل خاطبه خطابا مباشرا :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك ، فسواك ، فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك » ( ٤ ) « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » ( ٥ ) .

« هذه بعض معانى العزة والكرامة التى تغرسها العقيدة فى قلب المؤمن باعتباره ( انسانا ) ، ولكنه بوصفه ( مؤمنا ) يشعر بكرامة أعمق ، وعزة أشمخ ، ويسمو به ايمانه الى سماء ما بعدها سماء .

فهو بوصفه عضوا فى أمة الايمان يشعر بكرامة أعلى وعزة أسمى :

- 
- ( ١ ) سورة ابراهيم ٣٢ - ٣٤ . ( ٣ ) الجاثية ١٢ - ١٣ .  
( ٢ ) لقمان ٢٠ . ( ٤ ) الانفطار ٦ - ٨ .  
( ٥ ) الانشقاق .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (١) .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (٢) .  
« هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » (٣) .

يشعر المؤمن بالعزة التى سجلها الله فى كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزء  
لنفسه سبحانه ، ولرسوله : « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٤) .

ويشعر بالكرامة التى بها يعلو ولا يعلى ، ويسود ولا يساد :

« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (٥) .

ويشعر أنه فى ولاية الله البر الرحيم ؛ ولاية المعونة والنصرة ،  
والرعاية والهداية : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا  
مولى لهم » (٦) « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور  
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » (٧) .

ويشعر المؤمن أنه فى معية الله الذى يكلؤه دوما بعينه التى لا تنام ،  
ويحرسه فى كنفه الذى لا يرام ، ويمده بنصره الذى لا يقهر :

« واعلموا أن الله مع المتقين » (٨) « وكان حقا علينا نصر  
المؤمنين » (٩) .

« ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجى  
المؤمنين » (١٠) .

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (١١) .

فالمؤمن فى حماية الله القوى القدير ، يزود عنه ، ويرد عن صدره  
سهام الكائدين والمعتدين .

- 
- |                    |                                   |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) آل عمران ١١٠ . | (٧) البقرة ٢٥٧                    |
| (٢) البقرة ١٤٣ .   | (٨) البقرة ١٩٤ ، والتوبة ٣٦ ، ١٢٣ |
| (٣) الحج ٧٨ .      | (٩) الروم ٤٧ .                    |
| (٤) المنافقون ٨ .  | (١٠) يونس ١٠٣ .                   |
| (٥) النساء ١٤١ .   | (١١) الحج ٣٨ .                    |
| (٦) محمد ١١ .      |                                   |



والقرآن يجعل المؤمنين حقا مقياسا لصلاح الأعمال أو فسادها ،  
محكمهم عند الله معتبر ، ورؤيتهم للأعمال مقرونة برؤية الله ورسوله :  
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١) . ولئن كانت  
هذه الآية الكريمة توحى بأن رضا المؤمنين من رضا الله ، فإن مقتهم أيضا  
من مقت الله سبحانه : « كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا » (٢) .

#### ٨ - التوحيد والتحرير :

هذه المعانى الكبيرة ، والمشاعر الرفيعة اذا سرت في كيان فرد ،  
وتحقق بها وجدانه ، جعلت منه ، ولا شك ، انسانا عزيزا كريما ، كبير  
النفس ، كبير الآمال ، انسانا لا يحنى رأسه لمخلوق ، ولا يطأطئ رقبته  
لجبروت ، أو طغيان ، أو مال ، أو جاه . ويكون شعاره : « أنا سيد  
في هذا الكون ، عبد لله وحده » .

وتأمل في ضوء ذلك ، ما أجاب به ( ربيع بن عامر ) - ذلك  
البدوى الأُمى الأعرابى الجافى الحافى بعد أن ملأ الايمان قلبه ، وخالط  
وجدانه ، وامتزج بروحه - ( رستم ) قائد الفرس الأعظم ، غير آبه  
ولا هيب ، ولا متردد ولا خوار ، حين سأل :

من أنتم ؟

اجابة هذا الأعرابى في عزة مؤمنة ، وايمان عزيز ، قال :

« نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد ، الى عبادة  
الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل  
الاسلام » .

لامراء أن هذا الأثر المتفرد الذى تنشئه العقيدة الاسلامية في ضمير  
المسلم وفي حياته ، وفي كيان المجتمع المسلم ، وفي نشاطه بخاصية توحيد  
الله التى تقوم عليها وبها هذه العقيدة ، .. إنه تحرير الانسان .

ان توحيد الألوهية ، وتفردا بخصائص الألوهية ، واشتراك كل ما  
عدا الله ، ومن عداه ، في العبودية ، وتجردهم تجردا كاملا وخالصا من

(١) التوبة ١٠٥ .

(٢) غافر ٣٥ وانظر : ( الايمان والحياة ) ص ٦٣ - ٧٥ .

( م ٤ - الايمان )

اي من خصائص الألوهية . ان مقتضى هذا : ألا يتلقى الناس الشرائع في أمور حياتهم الا من الله ، كما أنهم لا يتوجهون بالشعائر الا لله : نوحيدا للسلطان الذي هو اخص خصائص الألوهية ، والذي لا ينازع الله فيه مؤمن ، ولا يجترىء عليه الا كافر .

والعقيدة الاسلامية ، بهذا القطع الحاسم في هذه المسألة تعلن ( تحرير الانسان ) انها بذلك ، تخرج الانسان من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، و ( الانسان ) بمعناه الكامل لا يوجد في الأرض ، الا يوم تتحرر رقبته ، وتتحرر حياته ، وضميره ، واعتقاده من خشية غير الله والخضوع له .

والناس جميعا - خارج نطاق العقيدة الاسلامية - يقعون - في صور ، من الصور - في عبودية العباد ، وفي ظل العقيدة الايمانية ، بتوحيد الله سبحانه ، يتحررون من هذه العبودية للعباد ، بعبوديتهم لله وحده .  
هذه هي الهداية الالهية التي يهديها للناس بعقيدة التوحيد ، ...  
رحمة هي النعمة الربانية التي يمن بها على عباده .

هذه هي الهدية التي يملك اصحاب عقيدة التوحيد ان يهدوها - بدورهم - للبشرية كلها ، وهذه هي النعمة التي يملكون أن يفيضوا منها على الناس ؛ بعد أن يفيضوها على انفسهم ، ويرضوا منها ما رضى الله لهم .

أجل هذا هو الجديد الذي يملك اصحاب عقيدة التوحيد أن يتقدموا به للبشرية اليوم ، لأنه يمنحها ما لا تملك ، فهو شيء آخر غير كل ما لديها من تصورات وعقائد ، وأفكار وفلسفات وأنظمة وأوضاع ( ١ ) .

---

( ١ ) انظر : « خصائص التصور الاسلامي » لسيد قطب رحمه الله ص ٣٣٠ - ٣٣٨ ( بتصرف ) طبعة الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية . وانظر كتاب ( الدين ) للدكتور دراز ، وكتاب بديع الزمان سعيد النورسي : ( الانسان والايمان ) تعريب احسان قاسم الصالحى ، نشر دار الاعتصام . ورسالة الدكتور محمد يوسف موسى ( العقيدة وخطر الانحراف ) سلسلة الثقافة الاسلامية ٢٩ .

## ثانيا : اثر العقيدة فى المجتمع :

### تمهيد :

ليس المجتمع الا مجموع افراده ، وعلى قدر صلاح هؤلاء وسعادتهم يكون صلاح المجتمع وسعاده . ومجتمع المؤمنين يتمتع افراده بحالة من الصحة النفسية العالية ، يتمتعون بسكينة النفس ، النابعة من مسايرتهم للفطرة المستقيمة ، ومن تصورهم الصحيح للوجود مصدرا ومصيرا ، ومن نوحده غاياتهم وعدم توزع السبل بهم ، ومن تصورهم الرحب للكون والحياة والانسان ، ومن شعورهم بعدم الوحدة والانعزال فهم فى معية الله ، وحفظه وكلاءته ، ومن ايمانهم بقدر الله وتسليمهم به ، وبذا سكنت نفوسهم فلا قلق ، ولا حزن ، ولا اكتئاب ، ولا ندم ، ولا حسرة ممضة تاتلة .

انهم يتمتعون بالرضا ، فهم راضون عن انفسهم ، وعن مكانهم فى الحياة ، راضون عن ربهم العادل الرحيم ، راضون عن تدبيره وتقديره ، كما أن احساسهم بنعم الله عليهم عميق فياض ، فلا سخط ولا تبرم ، ولا ضجر .

انهم يتمتعون بالأمن النفسى والسلام مع الذات ، وايمانهم مصدر امنهم ومنبعه ، فلا خوف من شئ ، فلا شئ ينفع ، ولا شئ يضر الا باذن الله ، انهم لا يخافون على رزق ، فهو مقسوم ، ولا يخافون على أجل لانه مكتوب .

انهم يتمتعون بالأمل الرحب والاستبشار والتفاؤل ؛ والأمل مادة السعادة وعنصرها الرئيسى ، لا يعرفون يأسا ، ولا يخشون بأسا ، لا يحل القنوط بساحتهم ، ولا يعرف اليأس بابهم . وهل شئ يزرع الأمل فى القلوب غير الايمان بالله ولقائه وحكمته وعدله !!

انهم يعيشون بالحب ؛ يعرفون روعته وضرورته ، وايمانهم هو نبع حبهم ؛ انهم يحبون ربهم ، ويحبون الطبيعة حولهم ، ويحبون الناس ، صدورهم سليمة نقية من أدواء الحسد والحقد والضغائن والكرد الأعمى .

روحهم المعنوية عالية ، زودهم ايمانهم بقوة وثبات لا حدود لهما ،  
قوة ازاء الشدائد والكوارث والمصائب ، وثبات أمام الشهوات المحرمة  
والرغبات الآثمة .

هؤلاء ملأت عقيدتهم نفوسهم بشعور سام بالعزة والكرامة ؛ عرفوا  
كرامة الانسان على ربه فكرموه ، وعرفوا تسخير الكون لهم فانتفعوا به ،  
وللمؤمنين كرامة خاصة عند الله رب العالمين .

وتمنحهم عقيدة التوحيد انعتاقاً وتحرراً من الخوف والخشوع والتذلل  
لغير الله ، فلا مخلوق مهما عظم تسلطه ، وتمادى في افساده وطغيانه  
يستحق العبادة - في أى صورة من صورها - من دون الله ؛ لأن الله وحده  
المستحق للعبادة - بكل صورها لتفردده وحده بكل خصائص الألوهية .  
مجتمع هذا حال أفراده - في ظل ايمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله  
واليوم الآخر والقدر - لابد أن يتمتع بالصحة والعافية والسعادة الوارفة .  
« وان أخص ما يميز المجتمع الراقى ، المجتمع الفاضل ، المجتمع  
السعيد ، هو التماسك والترابط . المجتمع الفاضل هو الذى يتعارف أبناؤه  
فلا يتناكرون ، ويتحابون فلا يتباغضون ، ويتعاونون فلا يتخاذلون ،  
ويتعاملون فيما بينهم بالعدل والرحمة ، فلا يبغى بعضهم على بعض ،  
ولا يقسو بعضهم على بعض ، فلا ينسى الواجد المحروم ، ولا يهمل القادر  
العاجز ، ولا يأكل الكبير الصغير ، ولا يعدو القوى على الضعيف » (١)  
وهذا لن يتحقق الا بالتزام أفراده بالأخلاق القويمة ، والقيم الرفيعة  
وحرصهم على تنفيذ تشريعاته ونظمه ؛ وهذا لن يأتى الا اذا كانت العقيدة  
راسخة والايمان عميقا مسيطرا ؛ فلا صلاح يرجى لمجتمع ، ولا رقى يرام  
الا فى ظل عقيدة التوحيد والايمان بالله واليوم الآخر .

### العقيدة والأخلاق :

« .سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أكمل ايماننا ؟

قال : أحسنهم خلقا (٢) .

(١) د . القرضاوى ، مرجع سابق ص ٢٠٢ .

(٢) رواه الطبرانى .



وقال صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟

قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » ( ١ ) .

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لصمت » ( ٢ ) .

الايمان قوة عاصمة عن الدنيا ، دافعة الى المكرمات ، ومن ثم فان الله عندما يدعو الى خير أو ينفر من شر ، يجعل ذلك مقتضى الايمان فى فلوبهم ، وما أكثر ما يقول فى كتابه العزيز : « يا أيهما الذين آمنوا » ثم يذكر بعد - ما يكلفهم به : « . . اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ( ٣ ) . مثلاً .

والدين هو الذى يحدد للانسان سلوكه المستقيم ، ويرسم له طريقاً موصلًا الى غايته ، ثم يدفعه الى السير فى هذا الطريق القويم . اما القانون وحده فلا يكفى لضبط السلوك الانسانى ، والقانون لا بد له من سلطان الحكومة حتى ينفذ ويراعى ، يقول الدكتور دراز :

« لا قيام للحياة فى الجماعة الا بالتعاون بين أعضائها ، وهذا التعاون انما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع ، يكفل مهابته فى النفوس ، ويمنع انتهاك حرماته .

ونقرر انه على وجه الارض لا توجد قوة تكافئ قوة التدين ، او تدانيها فى كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه ، والتتألم أسباب الراحة والطمأنينة فيه .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) البخارى .

(٣) التوبة ١٢٩ أنظر للشيخ محمد الغزالى : ( خلق المسلم )

ص ٩ - ٣٢ طبعة الدوحة ، ولنا : ( الفكر الأخلاقى : دراسة مقارنة ) ص ١٢٣ وما بعدها .

« والسّر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بان حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا في عنقه ، ولا يجري في دمه ولا في عضلاته ولا في أعصابه ، وإنما هو معنى إنسانى روحانى أساسه الفكرة والعقيدة » .

ولقد ضل قوم قلبوا هذا الوضع ، وحسبوا أن الفكرة والضمير لا يؤثران في الحياة المادية والاقتصادية بل يتأثران بهما . ( يـ قصد الماركسيين ) .

أجل أن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق ، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل ، فإن الذى يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمل متى اطمأن الى أنه سيفلت من طائلة القانون .

ومن الخطأ البين أن نظن أن فى نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء وعوضاً عن التربية والتهديب الدينى والخلقى ، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ، ولا بد فى حسن استخدامه من رقيب أخلاقى يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض ، لا الى الشر والفساد ؛ ذلكم الرقيب هو العقيدة والايمان، (١) .

لا أخلاق بغير دين :

بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون ؛ فالدين هو المصدر الفذ المعصوم الذى يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها ، والدين هو الذى يربط الإنسان بمثل أعلى يتطلع اليه ويعمل له . والدين هو الذى يحد من أنانية الفرد ، ويكفكف

من طغيان غرائزه ، وسيطرة عاداته ، ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربى فيه الضمير الحى الذى على أساسه يرتفع صرح الأخلاق .

كما أن للايمان والعقيدة سلطانا يفوق سلطان العادات والغرائز ، وای سلطان آخر .

### العقيدة وبناء الضمير :

ان عقيدة المؤمن فى الله أولا ، وعقيدته فى الحساب والجزاء ثانيا ، تجعل ضميره فى حياة دائما وفى صحو أبدا ، فهو يراقب نفسه ويحاسبها ويلومها . ولا ريب أن لهذا الضمير الحى الذى يتكون فى ظل الايمان والعقيدة أثره فى مجالات الحياة كلها ؛ يلمس أثره فى أداء الحقوق المالية وهى مسألة مهمة فى العلاقات بين الناس ، كما يلمس أثره فى الاعتراف بالجريمة فى شجاعة وتحمل العقوبة فى جرأة خشية لله تعالى وتطلبا لمرضاته . وعلى الجملة يلمس أثره فى رعاية القوانين بعمامة والامانات بخاصة ، كما يلمس فى مجال خطير أثره على المجتمع ، ألا وانه مجال الحكم والسياسة والسلطان (١) ، ومن الجدير ذكره أنه لا ضمير حقيقى بغير عقيدة ايمانية تغذيه وتحميه .

### الدين والمجتمع :

ان الخدمة الجليلة التى تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند حد ؛ فليست كل مهمتها أنها المبعث القوى لتهديب السلوك ، وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ، ومقاومة الفوضى والفساد ؛ بل ان لها وظيفة ايجابية أعمق أثرا فى كيان الجماعة ؛ ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم ، لا يعدله رباط آخر من الجنس ، أو اللغة ، أو الجوار ، أو المصالح المشتركة .

بل ان هذه العلائق مجتمعة ، مهما يكن أثرها الظاهرى من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل ، تظل روابط سطحية تضم الأفراد كما

---

(١) د . القرضاوى ، مرجع سابق ص ٢٠١ - ٢٥٦ .

تضم الاعواد فى ضغث ، ولا تزال تتخللها الفجوات والثغرات والحواجز النفسية .

حتى تشدها رابطة الأخوة فى العقيدة ، والمشاركة فى المثل العليا ، فهناك تعود الكثرة وحدة ، وتصبح النفوس كالمرايا المتقابلة ، تنعكس صور بعضها فى بعض .

بل كثيرا ما تستغنى هذه الوحدة الروحية عن سائر الوحدات الأخرى ، فتتعقد بها أقوى الوشائج وأدومها بين أفراد اختلفت أجناسهم ، وتباينت لهجاتهم ، وتباعدت ديارهم ، وتفاوتت مصالحهم .

وكثيرا ما نرى الدول التى تقوم على قاعدة المصالح المشتركة فى الوطن بين ملل مختلفة تضطر الى الاستنجاذ بما فى هذه الأديان كلها من مبدأ التعاون على الخير ، والتناصر على دفع عدوات المغيرين .

ولذلك قيل بحق : ان الوطنية التى لا تعتمد على باعثة الدين انما هى حصن متداع يوشك أن ينهار (١) .

هذا ، ولا ريب ان للعقيدة تأثيرا ايجابيا لا يبارى فى مجالات متنوعة مما يهم المجتمع والناس ؛ كالصحة والنظافة ، والتعليم والتفكير والتهديب والاصلاح ، والعمل والانتاج ، والاقتصاد وتنظيم الاستهلاك ، والتعاون والتآخى ، والتناصر ، والتواصى بالحق والصبر ، الى غير ذلك مما يطول شرحه وتفصيله . وباختصار يقال : ان العقيدة هى وحدها القادرة على تفجير كافة طاقات المجتمع وملكاته ؛ كما أنها وحدها القادرة على توجيه ادراكه وارادته ووجدانه ، وصهره فى بوتقة واحدة نحو السعادة فى هذه الحياة الدنيا والآخرة .

## نبذة عن مصدر العقيدة .. ، وبيان قصور الميتافيزيقا وتهاافتها في فهم الألوهية

يذكر الفلاسفة أنهم يبحثون - في فلسفة ما وراء الطبيعة - عن علة  
العلل ، أو عن محرك الكون وخالقه ، أو عن الله تعالى .. أى أنهم  
يبحثون عن وجود الخالق عز وجل . والحق أن هذه غاية شريفة ، وإن  
كان الاقرار بوجود الخالق أمر فطرى .. بمعنى أنه مركز في أعماق كل  
إنسان أن له ولهذا الكون خالقا .. وقد أصاب من الفلاسفة من رأى أن من  
الأدلة على وجود الخالق عز وجل الدليل الفطرى .. وقد جمع الفلاسفة  
إلى هذا الدليل الفطرى على وجود الخالق ، الدليل العقلى أيضا .

وهم بذلك قد أقروا بوجود الخالق فطرة وعقلا . لكن هل عرفوا -  
وأنى لهم - ما هى صفات هذا الخالق ؟ ما هى قدرته وما حدودها ؟  
وما علمه ومدى إحاطته ؟ كيف يخلق ؟ ماذا يريد منا نحو أنفسنا ؟ ونحو  
الكون ؟ ونحوه سبحانه ؟ ما صلته بنا ؟ وبالكون ؟ ما صلتنا به ؟ ما  
منهجه ؟ ما إرادته ؟ ما المصير الذى قدره للكون ولنا ؟ هل هنالك عوالم  
أخرى فى هذا الكون غيرنا ؟ وهل هنالك علاقة ما بيننا وبينهم على فرض  
وجودهم ؟ وهل مصيرهم مثل مصيرنا ؟ إلى آخر هذه الأسئلة الضرورية  
الملحة .

أقول : إن سؤال الفلاسفة : هل لهذا الكون خالق ؟ قد أجابوا عليه  
بفطرتهم وعقولهم .. وإن عقولهم - التى خلقها هذا الخالق وزودهم  
بها - لقادرة على الإجابة على هذا السؤال « هل للكون خالق ؟ » .

أما الأسئلة الأخرى التى طرحنا نماذج لها مثل صفات الخالق  
عز وجل ، وما يريده من الخلق ، ومصير الخلق ، وصلة الخلق به ،  
وصلته تعالى بخلقه ، والعوالم الأخرى وصلتنا بها .. إلى آخره .. فإن  
العقل الإنسانى لا يقدر على الوصول إلى إجابات عليها .. إنها أسئلة  
إجاباتها فوق طاقة العقل ووراء قدراته ..



كيف للعقل أن يعرف هل توجد هنالك عوالم أخرى غيرا مثل  
الملائكة والجن .

انى للعقل أن يعرف المصير الذى قدر لهذا الكون - والمصير الذى  
يسير اليه الانسان ؟

كيف للعقل الانسانى أن يدرك ما يريد الله منا وما لا يريد ؟

انى لعقل البشر أن يقف على صفات الله الخالق ؟

كيف يدرك العقل البشرى الصلة بيننا وبين الخالق عز وجل ؟ أو  
كيف يخلق الله الخلق ؟

انه يدرك هذه الحقيقة ( ان لهذا الكون خالقا ) ولا مزيد .

ولأن هذه الأسئلة ضرورية وملحة ، والانسان لا يكف عنها ، ولأن معرفه  
الانسان بها أمر على غاية الخطر بالنسبة اليه . . فقد تداركت رحمة الله  
الانسان ، فأرسل اليه من يضع أمامه الاجابة عنها وعن غيرها . . فأوحى  
الخالق سبحانه الى رجال اصطفاهم من بين خلقه ، وأعلمهم هذه الأمور  
وأرسلهم أى : أمرهم بابلاغها - على غاية الدقة والأمانة - الى البشر ،  
وأمر البشر باتباع الرسل ، لكنه - سبحانه - لم يجبرهم ولم يقهرهم ولم  
يكرهم على ذلك . . بل ساق اليهم البيان والحجة والبرهان ، وترك لهم  
حرية الاختيار بين الايمان والكفر . . ثم أوضح لهم مصير المؤمن ، ومآل  
الكافر .

وما يجب أن نقرره هنا أن كثيرا من الفلاسفة لم يقفوا عند قدرات  
عقولهم المحدودة ، وطاقتها المعلومة ، فراحوا يكدون عقولهم ، ويبددون  
طاقتها فى البحث والتنقيب عن اجابات لتلك الأسئلة الصعبة ، فماذا حدث  
لهم ؟

تاهوا ، وضلوا ، وأضلوا وجاءوا - رغم عبقريتهم غير المنقوصة -  
يلجابات فجة ، سخيفة ، سقيمة ، متناقضة ، متدابرة لا تقنع عقل  
الفيلسوف ولا حتى عقل الطفل . . جاءوا بكلام أقرب الى الهذيان  
والهلوسات منه الى الفكر الصحيح والرأى السديد . خلطوا بحوثهم

الاساطير والخرافات وهذا امر لازم ولا ريب لأن العقل لا طاقة له على ذلك فليفسحوا الطريق الى سبل أخرى غير العقل ؛ ولتكن الخرافات والشعبدات .. أرايت ما قاله أرسطو - وله عقل من أكبر عقول الناس - وما قاله أصحاب نظرية الفيض وغيرهم وغيرهم وغيرهم .

ان الاجابة على هذه الأسئلة مهمة النبوة .. النبوة وحدها .. وعلى العقل أن يستثمر عبقريته في التلقى الواعى البصير الرشيد عن النبوة ، والفهم عنها ، وتحليل ما تلقى ، والتحرك به في هذه الحياة .

كان الأجدر ألا يستقل أكثر الفلاسفة عن النبوات في البحث - بالعقل - عن اجابات . وعندما استقل كثير من الفلاسفة بعقولهم عن نور النبوات ، جاعوا بكلام لا قيمة له ، ولا يؤيه به كما ذكرنا .

كان الأجدر بالعقل أن يتلقى عن الله ، ويفهم عنه - بواسطة النبوات - فيما لا يستطيع ادراكه ، وما هو فوق طاقته .. وبهذا يحفظ لهذه الملكة ( العقل ) طاقاتها وسلطانها وكرامتها ، ويستثمرها فيما يعود بالنفع والفائدة للانسان .. وكل ما فى الكون - ما عدا الاجابة على تلك الأسئلة - موضوع للعقل الانسانى .. وهو مأمور ومدعو للنظر والتأمل والتفكير والتدبر فيه بلا حدود ولا قيود .

- العقل الانسانى مدعو للتدبر فى آيات الله التى أنزلها بواسطة النبوة « فى القرآن الكريم » .

- والعقل مدعو من الله الخالق أن يتدبر فى آيات الله الكونية ، أى فيما خلق الله ( ١ ) .

---

(١) راجع كتابنا : « القرآن والكون » نشر الزهراء بالقاهرة .  
« الاسلام والنظر فى آيات الله الكونية » نشر فى مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ  
وراجع كتابنا : « تأملات حول وسائل الادراك فى القرآن الكريم : الحس والعقل والقلب والفؤاد واللب » نشر فى الرياض ١٩٨٢ م .

وبسبب من تناقض ما جاءت به الميتافيزيقا في مجال الالهيات فان فلاسفة كثيرين ، ومذاهب فلسفية كثيرة قد رفضوا الميتافيزيقا كلية . يقول ( بخنر ) مؤلف كتاب : ( القوة والمادة ) .

« بينما نرى علم النفس والمنطق والجمال والأخلاق وفلسفة القانون وتاريخ الفلسفة يستحق البقاء ، وينبغي ان يدرسها العقل البشرى ، ان نرى ما بعد الطبيعة علما مستحيلا ، وراء حواسنا ، فيجب ان يترك بمضيعة ، ويعد من سقط المتاع » .

وبخنر هذا من الفلاسفة الماديين توفي سنة ١٨٩٩ م ، وانا لا نؤيد مادية ( بخنر ) أو غيره ، فهو فيلسوف ملحد حاول ان يقنن الحاده ويبرهن عليه . لكننا نقول ان تناقض ميتافيزيقا الفلاسفة ووهاءها في جانب الألوهية ربما - كان الى جانب عوامل أخرى - سببا في مادية هؤلاء ، وكان على هؤلاء وأولئك ان يأخذوا عن النبوة فيرشدوا .

### كتب العقيدة في التراث الاسلامى : نظرة تقويمية عامة

لو سالك سائل قائلًا : دلنى على كتاب تراثى واحد فى العقيدة يسوقها تامة كاملة ، ويقررها واضحة ناصعة كما جاءت فى القرآن ، ويحتج لها بأدلة القرآن وبيناته ودلائله ، وتدعو الناس الى الايمان بها بأسلوب القرآن ومنهجه ؛ دون تشويش بذكر البدع وأهلها ، أو ذكر خصوماتهم وعلان الحرب عليهم ؟!

لو سئلت هذا السؤال ، فلا شك أنك ستنظر فيما ألفه علماءنا من كتب فى العقيدة ، وساعتها سيهولك أنك لا تجد كتابا واحدا يحقق رغبة سائلك على أهميتها البالغة ، وضرورتها الملحة . أجل لا تجد كتابا واحدا يقرر العقيدة كاملة تامة واضحة كما قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ويستدل عليها بحجج القرآن ، ويظهر دلائل القرآن وبيناته فى ذلك ، ويدعو الناس الى الايمان بها ، وينأى عن المخاصمة والمجادلة .

فان ما كتبه علماءنا ، رضى الله عنهم (١) ، أدخل فى باب ( الجدل حول العقيدة ) منه فى باب ( تقرير العقيدة ) وشتان ما بين البابين ، ولا شك أن الظروف التى كتبت فيها هذه الكتب كانت وراء ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما وصلنا من هذه الكتب - حول العقيدة - ، لوجدتها تنقسم الى مجموعتين كبيرتين ؛ هما :

- ١ - كتب علماء الكلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم .
- ٢ - كتب أهل الحديث والفقهاء .

ولو أمعن قارئ اليوم النظر فى هاتين المجموعتين لوجد فيها بعض السلبيات والمآخذ ؛ منها :

(١) للتعرف على الظروف التى دعت العلماء للكتابة فى ( الجدل حول العقيدة ) أنظر : الدكتور يحيى هاشم فرغل : ( نشأة الآراء والمذاهب والفرق الاسلامية ) نشرة مجمع البحوث ١٩٧١ م ، والدكتور عبد الحميد مدكور ( مذكرة فى علم الكلام ) والدكتور أبو اليزيد العجمى : ( الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية ) نشرة دار الهداية بالقاهرة . ومقدمته لرسالة ابن قائد النجدى ( نجاة الخلف فى اعتقاد السلف ) .

- عدم سوق أصول العقائد بطريقة القرآن الكريم ، مع عدم الاحتجاج لها بمنهج القرآن والسنة ، مع عدم الاهتمام بعنصر الدعوة الى الايمان بها .

- كما انها - او معظمها - تتناول مسألة واحدة او بعض المسائل الجزئية في العقيدة وتدور حولها ، اى انها تختزل العقيدة في مسألة واحدة او أكثر قليلا ؛ مثل مسألة الصفات . وقد تضيف اليها خلق القرآن ، او الرؤية او غير ذلك - وهذه التجزئة لا تبني عقيدة في النفس ، ولا تغرس ايمانا في القلب . ومن خبر تلك الكتب عرف هذه الحقيقة المؤلمة بكل أسف .

- وقد طغت على أكثر هذه المؤلفات روح الخصومة والردود والجدال ، مما أوقع العلماء الكبار في أخطاء جسيمة ؛ منها على سبيل المثال : أن كثيرا من علماء ( السلف ) - وهم اهل الحديث وخبرائه وأهل البصر به ، الذين ادوا للامة اجل خدمة في حفظ السنة وحراستها - يسوقون - في تقرير العقائد - احاديث ضعيفة او منكرة او موضوعة او واهية ، وهم يعلمون يقينا أن هذا لا يصح ولا يسوغ مطلقا في باب العقائد . ورغم وضوح المنهج السلفي الذي يعلن التزامه بصحة الاحاديث ، فان مؤلفين سلفيين كثيرين « من علماء المذهب قد قصرُوا في هذا .. ؛ مما كان له أثر سئء على المذهب ( ونحن نرى أن هذا كان له أثر سئء للغاية على المسلمين بعامه وليس على المذهب فقط ) وجراً أتباع المذهب العقلى .. على التهكم بما بروى في تلك الكتب ( السلفية ) من الآثار الموضوعة والمنكرة او الضعيفة الاسناد ، او نحو ذلك من الاسرائيليات » ( ١ ) .

ونذكر من بين كتب العقائد السلفية التي روت مثل هذه الأحاديث الموضوعة والمنكرة والآثار الواهية على سبيل المثال - ما يلي :

١ - كتاب رد الدرامى ( ٢٨٢ هـ ) على المريسي :

- روى عن المريسي تاويله لحديث : ( لما قضى الله خلقه استلقى ..

(١) مقدمة تحقيق كتاب : ( شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ) للحافظ أبى القاسم اللالكائى ، تحقيق الدكتور أحمد سعد جمندان ، نشر دار طيبة بالرياض .



الآتى عند ابن عاصم ) ثم أخذ يرد على المريسى فى تاويله ( ١ ) ، مع أنه حديث موضوع ، كان الأولى به أن يبين عدم صحته .

- وقال : ( ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم قالها العلماء وروها ولم يفسروها ومتى فسرها أحد برأيه اتهموه : فقد كتب الى على بن خشرم أن وكيعا سئل عن حديث عبد الله ابن عمر : ( والجنة مطوية معلقة بقرون الشمس ) فقال وكيع : هذا حديث مشهور قد روى فهو يرويه ( ٢ ) .

وهذا الأثر مجهول السند ولا يوجد فى أى من دواوين السنة ، فكيف يزعم أنه مشهور !؟

## ٢ - كتاب السنة لابن أبى عاصم ت ٢٨٧ هـ :

- روى بسنده الى قتادة : أنه زار أبا سعيد الخدرى فوجده مستلقيا رافعا إحدى رجله على الأخرى . . فرفع قتادة يده فقرصه قرصة شديدة قال أبو سعيد : أوجعتنى ! قال : ذلك أردت ، ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( لما قضى الله خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجله على الأخرى ، ثم قال : لا ينبغي أن يفعل مثل هذا ؟ قال أبو سعيد : نعم ) ( ٣ ) .

وسند هذا الحديث ضعيف ، ومتنه منكر ، ومخالفته للقرآن الكريم بينة جلية ألم تقرأ فى سورة (ق) : ( ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ) ( ٤ ) أى اعياء وتعب ونصب يستدعى الراحة . ووضع اليهود لهذا الكلام واضح ، وأقرأ ما جاء فى ( سفر التكوين ) أن الله بعد خلق السموات والأرض فى ستة أيام تعب فاستراح فى اليوم السابع ( ٥ ) .

---

( ١ ) ص ١٨٣ بتحقيق محمد حامد الفقى ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ( ضمن شذرات البلاتين ) ط ١٧٥ هـ بمصر .

( ٢ ) ص ٨٨ . ( ٤ ) سورة / ق ٣٨ .

( ٣ ) حديث رقم ٥٦٨ .

( ٥ ) سفر التكوين ، الاصحاح الأول : ١ - ٣

٣ - كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ت ٢٩٥ هـ :

« قال حدثني أبي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنا الجريري عن أبي عطف قال : ( كتب الله التوراة لموسى بيده ، وهو مسند ظهره الى الصخرة في ألواح من در يسمع صريف القلم ، ليس بينه وبينه إلا الحجاب » (١) .

هذا كلام لا ينبغي رواية مثله ، يقول ( ابن المديني ) عن ( أبو العطف ) ما أعلم أحدا روى عنه .

وقال : حدثني أبي ، حدثنا معاذ ، بن هشام بمكة ، حدثني أبي عن قتادة عن كثير بن كثير عن أبي عياض ، عن عبد الله بن عمرو قال : ( ان العرش لمطوق بحية وان الوحي لينزل في السلاسل » . ولو لم يكن في هذا الأثر إلا عنقنة قتادة - وهو معروف بالتدليس . لكفى في تضعيفه ، وكثير مختلف فيه .

- وقال : حدثني أبي ، حدثنا أبو اسامة أنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : ( خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر » (٢) .

#### والسندواه والمتن منكر .

- روى بسنده حديثا عن أبي هريرة أنه قال : ( ان الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام ) (٣) وهذا حديث موضوع ، والعجيب الغريب أن ابن أبي عاصم رواه في كتاب ( السنة ) (٤) ، وأن ابن خزيمة قد رواه في كتابه ( التوحيد واثبات صفات الرب ) (٥) ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل كما سقنا ، ورواه اللا لكائي في ( شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ) (٦) ، وقد رواه غيرهم من علماء الحديث في كتب العقائد .

---

(١) السنة ص ٤٥ المطبعة السلفية ، مكة المكرمة ١٣٤٩ هـ .

(٢) ص ١٥٠ .

(٣) ص ١٥١ .

(٤) ص ١٥١ ، ١٦٨ .

(٥) ص ١٠٩ من الطبعة المنيرية الأولى .

(٦) رقم ٣٦٨ ص ٢٦٢ ج ١ .

٤ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ت ٣١١ هـ :

يروى فيه بعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة مثل : ( ان الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل . . الى ان قال : ثم ينزل في الساعة الثالثة الى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول : قومى بعزتى ) .

في رواية هذا الحديث ( زيادة بن محمد ) ، وقال البخارى والنسائى وأبو حاتم وابن حبان عنه انه ( منكر الحديث ) وزاد ابن حبان ( منكر جدا ) يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . وفيه ( على بن زيد ) وهو ضعيف لا يحتج به .

أما متن الحديث فمنكر !!

٥ - كتاب الايمان لابن منده ت ٣٨٧ هـ ( ١ )

روى بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال - في حديث الرؤية - ان الله عز وجل : ( يتجلى يضحك ) زاد : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( حتى تبدو لهواته وأضراسه ) .

٦ - كتاب الأمانة لابن بطة ت ٣٩٥ هـ ( ٢ ) :

روى بسنده الى ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من قال : « القرآن مخلوق فقد كفر بالله عز وجل » .

وروى بسنده قصة فيها : ( قيل يولد في المشرق جارية ، وفي المغرب غلام ، يجتمعان على الفجور ، فكانت « عنقاء » تسمع ، فأنكرت ذلك ، فقال لها : خذى الجارية واحفظيها عندك ، ففعلت ، ورغم تحرزها وصل الغلام الى الجارية ) .

٧ - كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللا لكائى ت ٤١٨ هـ :

يقول محققه ( ٣ ) عنه : « انه من أهم الكتب السلفية منها ومضمونها ولكنه كذلك لم يسلم من الخطأ الذى وقعت فيه الكتب الأنفة الذكر ، ولذلك فان القيام بتحقيقه وبيان صحيح الآثار الواردة فيه من سقيهما أمر ضرورى - كغيره من تلك المؤلفات - لصيانة العقيدة وحفظها » .

( ١ ) مخطوط .

( ٢ ) مخطوط ، وانظر مقدمة تحقيق كتاب اللا لكائى .

( ٣ ) د . أحمد سعد حمدان ص ٦٣ .

( م ٥ - الايمان )

٨ - كتاب « كلمة الاخلاص وتحقيق معناها » للحافظ ابن رجب الحنبلى  
ت ٧٩٥ هـ :

ضم هذا الكتاب عددا كبيرا من الأحاديث الضعيفة الواهية في  
الصفحات ( ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ،  
٦٧ ، من نشرة المكتب الاسلامى التى خرج أحاديثها محمد ناصر الدين  
الألبانى ) .

ومن جانبنا نرى أن الذى ألجا هؤلاء العلماء الكبار الى الاحتجاج -  
في باب العقائد - بمثل هذه الاحاديث المنكرة والضعيفة : هو روح الجو  
العام الذى وضعت فيه أوائل هذه الكتب ( وقد أخذ خالفها عن سالفها  
دون تمحيص ونقد ) ؛ أن روح الخصومة والرد ، أو روح الفعل ورد الفعل  
بين أهل الحديث والمتكلمين ، أهل البدع في نظرهم ، هو المسئول  
عن هذه السقطات .

ولقد أحسن شيخ الاسلام ابن تيمية تصوير الخصومة ، والسبب  
الحقيقى لها فقال :

« وبيننا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد  
الخبر ، كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث ،  
والفقهاء والصوفية وغيرهم ، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الى  
الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين .

« وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية  
والبراهين اليقينية ، صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا .

★ « حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم ، وأن  
النظر يوجب العلم ، وأنه واجب . ويتكلمون في جنس النظر ، وجنس  
العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ، ثم اذا صاروا الى ما هو  
الأصل والدليل للدين ، استدلوا بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام ،  
وهو دليل مبتدع في الشرع ، وباطل في العقل .

★ « والحزب الثانى عرفوا أن هذا الكلام مبتدع ( أى استدلال  
المتكلمين بدليل العرض والجوهر ) ، وهو مستلزم مخالفة الكتاب  
والسنة ، وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في  
في الآخرة ، وليس فوق العرش ، ونحو ذلك من بدع الجهمية .

فصنفوا كتباً قدموا فيها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف ، وذكروا أشياء صحيحة ، ولكنهم يخلطون الآثار صحيحةا بضعيفها ! ، وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب ! ، وأيضا فهم انما يستدلون بالقرآن من اخباره لا من جهة دلالة ! ، فلا يذكرون ما فيه من الأدلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد ! وأنه - أى القرآن - قد بين الأدلة العقلية الدالة على ذلك ، ولهذا سمو كتبهم أصول السنة والشرعية ونحو ذلك .

وجعلوا أن الايمان بالرسول قد استقر ، فلا يحتاج أن تبين الأدلة الدالة عليه ، فذمهم أولئك المتكلمون ونسبوهم إلى الجهل ، إذ لم يذكروا الأصول الدالة على صدق الرسول .

وهؤلاء - السلفيون - ينسبون أولئك - المتكلمين - إلى البدعة ، بل إلى الكفر !! « لكونهم أصلوا أصولا تخالف ما قاله الرسول » .

والرأى عند شيخ الاسلام ابن تيمية (١) أن « الطائفتين - يقصد بعض السلفيين والمتكلمين - يلحقهما الملام ؛ لكونهما أعرضتا عن الأصول التي بينها الله بكتابه ، فانها أصول الدين وأدلته وآياته ، فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهما العداوة كما قال تعالى : « ففسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » (٢) .

ويتحدث شيخ الاسلام ابن تيمية عن طريقة المحدثين هذه قائلا .  
انهم « يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع ! ، وبآثار مفتعلة ! ، وحكايات غير صحيحة ! ، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه !! ، وربما تأولوه على غير تأويله !! ، ووضعوه على غير موضعه ! .

ثم انهم بهذا المنقول الضعيف ، والمعقول السخيف قد يكفرون ، ويضللون ، ويبدعون أقواما من أعيان الأمة ويجهلونهم (٣) !!! ؛

---

(١) ابن تيمية : « معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول » ، ص ٥ - ٧ طبع السلفية ١٣٨٧ هـ مصر .

(٢) سورة المائد ١٤ .

(٣) مثلما وقع على الامام أبى حنيفة النعمان ، انظر : لابن قتيبة :

( تأويل مختلف الحديث ) ص ٥٠ واللا لكائى ج ١ ص ١٧١ .



ففى بعضهم من التفريط فى الحق ، والتعدى على الخلق ، ما قد يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا ، وقد يكون من البدع والضلالات التى توجب العقوبات ، فهذا لا ينكره الا جاهل أو ظالم ، وقد رأيت من ذلك عجائب ! « (١) .

ولعل هذه العجائب التى ، رآها ابن تيمية ، جعلته يرى أن من أسباب انتشار بدع المبتدعين فى العقائد :

« العجز والتفريط الواقع فى المنتسبين الى السنة والحديث ؛ فهم تارة يروون ما لا يعلمون صحته ! ، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى ، ! ، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور ! « (٢) .

ويرى ابن تيمية أن الناس عابوهم لأن « اتباع الحديث يحتاج أولا الى : صحة الحديث ، وثانيا : الى فهم معناه ، كاتباع القرآن . فالخلل يدخل عليهم من ترك احدى المقدمتين « (٣) .

- ومن سلبيات الكتب التى وضعت عن العقيدة - فى رأى القارىء المعاصر - أنها وقفت وقفات طويلة جدا عند البدع أو الاجتهادات الخاطئة ؛ فهى تدور حولها تقريرا وشرحا وتفصيلا كما فى كتب علم الكلام ، أو هى تدور حولها ردا وابطالا وتفنيدا كما فى كتب أهل الحديث ، .. وهذا من شأنه أن يقف بالقارىء على كم هائل من هذه البدع أو الاجتهادات الخاطئة مما قد يترك شيئا من البلبلة أو التشويش فى خاطره ، أو قد يمكن البدعة من نفسه ، وهذا لا حاجة اليه اليوم - لا حاجة علمية ولا واقعية .

وغير خاف أن كثيرا من هذه البدع أو الاجتهادات الخاطئة كانت وليدة ظروف معينة معروفة ، أو كانت ثمرة بيئات خاصة ، نستطيع - الجزم بأنها انتهت وماتت ، وأصبحت تاريخا ، ومن ثم فانا نرى أن إعادة الحديث عنها ، وتشقيقه وتفريعه ، وتكراره واجتراره ، وبعثه ، يعد الآن ( بدعة ) جديدة ، تفرق وتمزق ، وتشكك وتبلبل .

---

(١) ابن تيمية : « نقض المنطق » ص ٢٢ - ٢٣ طبعة السنة المحمدية بمصر .

(٢) ابن تيمية : الفتاوى ج ١٢ ص ٣٣ .

(٣) نقض المنطق . ص ٢٢ ، طبعة دار الجيل ، لبنان .

- كما ان لعصرنا ظروفه ومناخه ومشكلاته التي تستوجب علاجاً عقدياً نابعا من روح القرآن والسنة - كما أشار ابن تيمية في النصوص التي سقناها آنفاً - أخذاً في اعتباره لغة العصر ، متنزهاً عن العراك المذهبي حول مسائل جزئية ماتت واندثرت .

وانا نرى أن بعض كتب العقيدة - وان كانت تعد مراجع مهمة حوت لنا كثيراً من النصوص والآثار والأخبار والأسماء - فهي قد كتبت بطريقة ربما كانت مناسبة لعصرها وظرفه ، أما المثقف المعاصر فانا نشك أنه يستطيع الاستفادة منها أو التعامل معها ؛ لذلك ينبغي على الباحثين والعلماء المتخصصين المحققين أن يقدموا خلاصتها وزيدتها الى القارئ المعاصر ، بصياغة مناسبة ، تاركين الأحاديث المنكرة أو الضعيفة ، عازفين عن إثارة الجدل الذي وقع من بعضها لما قد يترتب عليه من سلبيات لا طائل منها .

- ولا بد أن نقرر أن كثيراً من كتب علم الكلام - وقليلاً من الكتب السلفية في الجدل حول العقيدة - وبدون قصد من واضعيها - تقطع الطريق - في باب العقائد - بين المسلمين ، وبين القرآن الكريم في أسلوبه ومنهجه وروحه التي قرر بها العقيدة ، واحتج لها ، ودعا الناس الى الايمان بها ، ( واقرأ مرة أخرى عبارات ابن تيمية التي سقناها آنفاً ) .

وهذه - ولا بد أن نقرر بشجاعة - نتيجة خطيرة أضعفت المجتمع الاسلامي ؛ لأنها أبعدته عن ( العقيدة القرآنية ) وأغرقتة في ( الخلافات المذهبية ) حول المسائل الفرعية والجزئية . ومن ثم كان لازماً لازماً علينا أن ننحاز الى منهج القرآن وروحه في عرض العقيدة والاحتجاج لها ، وأن نتجافى عن روح الخصومة وإدارة المعارك . ومن هنا كانت الحاجة ملحة ، والضرورة ملزمة الى وضع مؤلفات معاصرة في العقيدة نراعى فيها كل ذلك ( ١ ) .

---

(١) مثل كتاب الشيخ سيد سابق ( العقائد الاسلامية ) والدكتور يوسف القرضاوي : ( وجود الله ) و ( الايمان والحياة ) ، الشيخ محمد الغزالي ( عقيدة المسلم ) ، حسن أيوب ، أبو بكر الجزائري ، وسعيد النورسي ، وحسن البناء ، ومحمد عبده ، علي الطنطاوي ، وجمال الدين القاسمي ، وحنكة الميداني ، وجمعة أمين عبد العزيز ، ومحمود شلتوت ، وبعض أساتذة الجامعات . وتتجه معظم هذه المؤلفات الى التخلص من روح الخصومة وإثارة المشكلات والخلافات وبعثها واجترارها من جديد .

## من خصائص العقيدة الاسلامية وميزاتها

للتصور العقدي الاسلامي خصائصه المميزة ، التي تفرده من سائر التصورات ، وتجعل له شخصيته المستقلة ، وطبيعته الخاصة ، التي لا تلتبس بتصور آخر ، ولا تستمد من تصور آخر .

« هذه الخصائص تتعدد وتتوزع ، ولكنها تتضام وتتجمع عند خاصية واحدة ، هي التي تنبثق منها وترجع اليها سائر الخصائص .. خاصية الريانية » (١) .

انه تصور ( عقدي ) رباني ؛ جاء من عند الله بكل خصائصه ، وبكل مقوماته ، وتلقاه « الانسان كاملا بخصائصه هذه ومقوماته ؛ لا ليزيد عليه من عنده شيئا ، ولا لينقص كذلك منه شيئا . ولكن ليتكيف هو به ، وليطبق مقتضياته في حياته ... »

وهو - من ثم - تصور ( عقدي ) غير متطور في ذاته ، انما تتطور البشرية في اطواره ، وترتقى في ادراكه وفي الاستجابة له . وتظل تتطور وترتقى ، وتنمو وتتقدم ، وهذا الاطار يسعها دائما ، وهذا التصور يقودها دائما ؛ لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصور ، هو نفسه المصدر الذي خلق الانسان ؛ هو الخالق المدبر ، الذي يعلم طبيعة هذا الانسان » (٢) .

أي أن الخاصية الأولى أو الميزة الأولى للعقيدة الاسلامية هي : « الريانية » . أما الميزة أو الخاصية الثانية فهي : « الثبات » .

فهي عقيدة ثابتة محددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان ، ولا التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام ، أو مجمع من المجامع العلمية (٣)

---

(١) انظر للمفكر الاسلامي الشهيد الاستاذ سيد قطب كتابه : ( خصائص التصور الاسلامي ) ص ٦٥ وما بعدها .  
(٢) نفسه ص ٦٦ .

(٣) مثل المجامع النصرانية المعروفة التي كان يعقدها كبار رجال الكنيسة ويتفقون فيها على الزيادة والاضافة الى العقائد المسيحية والكتب المقدسة لديهم ، أو يتفقون على الحذف والنقص منها ، انظر في هذا المراجع التالية : ● البطريرك سعيد بن البطريق بابا الاسكندرية :

أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية أن يضيف إليها أو يحور فيها ، وكل  
إضافة أو تحوير مردودة على صاحبها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
« من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » ( ١ ) أي مردود غير  
مقبول .

والقرآن يستنكر ذلك : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم  
يأذن به الله » ( ٢ ) . وعلى هذا ، فكل البدع والأساطير والخرافات التي  
دست في بعض كتب المسلمين أو أشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرها  
الاسلام ولا تؤخذ حجة عليه ( ٣ ) .

ولو قارنا بين النظام أو التصور العقدي الاسلامي ، وغيره من  
حيث الثبات والتطور لقلنا : « اذا كانت التصورات والمذاهب والأنشطة  
التي يضعها البشر لأنفسهم - في معزل عن هدى الله - تحتاج دائما الى  
التطور في أصولها ، والتحور في قواعدها ، والانقلاب أحيانا عليها كلها  
حين تضيق عن البشرية في حجمها المتطور ! ، وفي حاجاتها المتطورة ..

=

( التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ) ، الدكتور القس حنا  
الخضري : ( تاريخ الفكر المسيحي ) دار الثقافة المؤرخ بابا دوبولس  
تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة الأسقف استفانس حداد ، نشر النور ١٩٨٤  
Werner G. Kummel, Introduction to the New Testament, Revised English  
Edition, 1984, U.S.A.

Alistair Kee. Constantine Versus Christ, S.C.M. London, 1982.

- وانظر للشيخ رحمه الله الهندي : ( اظهر الحق ) طبعة قطر ،  
وللشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، نشرة الرئاسة العامة  
للبحوث العلمية في الرياض . وللتوسع راجع كتابنا ( في مقارنة الأديان )  
ج ١ نشر دار الهداية . .

وقد حدث التحريف بالزيادة لكل عقائد الملل والنحل غير الاسلام ،  
راجع للباقلاني أبو بكر المتوفى ٤٠٣ هـ كتابه ( تمهيد الأوائل وتلخيص  
الدلائل ) مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ١٩٨٧ م .

( ١ ) متفق عليه .

( ٢ ) الشورى ٢١ .

( ٣ ) ( الايمان والحياة ) ص ٤٨ .

إذا كانت تلك التصورات والمذاهب والأنظمة التي هي من صنع البشر ،  
تتعرض لهذا وتحتاج إليه ، فذلك لأنها من صنع البشر !... الذين لا  
يرون إلا ما هو مكثوف لهم من الأحوال والأوضاع والحاجات ، في فترة  
محدودة من الزمان ، وفي قطاع خاص من الأرض ... رؤية فيها -  
مع هذا - قصور الانسان ، وجهل الانسان ، وشهوات الانسان ، وتأثيرات  
الانسان .

فأما التصور الاسلامي - بربانيته - فهو يخالف في أصل تكوينه ،  
وفي خصائصه ، تلك التصورات البشرية ، ومن ثم لا يحتاج - في ذاته -  
الى التطور والتغير ... فالذى وضعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان .  
ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور . ويختار بلا تأثر من الشهوات  
والانفعالات . ومن ثم يضع للكينونة البشرية كلها ، في جميع أزمانها  
وأطوارها أصلاً ثابتاً تتطور هي في حدوده وترتقى (١) .

فالعقيدة الاسلامية كاملة متكاملة ، لا تقبل تنمية ولا تكميلاً ، فهي  
من صنع الله ، ولا يتناسق معها ما هو من صنع غيره ، ولا يملك  
الانسان أن يعدل فيها أو يغير شيئاً ، أو يضيف شيئاً . انما العقيدة هي  
التي جاءت لتضيف الى الانسان ، وتنميته ، وتعديله ، وتطوره ،  
وتدفع به دفعا الى الامام .. جاءت لتضيف الى قلبه وعقله ،  
والى حياته وواقعه ، جاءت لتوقظ كل طاقات الانسان واستعداداته ،  
وتطلقها تعمل في ايجابية كاملة ، وفي ضبط وهداية . . . وهي  
تحتّم أن تنفرد في حياة البشر بمفهوماتها وإيحاءاتها ومنهجها  
ووسائلها ، كي تتناسق حياة البشر مع حياة الكون - الذى تعيش في  
إطاره - ولا تصطدم حركتها بحركة الكون فيصيبها العطب والدمار (٢) .

- ومن خصائص العقيدة الاسلامية الوضوح ؛ « فهي عقيدة واضحة  
يسيرة الفهم ، لا تعقيد فيها ولا غموض ؛ تتلخص في أن وراء هذا الكون  
البديع المنسق المحكم ربا واحدا خلقه ونظمه ، وقدر كل شيء فيه تقديرا ،  
وهذا الاله أو الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد » بل له  
ما في السموات والأرض كل له قانتون » (٣) .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة ، فالعقل دائما يطلب الترابط والوحدة

---

(١) خصائص .

(٢) السابق ص ٦٨ .

(٣) البقرة ١١٦ .



وراء التنوع والكثرة ، ويريد أن يرجع الأشياء دوما الى سبب واحد .  
فليس في عقيدة التوحيد ما في عقائد التثليث أو التثنية ونحوها من  
الغموض والتعقيد ( ١ ) .

والعقيدة الاسلامية عقيدة الفطرة الانسانية . ، فهي ليست غريبة  
عنها ولا مناقضة لها ، بل هي منطبقة عليها تمام الانطباق ، وهذا ما جاء  
في القرآن الكريم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس  
عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا  
يعلمون » ( ٢ ) . وفي الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة  
( أى على الاسلام ) وانما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ( ٣ ) .

فدل ذلك على أن الاسلام هو فطرة الله ، فلا يحتاج الى تأثير من  
الآبوين ، أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهي من  
تلقين الآباء وتأثير البيئات والمجتمعات .

وهو ( أى التصور العقدي الاسلامى ) - من ثم - شامل متوازن ،  
منظور فيه الى كل جوانب الكينونة البشرية أولا . ومنظور فيه الى  
توازن هذه الجوانب وتناسقها أخيرا .

ومنظور فيه كذلك الى جميع أطوار الجنس البشرى ، والى توازن  
هذه الأطوار جميعا . بما أن صانعه هو صانع الانسان .. الذى خلق ،  
والذى يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير .

وهو - من ثم - الميزان الوحيد الذى يرجع اليه الانسان فى كل  
مكان و فى كل زمان ، بتصوراته وقيمه ، ومناهجه ونظمه ، وأوضاعه  
وأحواله ، وأخلاقه وأعماله .. ليعلم أين هو من الحق ؟ وأين هو من  
الله ؟ وليس هنالك ميزان آخر يرجع اليه ، وليس هنالك مقررات سابقة  
ولا مقررات لاحقة يرجع اليها فى هذا الشأن .. انما هو يتلقى قيمه

---

( ١ ) الايمان والحياة ص ٤٧ وللتعرف على شيء من غموض العقيدة  
النصرانية انظر الجاحظ فى كتابه ( المختار فى الرد على النصارى ) .  
ص ٣١ - ٣٣ بتحقيقنا ، نشر دار الصحوة بالقاهرة ١٩٨٤ م .  
( ٢ ) الروم ٣٠ .  
( ٣ ) متفق عليه .

وموازينه من هذا التصور ، وكيف بها عقله وقلبه ، ويطبع بها شعوره ، وسلوكه « (١) .

- ومن أخص ما يميز العقيدة الاسلامية أنها « عقيدة مبرهنة » لا تكتفى في تقرير مبادئها بالالزام المجرد ، والتكليف الصارم دون حجة أو دليل أو بينة وبرهان . ليس فيها ما في العقائد الأخرى مثل قول أوغسطين الفيلسوف النصراني : ( أومن بهذا لأنه محال ) . أو ( أغمض عينيك ثم اعتقد ) أو ( الجهالة أم التقوى ) أو ( اعتقد وأنت أعمى ) .

بل هي عقيدة يقول كتابها الكريم : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (٢) ، ويقول علماءها : ايمان المقلد لا يقبل (٣) .

وتربط التوحيد بالعلم ، وتجعل العلم طريقا له ؛ تدبر قول الله تعالى : « فاعلم أنه لا اله الا الله » (٤)

فالعقيدة الاسلامية لا تكتفى بمخاطبة القلب والوجدان والمشاعر والاعتماد عليها وحدها أساسا للاعتقاد ، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة ، والبرهان الناصع والتعليل الواضح ، الذي يملك أزمة العقول ، وياخذ الطريق الى القلوب ، ويرى مجتهدوها أن العقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح (٥) .

وسنرى - فيما يلي - كيف أن القرآن الحكيم - في قضية الألوهية - يقيم الأدلة من الكون ، والنفس ، والتاريخ ، على وجود الله وعلى وحدانيته وكماله .

كما يدل القرآن على امكان البعث بأدلة عقلية يقينية قاطعة ، منها - كما سنرى ان شاء الله - خلق الانسان أول مرة ، وخلق السموات

---

(١) خصائص التصور ص ٦٨ .

(٢) البقرة ١١١ ، النمل ٦٤ .

(٣) انظر مؤلفات علماء العقيدة والكلام بشكل عام وكتاب الحلیمی :

( المنهاج في شعب الايمان ) ج ١ ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٤) محمد ١٩ .

(٥) انظر كتاب ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة

صحيح المنقول لصريح المعقول ، تحقيق المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الامام بالرياض .

والأرض ، وأحياء الأرض بعد موتها ، وإخراج النقيض من النقيض ، ويدل على حكمته بالعدالة الإلهية في إثابة المحسن ، وعقوبة المسيء .  
« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » (١) .

والعقيدة الإسلامية عقيدة وسط ؛ لا إفراط فيها ولا تفريط . وسط بين الذين يفكرون الألوهية والمغيبات وبين الذين يزعمون أن للكون أكثر من اله . . . . . ففى وسط بين التعديد الجاهل والإشراك الغافل ، والانكار الملحد (٢) .

وهى عقيدة وسط فى صفات الإله تنأى عن الغلو فى التجريد الذى يجعل صفات الإله مجرد سلوب لا تعطى معنى ، ولا تشعر بخوف أو رجاء - كما فعلت الفلسفة اليونانية (٣) - ؛ فكل ما وصفت به الإله : أنه ليس بكذا ، وليس بكذا . . . . . من غير أن تقول ما صفات الإله الإيجابية ، وما أثرها فى هذا العالم .

كما أن العقيدة الإسلامية قد خلت من التشبيه والتجسيم الذى وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية - بعد تحريفها (٤) - إذ جعلت الإله كأنه أحد المخلوقين من الناس ، ووصفته بالنوم والتعب والراحة ، والتحيز ، والمحابة ، والقسوة ، . . . . . وجعلته يلتقى ببعض الرسل فيصارعهم فلم يتمكن الرب من الإفلات منه حتى أنعم عليه بلقب جديد (٤) !!

أما عقيدة الإسلام فتقرر تنزيه الله - إجمالاً - عن مشابهة المخلوقات ، « ليس كمثله شيء » (٥) « ولم يكن له كفواً أحد » (٦) - ومع هذا تصفه - تفصيلاً - بصفات إيجابية فعالة : « وهو السميع البصير » « الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما

---

(١) النجم ٣١ .

(٢) الإيمان والحياة ص ٤٩ .

(٣) انظر : عباس العقاد : « الله : كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية »

ص ٢ انظر : ( خصائص التصور الإسلامى ) فصل : ( تيه وركام ) .

(٤) انظر كتابنا : ( فى مقارنة الأديان ) فصل : ( النبوة والأنبياء

بين التوراة والقرآن ) .

(٥) الشورى ١١ .

(٦) سورة الاخلاص ٤ .

خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسیه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلی العظيم » (١) « ان بطش ربك لشديد ، انه هو یبدیء ویعید ، وهو الغفور الودود ذو العرش المجید ، فعال لما یرید » (٢) .

وهی عقیده وسط بین التسليم الأبله الذی یأخذ عقائده عن الآباء بالتقليد والوراثه ، كما یرث عنهم العقارات والأملک : « انا وجدنا آباءنا علی أمة إنا علی آثارهم مقتدون » (٣) ، و بین الذین یریدون أن یعرفوا كنه الألوهية وحقیقتها ، وهم لا یعرفون حقیقة أنفسهم ولا ماهية حیاتهم أو موتهم ، وهم - بعد - لم یعرفوا حقیقة أو كنه شيء من القوى الكونية كالکهرباء والجاذبية ، الخ .

وهی عقیده وسط فی علاقتها بالعقائد الأخرى ؛ فلا تقبل الذویان فی غيرها ، بل تدعو فی قوة الی الثبات علیها والاستمساک بها ، وهی - فی نفس الوقت - لا تتعصب ضد غيرها من العقائد ذات الاصل السماوی : « الله ربنا وربکم لنا أعمالنا ولكم أعمالکم » (٤) بل یتسع صدرها لما یخالفها : « لکم دینکم ولی دین » (٥) « لی عملی ولكم عملکم ، انتم یریئون مما عمل ، وأنا بریء مما تعملون » (٦) .

وهی وسط فی أمر النبوة فلم ترتفع بالأنبیاء الی مقام الألوهية ، كما فعلت النصرانية بعد تحریفها ، ولم تنزل بهم الی حضيض السفلة من الناس كما صنعت اليهودية وسجلت ذلك فی أسفارها المبدلة المزيفة .

هی عقیده وسط فی ذلك ، وفی ملامح أخرى كثيرة (٧) كما سنرى ذلك ان شاء الله .

---

(١) البقرة ٢٥٥ .

(٢) البروج ١٢ - ١٦ .

(٣) الزخرف ٢٣ .

(٤) الشوری ٥ .

(٥) الکافرون ٦ .

(٦) یونس ٤١ .

(٧) انظر : ( الايمان والحياة ) وقد عولنا علیه فی كتابة بعض

هذه الأفكار انظر ص ٤٧ - ٥٧ .

## حقيقة الايمان والاعتقاد

تمهيد :

الايمان معناه والغرض الذى يراد به عند اطلاقه : التصديق والتحقيق ،  
او التصديق مع الأمن ( ١ ) . ولفظ ( الايمان ) ومشتقاته قد ورد فى  
القرآن الكريم مئات المرات ( ٢ ) ، كما ورد فى السنة المطهرة - كثيرا  
جدا ( ٣ ) .

أما لفظ ( العقيدة او الاعتقاد ) فلم يرد فى القرآن الكريم مطلقا ،  
ولا فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نعلم ( ٤ ) . ولم يرد فى كتب  
اللغة مقصودا به المعنى الاصطلاحي المتعارف عليه فى أصول الدين ( ٥ ) .

ومن هنا نقرر : أن لفظ ( الايمان ) أولى فى الاستخدام وأوثق ،  
وأبعد عن اللبس والغموض من لفظ ( العقيدة ) ، وإن كان هذا اللفظ  
( عقيدة ) قد صار شائعا ذائغا دائرا على ألسنة العلماء وأقلامهم بكثرة ،  
كما أنه قد صار مصطلحا راسخا ثابتا ، وعلى كل حال لا ، مشاحة فى  
الاصطلاح كما قال علماؤنا . وإنما أردنا مجرد التنبيه والتذكير فحسب .

معنى أمنت بالله وأمنت لله :

وهذا الايمان ، الذى يراد به التصديق ، لا يتعدى الى من يضاف

---

( ١ ) انظر للحاكم الحليمى : ( المنهاج فى شعب الايمان ) ج ١  
ص ١٩ ، وانظر للراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن  
ص ٢٥ - ٢٧ .

( ٢ ) راجع : ( المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) ص ٨١ - ٩٣ .  
( ٣ ) راجع ( المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ) ترتيب جماعة  
من المستشرقين معهم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة بريل فى ليدن  
١٩٦٢ م .

( ٤ ) نفس المرجع ص ٢٩٣ - ٢٩٥ ، وهو فهرس للكتب التسعة  
( البخارى ، ومسلم ، وابن حنبل ، ومالك ، وأبو داود ، والدارمى ،  
والترمذى ، وابن ماجه ) .

( ٥ ) انظر : اللسان ، والقاموس المحيط وغيرهما ، مادة :  
( عقد ) .

اليه ويلتصق به الا بصلة ؛ وقد تكون هذه الصلة ( باء ) وقد تكون ( لاما ) ؛ أى تقول : ( آمنت به ) ( وآمنت له ) .

أما ما جاء بحرف « الباء » فمنه قوله تعالى :

« والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » ( ١ ) ،  
« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته  
وكتبه ورسله » ( ٢ ) و « آمنوا بالله ورسوله » ( ٣ ) .

ومما جاء متعديا بحرف « اللام » قوله تعالى :

« فآمن له لوط » ( ٤ ) ، « أنؤمن لك ، واتبعك الأرذلون » ( ٥ ) ،  
« أنؤمن لبشرين مثلنا » ( ٦ ) ، « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا  
صادقين » ( ٧ ) ، « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » ( ٨ ) .

ما الفرق ، اذن ، بين ( آمنت به ) و ( آمنت له ) ( ٩ ) ؟

يرى ( الحاكم الحليمى ) ( ١٠ ) أن « الايمان بالله تعالى جده :  
اثباته والاعتراف بوجوده . والايمان له : القبول عنه والطاعة له . والايمان

---

( ١ ) البقرة / ٤ .

( ٢ ) البقرة ٢٨٥ .

( ٣ ) النساء ١٣٦ .

( ٤ ) العنكبوت ٢٦ .

( ٥ ) الشعراء ١١١ .

( ٦ ) المؤمنون ٤٧ .

( ٧ ) يوسف ١٧ .

( ٨ ) آل عمران ٧٣ .

( ٩ ) رأى بعض الباحثين أنهما لغتان يعبر بهما عن معنى واحد .

( ١٠ ) هو الامام أبو عبد الله الحسين الحليمى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ،

وهو صاحب كتاب « المنهاج فى شعب الايمان » وقد نشرته دار الفكر فى  
بيروت بتحقيق حلمى محمد فودة نشرة سقيمة للغاية ، والكتاب عظيم  
القيمة فى بابه ، اعتمد عليه الامام البيهقى اعتمادا كبيرا ، ونقل منه  
صفحات مطولة فى كتبه المشهورة المتداولة ، ( ويعد الآن واحد من الباحثين  
الجادين دراسة مقارنة عن منهج الامامين الحليمى والبيهقى ، باشراف كاتب  
هذه السطور ) .



بالنبي : اثباته والاعتراف بنبوته • والايمان للنبي : موافقته والطاعة له « (١) » .

وهكذا ، فان الصلتين موضوعتان لمعنيين مختلفين : ومما يدل على ذلك ويؤكدده أن احدهما لا تصلح حيث تصلح الأخرى ؛ فان بنى يعقرب عليه السلام لو قالوا لأبيهم : « وما أنت بمؤمن بنا » لما صلح ذلك • ولو نال كفار العرب : « ولا تؤمنوا الا بمن تبع دينكم » لما ادى ذلك ما أرادوا من المعنى • وأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين : « لن نؤمن لكم » أى : لن نقبل عذرکم ، ولو كان مكانه : « لن نؤمن بكم » ما جاز ولا حسن •

ويترتب على هذه التفرقة أن الاعتراف بالله ، جل جلاله ، لابد أن يسبق ؛ حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد •

والاعتراف بالنبي كذلك لابد من أن يسبق ؛ ثم تكون متابعتة والقبول عنه « ولو تجردت المتابعة - بفعل ما يأمر به ، والانتها عما نهى عنه - عن الاعتراف بالنبوة ، لما سلمت ولا نفعت » •

معنى صدقت بالله وصدقته له :

ولئن كانت حقيقة الايمان هى : التصديق ؛ فيكون : « التصديق بالله » يعنى : اثباته والاعتراف بوجوده • « والتصديق له » يعنى : قبول شرائعه ، واتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل ، والطاعة له فيها لازمة ، والمحافظة على حدوده ، والثقة بوعده ووعيده •

وكذلك « التصديق بالنبي » غير « التصديق له » ؛ فالتصديق به : هو الاعتراف بوجوده وكونه واثباته نبيا • والتصديق له : اتباعه ، وطاعته ، وقبول ما جاء عنه •

وعلى ذلك فالايمان بالله أو بالنبي : هو ايمان بالدلائل التى دلت عليه ؛ لانه قبول لدلائلها عليهما ، وانقياد لموجبها • وخلاصة المسألة اذن : أن ( آمنتم بالله ) كقولهم « أثبت الله واعترفت به » • وقولهم : « آمنتم لله » كقولهم : « خضعت لله » ، والخضوع لله ، معنى غير اثباته • آمنتم لله وأسلمتم لله :

ويقدم ( الحليمى ) حججا أخرى على ذلك ؛ من بينها : « أن اسم

الاسلام يصلح مكان اسم الايمان عند وصله باللام ، ولا يصلح مكانه عند وصله بالباء ؛ اذ قد يجوز أن يقال : « آمنت لله ، وأسلمت لله » ، ولا يجوز أن يقال : « أسلمت بالله » كما يقال : « آمنت لله » . فثبت بهذا ثبوتا ظاهرا أن الايمان لله ، غير الايمان بالله . وأن ( الايمان بالله ) : اثباته والاعتراف به . فلما لم يكن من قولهم أسلمت بالله ، هذا المعنى ، لم يجز استعماله . وأن ( الايمان لله ) : هو الطوعية له باتباع أوامره ، بعد الاعتراف به « ( ١ ) » .

### الايمان والاعتقاد :

ويترتب على ما سبق أن ( الايمان بالله ) يشمل : اثبات الله ، والاعتراف به ، والايمان بالدلائل التي دلت عليه ( وهذا هو الاعتقاد ) في صادق معناه .

أما الايمان مطلقا فهو يشمل : ( الايمان بالله ، ولله ) ؛ أو بعبارة أخرى يشمل : الاعتقاد والانقياد باتباع الأمر واجتناب النهى .

وعلى ذلك فالايمن أعم من الاعتقاد ؛ فهو يشمل معناه وحقيقته ويزيد عليها . أى أن ( الاعتقاد ) جزء من ( الايمان ) . فالايمن يشمل الاعتقاد وغيره . أما الاعتقاد فيشكل جزءا فقط من مفهوم الايمان ومحتواه . فالايمن أوسع والاعتقاد أضيق . ولربما لم ترد كلمة ( عقيدة ) أو ( اعتقاد ) في القرآن الكريم من أجل ذلك ، والله اعلم واقتداء بالكتاب العزيز وامثالا لنهجه القويم ، جعلنا عنوان هذه الدراسات : ( الايمان ) ، ولم نجعلها : ( العقيدة ) .

### طاعات المؤمنين ايمان ،

### ومعصية المؤمنين ليست كفرا :

ومن هذا الوجه الذى بيناه ، أوجبنا أن تكون الطاعات كلها .

براعتها ونوافلها ، ايماناً ، ولم نوجب أن تكون المعاصى الواقعة من المؤمنين كفراً ؛ وذلك لأن الكفر بالله أو برسوله ، مقابل الايمان به .

فاذا كان الايمان بالله أو برسوله : الاعتراف به والاثبات له ؛ كان الكفر به : جحوده ، والنفى له ، والتكذيب به .

فأما الأعمال : فانها ايمان لله ولرسوله بعد وجود الايمان به . والمراد به : اقام الطاعة على شرط الاعتراف المتقدم ، فكان الذى يقابله هو : الشقاق والعصيان دون الكفر . فلذلك قلنا : ان تارك الاتباع مع الثبات على التصديق ، فاسق وليس بكافر ، والله أعلم « (١) » . ويذكر ( الامام أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٤٤ هـ ) . « أن الذى عندنا فى هذا الباب كله : أن المعاصى والذنوب لا تزيل ايماناً ، ولا توجب كفراً ، ولكنها انما تنفى من الايمان حقيقته واخلاصه الذى نعت الله به أهله ، واشترط عليهم فى مواضع من كتابه « (٢) » .

الايمان بالله ورسوله منه خفى وجلى ،

والايمان لله ولرسوله منه خفى وجلى :

« ثم ان التصديق الذى هو معنى الايمان بالله ورسوله ينقسم ، فيكون منه : - ما يخفى وينكتم . . ويكون منه ما يتجلى ويظهر ؛ وأما الذى يخفى فهو : الواقع منه بقلب ويسمى : ( اعتقاداً ) . وأما الذى يظهر فهو : الواقع باللسان ويسمى : ( اقراراً ) ويسمى : ( شهادة ) .

وكذلك الايمان لله ولرسوله ينقسم الى : جلى وخفى ؛ فالخفى منه هو النيات والعزائم التى لا تجوز العبادات الا بها ، واعتقاد الواجب

(١) المنهاج ص ٢٤ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام : « كتاب الايمان » ص ٤٠ بتحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الألبانى ، نشرة المكتب الاسلامى ط ٢ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م وانظر النص رقم (١) ص ٤٧ الذى يشرح فيه أبو عبيد ( أن معاصى المؤمنين ليست كفراً يخرج من الملة ) .

واجبا ، والمباح مباحا ، والرخصة رخصة ، والمحظور محظورا ، والعبادة عبادة ، والحد حدا ، ونحو ذلك .

والجلى : ما يقام بالجوارح اقامة ظاهرة وهو عدة أمور ؛ منها : الطهارة ، ومنها الصلاة ، ومنها الحج ، ومنها العمرة ، ومنها الزكاة ، ومنها الصيام ، ومنها الجهاد فى سبيل الله ، وأمور أخرى سواها ستذكر فى مواضعها . وكل ذلك : ( ايمان واسلام وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم » ( ١ ) .

الايمان يطلق على : الاعتقاد القلبى ، والاقرار اللسانى ، والعمل الصالح :

ويتحصل من كل ما تقدم أن الانسان بـ ( الايمان بالله ) - الذى يشتمل على : تصديق القلب واللسان معا ، أى أن يعتقد القلب ويقر اللسان بما فى القلب - يزايل الكفر ويدخل فى زمرة المؤمنين .

لكنه لا يحقق المعنى الكامل للايمان الا اذا ( آمن لله ) بمعنى اطاعه وخضع لأوامره واجتنب نواهيه .

فالمرء بالاعتقاد القلبى والاقرار اللسانى فحسب ، يحقق أدنى درجات الايمان ، أو يحصل اسمه فقط ؛ وهو ايمان فى مقابل الكفر فقط ، ولا يستكمل حقيقة الايمان الا اذا جمع الى ما تقدم : الايمان لله .

فالايمان يطلق على : الاعتقاد القلبى ، والاقرار اللسانى ، والعمل الصالح معا ؛ فالاعتقاد ايمان ، والاقرار باللسان ايمان ، وكل طاعة ايمان .

وقد ذكر ذلك من قبل ( أبو عبيد القاسم ) فقال ما نصه :

---

( ١ ) المنهاج ص ٢٥ الا أنه ايمان لله بمعنى أنه : عبادة له سبحانه . وايمان للرسول بمعنى أنه : قبول عنه ، دون أن يكون عبادة له ، اذ العبادة لا تحقق لأحد الا لله عز وجل .

« .. الايمان هو درجات ومنازل ، وان كان سمي اهلها اسما واحدا ، وانما هو عمل من أعمال تعبد الله به عباده ، وفرضه على جوارحهم ، وجعل أصله في معرفة القلب ، ثم جعل المنطق شاهدا عليه ، ثم الأعمال مصدقة له ، وانما أعطى الله كل جارحة عملا لم يعطه الأخرى ، فعمل القلب : الاعتقاد ، وعمل اللسان : القول ، وعمل اليد : تناول ، وعمل الرجل : المشي . وكلها يجمعها اسم العمل ؛ فالإيمان على هذا تناول انما هو : كله مبنى على العمل من أوله الى آخره ، الا انه يتفاضل في الدرجات على ما وصفنا » ( ١ ) .

ويذكر أبو عبيد القاسم في موضع آخر :

أن « الأمر الذي عليه السنة - عندنا - ما نص عليه علمائنا ، مما اقتصناه في كتابنا هذا : أن الإيمان بالنية ، والقول ، والعمل جميعا . وأنه درجات بعضها فوق بعض ، الا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا ، فاذا نطق القائل ، وأقر بما جاء من عند الله ، لزمه اسم الإيمان . . . . . ، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ، ازداد به إيمانا » ( ٢ ) .

وقال الامام الأجرى ت ٣٦٠ هـ :

« قال محمد بن الحسين : هذا بيان لمن عقل ؛ يعلم أنه لا يصح الدين الا بالتصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح مثل : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وما أشبه ذلك » ( ٣ ) .  
فالعمل جزء من حقيقة الإيمان . ومن فهم من قوله تعالى : « ان

---

( ١ ) كتاب الإيمان ، ص ٢٨ وانظر اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٤ ص ٨٤٧ - ٨٤٨ ، وانظر لابن أبي العز الدمشقي ت ٧٩٢ هـ : « شرح العقيدة الطحاوية » تحقيق شعيب الأرنؤوط ص ٣٢٦ .

( ٢ ) كتاب الإيمان ص ١٩ .

( ٣ ) الأجرى : أبو بكر محمد بن الحسين : كتاب ( الشريعة ) تحقيق محمد حامد الفقى ، تصوير دار الكتب العلمية ببيروت ص ١٠٥ .

الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (١) : أن الايمان شيء ، والعمل الصالح شيء آخر ، وأن العمل الصالح ليس جزءا من الايمان بدليل عطف العمل الصالح على الايمان بالواو كثيرا في القرآن الكريم فهو واهم . لماذا ؟

لأن الله عز وجل كما قال : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قال : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٢) ، ولم يدل ذلك على أن التواصي بالحق وبالصبر ليس من الأعمال الصالحة ، فكذلك قوله عز وجل : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، لا يدل على أن عمل الصالحات ليس بايمان .

وقد قال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى نزل من قبل » (٣) ، فثبت لهم الايمان مطلقا أولا ، وناداهم باسمه ، ثم أمرهم بالايمان بالرسول والكتب ، ولم يدل ذلك على أن الايمان بالرسول والكتب ليس بالايمان الذى لا تمام للايمان الا به ، فكذلك قوله عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » لا يدل على أن عمل الصالحات ليس بالايمان الذى لا كمال للاعتقاد والاقرار الا به .

وقد قال عز وجل : « من كان عدو لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال » (٤) ، ولم يدل فصله بينهما وبين الملائكة فى الذكر على أنها ليسا بملكين ، فكذلك ليس يدل فصله عز وجل بين عمل الصالحات وبين الايمان ، على أن العمل الصالح ليس بايمان .

ثم المعنى فى ذلك والله أعلم : أن الذين آمنوا أقل الايمان - وهو الناقل عن الكفر والمخرج منه - ثم لم يقتصروا عليه ، ولكنهم ضموا

- 
- (١) البقرة ٢٧٧ ، يونس ٩ وفى سور أخرى كثيرة جدا .  
(٢) والعصر ٣ .  
(٣) النساء ١٣٦ .  
(٤) البقرة ٩٨ .



اليه الصالحات فعملوها ، حتى ارتقى ايمانهم من درجة الأقل الى درجة الأكمل .

أو يقال : ان المراد ( بالذين آمنوا ) : الايمان بالله . ( ويعمل الصالحات ) : الايمان لله « ( ١ ) .

الايمان ينقسم الى أصل وفرع ، أو جذر وجذع :

فجذره أو أصله : الاعتقاد والاقرار - وهما عمل واحد له آلتان هما : القلب واللسان - وجذعه أو الفروع : هي الطاعات كلها ؛ وانما كانت ايمانا لأن الايمان هو التصديق ، والتصديق - انواق بالقلب واللسان - هو الذى يحرك على سائر الطاعات ويدعو اليها . وانما يقع ذلك من المؤمن ، قصدا الى تحقيق القول بالفعل ، وتسوية الظاهر بالباطن .

ولا يفهم من ذلك أن الجذع أو الفرع يقل فى قيمته وأهميته عن الأصل ؛ فكل ما فى الأمر أن الاعتقاد والاعتراف يمكن وجودهما فى أنفسهما ؛ فاذا وجدا ، بعثا وحركا على غيرهما من العبادات ، ولا يكون وجود الصلاة مثلا أو الصيام أو الحج من أحد ، مع جحد البارىء جل ثناؤه ، أو جحد الرسول الجائى لهذه الفرائض ، فعلمنا أن الاعتقاد والاعتراف هما الأصل اذ كانا يصحان بأنفسهما . واذا صحا ، استتبعها غيرهما . أما الأعمال فانها فروع لأنها تحتاج الى معنى آخر يثبت قبلها ويستتبعها ( ٢ ) .

ويجب أن يفهم أن ( الأصل والفروع ، أو الجذر والجذع ) يشكلان معا ( شجرة الايمان ) ؛ فليس الأصل وحده ، ولا الفروع وحدها ، تكون ( شجرة الايمان ) ( ٣ ) .

---

( ١ ) المنهاج ص ٤١ .

( ٢ ) السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

( ٣ ) ظهرت - فى وقت مبكر جدا من تاريخ الاسلام - جماعة تزعم : أن الايمان هو المعرفة والاقرار ، وليست الأعمال من الايمان ، الى أن

## الاسلام والايمان :

الاسلام والايمان : اسمان لدين واحد ، وان كانت حقيقة الاسلام : التسليم ، وحقيقة الايمان : التصديق ؛ فان اختلاف الحقيقة فيهما لا يمنع ان يجعل اسماء لدين واحد . كالغيث والمطر : هما اسمان لمسمى واحد ؛ وان كانت حقيقة الغيث في اللسان غير حقيقة المطر .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والمأحى ، والحاشر ، والعاقب » ( ١ ) .

ومعلوم ان لكل اسم من هذه الأسماء الخمسة معنى وحقيقة سوى الذى هو فيها لغيره ، ثم لم يمنع ذلك من ان يكون اسما لمسمى واحد . فذلك الاسلام والايمان .

ثم ان بين حقيقة اسم الايمان ، وحقيقة اسم الاسلام من التناسب ما ليس بين حقائق هذه الأسماء التى وقع الاستشهاد بها ، لأن الايمان

=

قالوا : كل مؤمن وان عمل ما عمل من المعاصى ، فايما انه كايما أكثر الناس طاعة وأشدهم اجتهادا فى العبادة . ( انظر : المنهاج ص ٨٥ وما بعدها ، وكتاب ( الايمان ) ص ٢٧ - ٣٥ ، وكتاب ( الشريعة ) ص ١١٩ وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبى العز الحريرى ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ) . وهؤلاء هم ( المرجئة ) . وقد فرض هذا الاتجاه على علماء المسلمين واجب الرد والدحض والتفنيد ، واستنفذ منهم جهودا كبرى ، وصرفهم عن أعمال حقيقية مثمرة .

- وفى الواقع ان أصول هذه الفرقة فى ( مسيحية بولس ) . بولس الذى يزعم أن الانسان ( يتبرر ) أى : ينجو بالايمان أى بالاعتقاد فقط ، دون الأعمال . انظر فى هذا : ( أعمال الحواريين ) ورسائل بولس ، وانظر للباحث ( وهيب أحمد البكرى : بولس ودوره فى تحريف النصرانية ) رسالة ماجستير باشراف كاتب هذه السطور . بكلية الدعوة بالرياض ؛ وهذه النقطة تحتاج الى مزيد دراسة ومقارنة .

( ١ ) صحيح البخارى ( المناقب ) ، وفى مسلم : ( الفضائل رقم

إذا كان هو التصديق بالله ، والتصديق بالله يقتضى الايمان له بالطاعة ،  
وذلك هو الاسلام . والاسلام له ، لا يكون الا مع التصديق . فأما التكذيب  
فانه من موانع الاسلام ، . . فصح أن الاسلام ايمان ، والايمان اسلام ( ١ ) .

فان قيل : فان كان هذا هكذا ! فلم فصل في الحديث بين الاسلام  
والايمان ، في سؤالات جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ،  
وفي قول الله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » ( ٢ ) .  
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت » ( ٣ ) .

قيل : وقد فصل بينهما وبين الاحسان ، أفيدل ذلك على أن الايمان  
والاسلام ليسا باحسان ؟

وانما فصل بينهما - والله أعلم - لأنه أريد بالحديث : ( الايمان  
الناقل عن الكفر ، والايمان التابع له ) . فسمى أسبق الايمانين : ايماننا  
بالاطلاق ، وآخرهما : اسلاما .

أو يقال : فصل بين صريح التصديق وبين أماراته ؛ فسمى صريحه :  
ايماننا ، وسميت أماراته : اسلاما .

أو يقال : فصل بين ما هو ( ايمان بالله ) ، وما هو ( ايمان  
لله ) ؛ فسمى الايمان بالله : ايماننا باطلاق . وسمى الايمان لله : اسلاما .  
والا فالاسمان موضوعان لدين واحد ( ٤ ) .

كما أن الايمان : ما بطن ، والاسلام : ما ظهر . ثم هما جميعاً

---

( ١ ) المنهاج ص ٤٣ .

( ٢ ) الأحزاب ٣٥ .

( ٣ ) قطعة من حديث أخرجه البخارى في التهجد ، وفي التوحيد ،  
رواه مسلم ( ٧٦٩ ) في صلاة المسافرين وقصرها : باب الدعاء في صلاة  
الليل ، ومالك ٢١٥/١ ، وابن ماجه ( ١٣٥٥ ) ، والدارمى ٣٤٩/١ ،  
وأحمد ٢٩٨/١ ، ٣٥٨ من حديث ابن عباس .

( ٤ ) المنهاج ص ٤٤ .

ايمان ؛ لأنه لا صحة للباطن الا بالظاهر ، ولا للظاهر الا بالباطن ، وهما جميعا اسلام ؛ لأن كل واحد من تقويم الظاهر والباطن ، اذعان لله وخضوع ، ولا يكون ذلك الا مع التصديق .

وحل المسألة : أن لفظي ( الايمان والاسلام ) اما أن يذكر في الكلام مجتمعين أو منفردين . فان جمعا في الكلام ، انصرف الايمان الى الاعتقاد القلبي ، أو ما بطن من عمل ، وانصرف الاسلام الى اعمال الطاعات واجتناب المنهيات ؛ أي ما ظهر من عمل .

واذا انفرد أحدهما بالذكر شمل معنى الآخر وحكمه ، مثل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) وقوله : « ان الدين عند الله الاسلام » ، وقوله : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » (٢) . فالاسلام هنا ، لأنه أفرد بالذكر : يشمل : الاعتقاد والأعمال الظاهرة .

يذكر ابن أبي العز الدمشقي :

الحاصل أن حالة اقتران الاسلام بالايمان ، غير حالة افراد أحدهما عن الآخر ، فمثل الاسلام من الايمان ( والعكس ) ، كمثل الشهادتين من الأخرى ؛ فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الأعيان .

واحدهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد . وكذلك الاسلام والايمان ؛ فلا ايمان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا ايمان له ؛ إذ لا يخلو المؤمن من اسلام يتحقق به ايمانه ، ولا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه (٣) .

---

(١) المائد ٣ .

(٢) آل عمران ٨٥ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

## زيادة الايمان ونقصانه :

- قال تعالى : « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ( ١ ) .
- وقال سبحانه : « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » ( ٢ ) .
- وقال : « واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا » ( ٣ ) « ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا » ( ٤ ) .

### فثبت بهذه الآيات أن الايمان قابل للزيادة .

ومما يدل على أن الايمان يزيد وينقص قول النبی صلى الله عليه وسلم للنساء : « انكن ناقصات عقل ودين ، فقلن يا رسول الله : ما نقصان عقلنا وديننا ؟ قال : أما نقصان دينكن ، فهو أن الواحدة منكن تجلس نصف دهرها لا تصلى . وأما نقصان عقلكن فهو : أن شهادة اثنتين منكن عدلت شهادة واحدة » ( ٥ ) .

« فاذا كانت المرأة لنقصان صلاتها عن صلاة الرجال تكون أنقص ديناً منهم ، مع أنها غير جانية بترك ما تترك من الصلاة ، أفلا يكون الجانى بترك الصلوات أنقص ديناً من المقيم المواظب ؟ » ( ٦ ) .

ويذكر الامام أبو الحسن الاشعري ( ت ٣٢٤ هـ ) أن علماء أهل السنة والجماعة قد « أجمعوا على أن الايمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وليس نقصانه عندنا شكا فيما أمرنا بالتصديق به ، ولا جهلا به ؛ لأن ذلك كفر . وانما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان ، كما

- 
- ( ١ ) سورة الفتح ٤ .
  - ( ٢ ) سورة الأنفال ٢ .
  - ( ٣ ) التوبة ١٢٤ .
  - ( ٤ ) المدثر ٣١ .
  - ( ٥ ) ورد في البخارى ( كتاب الحيض ) وفي مسند الامام أحمد .
  - ( ٦ ) المنهاج ص ٦٣ .

يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله وسلم ، وان كنا مؤديين للواجب علينا « (١) .

والحق ما ذكره الامام الأشعري من اجماع اهل السنة والجماعة على ان الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ؛ ذكر ذلك كبار اهل العلم ، وقد اشرنا الى مواضعه في مؤلفات بعضهم في الحاشية (٢) .

اما الاختلاف الذي وقع بين قلة من العلماء في هذه المسألة فهو ينحل الى خلاف لفظي صوري ؛ لو حددت فيه مصطلحات كل فريق لما بقي هناك خلاف . وقد ناقش ( الحاكم الحلي ) شبه من قد يعترض على زيادة الايمان بالأعمال الصالحة ، ونقصانه بالمعاصي ، وفندها ، وفرغ منها ( المنهاج ج ١ ص ٥٥ - ٦٤ ) . ومما يذكر أن الفخر الرازي

---

(١) الامام الأشعري : « أصول اهل السنة والجماعة ؛ المسماة برسالة اهل الثغر » ص ٩٣ ، بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليذ ، مطبعة التقدم بمصر ١٩٨٧ م .

(٢) انظر : لابن أبي شيبة : الحافظ أبي بكر المتوفى سنة ٢٣٥ هـ كتابه : ( الايمان ) ص ٤٦ بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، نشر دار الأرقم بالكويت - وانظر اللالكائي : ( شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ) خصوصا ما رواه من اعتقادات الأئمة ( الثوري ، والأوزاعي ، وابن عينية ، وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المديني ، وأبي ثور ، والبخاري ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، والتستري ، وابن جرير الطبري ص ١٥١ - ١٩٣ ج ٢ ) .

- وانظر الفصل الذي كتبه أبو عبيد القاسم بن سلام بعنوان ( باب الزيادة في الايمان والانتقاص منه ) ص ٢٤ - ٢٦ من كتاب الايمان .  
- وانظر للصابوني : أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن : ( عقيدة السلف أصحاب الحديث ) ص ٥٧ ضمن مجموع رسائل في العقيدة بعنوان ( عقائد الفرقة الناجية ) اعداد عبد الله حجاج ، نشر شركة السلام العالمية بالقاهرة .

- وانظر للامام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى : ( الشريعة ) باب : ذكر ما دل على زيادة الايمان ونقصانه ، ص ١١١ - ١١٨ .



١ ت ٦٠٦ هـ ) لا يرى أن الايمان يزيد أو ينقص ؛ لكنه يرى أن هذا البحث والخلاف فيه لغوى شكلى لا حقيقى ( ١ ) .

=

- وانظر لابن بطة العبرى ت ٣٨٧ هـ كتاب ( الشرح والابانة على أصول أهل السنة والديانة ) ص ١٧٨ وما بعدها ، بتحقيق الدكتور رضا نعيان معطى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - الفيصلية بمكة .
- وانظر لابن تيمية : ( العقيدة الواسطية ) وشرحها للاستاذ محمد خليل هراس ، توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- وانظر لابن أبى العز الدمشقى : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢ وما بعدها .
- وانظر للباقلانى أبى بكر بن الطيب ت ٤٠٣ هـ كتابه : ( الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ) ص ٧٥ وما بعدها ، بتحقيق زاهد الكوثرى ، مؤسسة الخانجى ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م .
- وانظر لشمس الدين السمرقندى كتابه : ( الصحائف الالهية ) ص ٤٥٤ - وما بعدها ) بتحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف ، نشر مكتبة الفلاح بالكويت ، ط ١ .
- وانظر لابن قائد النجدى كتابه : ( نجات الخلف فى اعتقاد السلف ) ص ٧٦ ، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمى . نشر الصحوة بالقاهرة .
- ( ١ ) الفخر الرازى : ( محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ) ص ٣٤٩ نشر دار الكتاب اللبنانى .

### ملحق (١)

#### عدم تكفير المؤمنين بالذنوب والمعاصي

هذه مسألة تشتد الحاجة الى تبيانها في ايماننا هذه ؛ لأن كثيرين قد غلطوا فيها ، وتجراوا على الحكم على المؤمنين بالكفر ؛ بارتكابهم بعض الذنوب والمعاصي . وقد استند هؤلاء الى نصوص وآثار من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة لم يفهموها على وجهها ، ولم يفطنوا الى دلالتها الحقيقية .

وقد ابتليت الأمة الاسلامية بمثل هؤلاء - من قبل - ، وقد تصدى لهم أعيان علماء الأمة وسلفها الصالح ؛ شارحين النصوص ؛ مبينين الدلالات ، كاشفين المقاصد والأحكام ؛ وسنشق فيما يلي نصين : أحدهما موجز للامام الحاكم الحلي ، والآخر للامام أبي عبيد القاسم بن سلام ، يظهران جليلة الأمر في هذا ، وما ينبغي أن يفهم من مثل هذه النصوص ، وما يترتب عليها من أحكام .

- ١ -

#### يقول الحلي :

« فان قال قائل : لو كانت الطاعات كلها ايماناً - يعنى داخله في مسمى الايمان - ، لوجب أن يكون تركها كفراً » .

فالجواب : وبالله التوفيق - ان الطاعات كلها ايمان بشرط أن تكون موجودة في الايمان ، والطاعة - في الايمان - ايمان . ومتى جعلنا فعل الطاعة بشرط التمسك بالايمان - ايماناً لم يلزمنا أن نجعل تركها وحدها كفراً ؛ لأن تركها وحدها ليس بضد لمجموع الفعل وقرينه . فان هو ترك الفعل وقرينه - بأن جحد وجوبه ، أو جحد الأمر به ، أو المبلغ له - لم ينكر أن يكون ذلك كفراً منه (١) .

فان قيل : فان لم تكن معاصى المؤمن من فروع الكفر ، فما هى ؟

قيل : ليس بواجب أن تكون المعصية فرعاً للكفر ؛ لأن العصيان - كما ذكرنا - : مفارقة الأمر ، وليس الداعى الى مفارقة الأمر الكفر وحده ؛ ولو كان ذلك كذلك لاستحال وجود معصية من المؤمن .

ولكن الهوى وحب الشهوات داع الى المعصية ، كما أن الكفر داع اليها . وانما توجد المعصية من المؤمن اجابة منه للهوى ، وميلاً منه الى قضاء شهوته ، وليست تقع منه قصداً الى مخالفة البارى جل ثناؤه . ولو وقعت لهذا لكانت كفراً .

فأما الطاعة فلا داعى اليها الا تعظيم الأمر وابتغاء مرضاته ، ولهذا لم يصح وجودهما من الكافر ، فلهذا كانت طاعة المؤمن كلها فروعاً لايمانها ، ولم تكن معاصيه كفراً ولا من فروع الكفر « ( ١ ) » .

وبعد هذا التحليل العقلى الذى ينتهى منه الحليمى الى أن المؤمن لا يكفر بمعصية ، ولا يعد عصيانه من فروع الكفر ، ننتقل الى تحليل الامام أبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤ هـ ، للنصوص والآثار الواردة فى التغليظ على ذنوب المؤمنين ، ووصفها بأوصاف شديدة ، يقع ، من لم يفهمها على حقيقتها ، فى تكفير المؤمنين .

قال أبو عبيد : أما هذا الذى فيه ذكر الذنوب والجرائم ، فان الآثار جاءت بالتغليظ على أربعة أنواع :

- فائنان منها فيها : نفى الايمان ، والبراءة من النبى صلى الله عليه وسلم .

- والآخران فيها : تسمية الكفر وذكر الشرك ، وكل نوع من هذه الأربعة تجمع أحاديث ذوات عدة .

فمن النوع الذى فيه نفى الايمان حديث النبى صلى الله عليه وسلم  
« لا يزنى الرجل حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو  
مؤمن » (١) وقوله « ما هو بمؤمن من لا يأمن جاره غوائله » (٢)  
وقوله « الايمان قيد الفتك (٣) ، لا يفتك مؤمن » وقوله « لا يبغض  
الأنصار أحد يؤمن بالله ورسوله » (٤) .

ومنه قوله « والذى نفسى بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا » (٥) وكذلك  
قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « اياكم والكذب فانه  
يجانب الايمان » (٦) . وقول عمر رضى الله عنه : « لا ايمان لمن لا أمانة  
له » (٧) وقول ابن عمر (٨) « لا يبلغ أحد حقيقة الايمان حتى يدع  
المراء وان كان محقا ، ويدع المزاحاة فى الكذب » .

ومن النوع الذى فيه البراءة : قول النبى صلى الله عليه وسلم « من  
غشنا فليس منا » (٩) وكذلك قوله « ليس منا من حمل السلاح علينا » (١٠) .

---

(١) أخرجه الشيخان وابن أبى شيبه فى « الايمان » رقم (٧٢ و٣٨) .  
(٢) أى المهالك ، وهو جمع غائلة .  
(٣) أى يمنع من الفتك الذى هو القتل بعد الأمان غدرا ، أى كما  
يمنع القيد من التصرف ، يمنع الايمان من الغدر . والحديث أخرجه أبو داود  
والحاكم عن أبى هريرة ، وأبو داود عن معاوية . وأحمد عن الزبير .  
(٤ ، ٥) حديثان صحيحان ، أخرجهما مسلم من حديث أبى هريرة ،  
وأخرج أيضا الأول منها من حديث أبى سعيد أيضا .  
(٦) أخرجه أحمد فى « مسنده » ( ٥/١ ) موقوفا عليه بسند  
صحيح .

(٧) هذا صح مرفوعا من حديث أنس ، انظر الحديث (٧) من  
« الايمان » لابن أبى شيبه .

(٨) لم أره من قول ابن عمر ، وقد رواه أبو يعلى من حديث أبيه  
عمر مرفوعا بسند فيه نظر . انظر « الترغيب » ( ٢٨/٤ ) ، ورواه أحمد  
من حديث أبى هريرة مرفوعا .

( ٩ ، ١٠ ) أخرجهما مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ  
« من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » . وأخرج  
الشاطر الأول منه من حديث ابن عمر وأبى موسى أيضا .

وكذلك قوله « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ( ١ ) وأشياء من هذا القبيل .

ومن النوع الذى فيه تسمية الكفر : قول النبى صلى الله عليه وسلم حين مطروا فقال : « أتدرون ما قال ربكم ؟ قال : أصبح من عبادى مؤمن وكافر ، فأما الذى يقول : مطرنا بنجم كذا وكذا ، كافر بى مؤمن بالكوكب ، والذى يقول : هذا رزق الله ورحمته مؤمن بى وكافر بالكوكب » ( ٢ ) وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ( ٣ ) وقوله : « من قال لصاحبه كافر فقد باء به أحدهما » ( ٤ ) وقوله : « من أتى ساحرا أو كاهنا فصدقه بما يقول ، أو أتى حائضا أو امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ( ٥ ) » . وقول عبد الله : ( ٦ ) « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر » ، وبعضهم يرفعه .

ومن النوع الذى فيه ذكر الشرك : قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر ؛ قيل : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء » ( ٧ ) ومنه قوله : « الطيرة شرك ، وما منا

( ١ ) أخرجه أحمد من حديث ابن عمر مرفوعا وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

( ٢ ) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله ، رواه البخارى من

( ٣ ) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهنى .

حديث ابن عمر ، وابن عباس وأبى بكر رضى الله عنهم أجمعين .

( ٤ ) متفق عليه من حديث ابن عمر .

( ٥ ) الحديث صحيح الاسناد من حديث أبى هريرة ، وقد أخرجه الألبانى

فى « آداب الزفاف » ص ( ٢٩ ) لكن ليس فيه ذكر الساحر .

( ٦ ) وهكذا مرفوعا أخرجه مسلم فى « صحيحه » ( ٥٨/١ ) .

( ٧ ) أخرجه أحمد ( ٤٢٨/٥ - ٤٢٩ ) عن محمد بن لبيد أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكره وزاد : « قالوا : وما الشرك الأصغر

يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة اذا جازى

الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا ، فانظروا هل

تجدون عندهم جزاء ؟ » . ورجاله ثقات لكن اختلفوا فى صحة محمد

بن لبيد .

الا ( ١ ) ولكن الله يذهب بالتوكل « وقول عبد الله في التمايم والتولة ( ٢ ) :  
« انها من الشرك » .

فهذه أربعة أنواع من الحديث ، قد كان الناس فيها على أربعة  
اصناف من التأويل :

● فطائفة تذهب الى كفر النعمة .

● وثانية تحملها على التغليظ والترهيب .

● وثالثة تجعلها كفر أهل الردة .

● ورابعة تذهبها كلها وتردها .

فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة ، لما يدخلها من الخل  
والفساد . والذي يرد المذهب الأول : ما نعرفه من كلام العرب ولغاتها ،  
وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم الا بالجحد لأنعام الله وآلائه وهو  
كالخبر على نفسه بالعدم ، وقد وهب الله له الثروة ، أو بالسقم ، وقد  
من الله عليه بالسلامة . وكذلك ما يكون من كتمان المحاسن ونشر المصائب ،  
فهذا الذي تسميه العرب كفرانا ان كان ذلك فيما بينهما وبين الله ، أو  
كان من بعضهم لبعض اذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاهدوه .  
ينبئك عن ذلك مقالة النبی صلی الله علیه وسلم للنساء : « انكن تكثرن  
اللعن وتكفرن العشير یعنی الزوج وذلك أن تغضب احداكن فتقول : ما

---

( ١ ) یعنی الا ويعتريه شيء من الوهم .

والحديث أخرجه الاربعة وغيرهم من حديث ابن مسعود بسند صحيح .  
( ٢ ) بكسر التاء وفتح الواو ، ما يحبب المرأة الى زوجها من السحر  
وغیره . قال ابن الاثير : « جعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل  
خلاف ما قدره الله تعالى » . والحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن  
حبان وأحمد من طريقين عن ابن مسعود مرفوعا الى النبي صلی الله علیه  
وسلم بلفظ « ان الرقى والتمايم والتولة شرك » ، واسناد الحاكم صحيح  
كما بينه الألبانى فى « السلسلة » .

رأيت منك خيرا قط » ( ١ ) . فهذا ما في كفر النعمة .

وأما القول الثانى المحمول على التغليظ فمن أفضح ما تأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدا لا حقيقة له . وهذا يؤول الى ابطال العقاب ، لأنه ان أمكن ذلك في واحد منها ، كان ممكنا في العقوبات كلها .

وأما الثالث الذى بلغ به كفر الردة نفسها ، فهو شر من الذى قبله ، لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل ، فكفروا الناس بصغار الذنوب وكبارها ، وقد علمت ما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المروق وما أذن فيهم من سفك دمائهم ( ٢ ) .

ثم قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذب مقاتلهم ، وذلك أنه حكم فى السارق بقطع اليد ، وفى الزانى والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب بكفر صاحبه ، ما كان الحكم على هؤلاء الا القتل ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بدل دينه فاقتلوه » ( ٣ ) أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد ؟ وكذلك قول الله فيمن قتل مظلوما : ( فقد جعلنا لوليه سلطانا ) ( ٤ ) ، فلو كان القتل كفرا ما كان للولى عفو ولا أخذ دية ، ولزمه القتل .

وأما القول الرابع الذى فيه تضعيف هذه الآثار ، فليس مذهب من يعتد بقوله ، فلا يلتفت اليه ، انما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين

---

( ١ ) أخرجه الشيخان عن ابن عباس .

( ٢ ) يشير الى حديث على رضى الله عنه مرفوعا : « سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الاسنان ، سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة . متفق عليه .

( ٣ ) أخرجه البخارى وأصحاب السنن من حديث ابن عباس مرفوعا .  
وأحمد ( ٢٣١/٥ ) من حديث معاذ ، واسناده صحيح على شرط الشيخين .

( ٤ ) الاسراء - ٣٣ .

( م ٧ - الايمان )



قصر عملهم عن الاتساع ، وعييت أذهانهم عن وجوها ، فلم يجدوا شيئاً  
أهون عليهم من أن يقولوا : متناقضة فأبطلوها كلها !

وان الذى عندنا فى هذا الباب كله : أن المعاصى والذنوب لا تزيل  
إيماننا ، ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفى من الإيمان حقيقته وإخلاصه  
الذى نعت الله به أهله ، واشترطه عليهم فى مواضع من كتابه فقال :  
( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل  
الله ) الى قوله : ( التائبون العابدون الحامدون الراكعون السائحون  
الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله  
وبشر المؤمنين ) ( ١ ) .

وقال : ( قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ) الى قوله  
( والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون  
الفردوس هم فيها خالدون ) ( ٢ ) وقال : ( انما المؤمنون الذين اذا ذكر  
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون .  
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم  
درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ) ( ٣ ) .

قال أبو عبيد : فهذه الآيات التى شرحت وأبانت شرائعه المفروضة على  
أهله ، ونفت عنه المعاصى كلها ، ثم فسرتة السنة بالأحاديث التى فيها  
خلال الإيمان فى الباب الذى فى صدر هذا الكتاب ( ٤ ) ، فلما خالطت هذه  
المعاصى هذا الإيمان المنعوت بغيرها ، قيل ليس هذا من الشرائط التى  
أخذها الله على المؤمنين ولا الأمانات التى يعرف بها أنه الإيمان ، فنفت  
عنهم حينئذ حقيقته ، ولم يزل عنهم اسمه .

---

( ١ ) التوبة ١١٢ - ١١٣ .

( ٢ ) المؤمنون ١ - ١١ .

( ٣ ) الأنفال ٢ - ٤ .

( ٤ ) يقصد الباب الأول من كتاب ( الإيمان ) بعنوان : ( باب نعت  
الإيمان فى استكمالهِ ودرجاتهِ ) .

فان قال قائل : كيف يجوز أن يقال ليس بمؤمن ، واسم الايمان غير زائل عنه ؟ قيل هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في ازالة العمل عن عامله اذا كان عمله على غير حقيقته . ألا ترى أنهم يقولون للصانع اذا كان ليس بمحكم لعمله : ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً ، وانما وقع معناهم ما هنا على نفي التجويد ، لا على الصنعة نفسها ، فهو عندهم عامل بالاسم ، وغير عامل في الاتقان ، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا ، وذلك كرجل يعتق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال : ما هو بولده ، وهم يعلمون أنه ابن صلبه . ثم يقال مثله في الأخ والزوجة والمملوك . وانما مذهبهم في هذا المزيلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر .

واما النكاح والرق والأنساب ، فعلى ما كانت عليه أماكنها واسماؤها ، فكذلك هذه الذنوب التي ينفي بها الايمان ، انما أحبطت الحقائق منه والشرائع التي هي من صفاته ، فاما الأسماء فعلى ما كانت قبل ذلك ، ولا يقال لهم الا مؤمنون ، وبه الحكم عليهم .

وقد وجدنا مع هذا شواهد لقولنا من التنزيل والسنة .

فاما التنزيل فقول الله جل ثناؤه في أهل الكتاب حين قال :  
( واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ) .

- قال أبو عبيد : حدثنا الأشجعي عن مالك بن مغول عن الشعبي في هذه الآية قال :

« أما انه كان بين أيديهم ، ولكن نبذوا العمل به » .

ثم أحل الله لنا ذبائهم ونكاح نسائهم ، فحكم لهم بحكم الكتاب اذا كانوا به مقرين ، وله منتحلين ، فهم بالأحكام والأسماء في الكتاب داخلون ، وهم لها بالحقائق مفارقون ، فهذا ما في القرآن .

واما السنة فحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يحدث به

رفاعة (١) ، في الأعرابي الذي صلى صلاة ، فخففها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجع فصل فانك لم تصل » حتى فعلها مرارا كل ذلك يقول : « فصل » وهو قد رآه يصليها ، أفلمست ترى أنه مصل بالاسم وغير مصل بالحقيقة ، وكذلك في المرأة العاصية لزوجها ، والعبد الأبق ، والمصلى بالقوم الكارهين له ، أنها غير مقبولة . ومنه حديث عبد الله بن عمر في شارب الخمر « أنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة » (٢) .

قال أبو عبيد : فهذه الآثار كلها وما كان مضاهيا لها فهو عندي على ما فسرت له لك ، وكذلك الأحاديث التي فيها البراعة فهي مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا ، لا نرى شيئا منها يكون معناه البرؤ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من ملته ، إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ، ولا من المحافظين على شرائعنا . وقد كان سفيان بن عيينة يتناول قوله « ليس منا » ليس مثلنا ، وكان يرويه عن غيره أيضا ، فهذا التأويل وإن كان الذي قاله إماما من أئمة العلم فأنى لا أراه ، من أجل أنه إذا جعل من فعل ذلك ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم ، لزمه أن يصير من يفعله مثل النبي صلى الله عليه وسلم ، والا فلا فرق بين الفاعل والتارك . وليس له صلى الله عليه وسلم عديل ولا مثل من فاعل ذلك ولا تاركه .

---

(١) هو رفاعة بن رافع الزرقى وحديثه المذكور أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . وهو مخرج في كتاب الألباني ، « إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل » يسر الله أتمامه . وأخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة بنحوه .

(٢) أخرجه أحمد ( ٣٥/٢ ) من حديث ابن عمر مرفوعا بلفظ « من شرب الخمر ، لم تقبل صلاته أربعين ليلة » ورجاله ثقات وحسنه الترمذي ، وأحمد ( ١٩٧/٢ ) من حديث ابن عمر واسناده صحيح ، ابن حبان ( ١٣٧٨ ) .

فهذا ما فى نفى الايمان ، وفى البراءة من النبى صلى الله عليه وسلم  
انما أحدهما من الآخر واليه يؤول •

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصى ،  
فان معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الايمان  
عن صاحبه ، انما وجوهها : أنها من الأخلاق والسنن التى عليها الكفار  
والمشركون ، وقد وجدنا لهذين النوعين من الدلائل فى الكتاب والسنة نحوا  
مما وجدنا فى النوعين الأولين •

وأما الذى فى السنة ، فقول النبى صلى الله عليه وسلم « أخوف ما  
أخاف على أمتى الشرك الأصغر » ( ١ ) فقد فسر لك بقوله ( الأصغر ) أن  
ها هنا شركا سوى الذى يكون به صاحبه مشركا بالله ، ومنه قول عبد الله  
« الربا بضعة وستون بابا ، والشرك مثل ذلك » ( ٢ ) ، فقد أخبرك أن  
فى الذنوب أنواعا كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وهى غير الاشراك التى يتخذ فيها  
مع الله اله غيره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فليس لهذه الأبواب  
عندنا وجوه الا أنها أخلاق المشركين وتسميتهم وسننهم وأحكامهم  
ونحو ذلك من أمورهم •

وأما الفرقان الشاهد عليه فى التنزيل فقول الله جل وعز : ( ومن  
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ( ٣ ) وقال ابن عباس :  
« ليس بكفر ينقل عن الملة » ( ٤ ) • وقال عطاء بن بى رباح :  
« كفر دون كفر » •

---

( ١ ) أخرجه أحمد •

( ٢ ) أخرجه البزار من حديث ابن مسعود مرفوعا بسند رجاله رجال  
الصحيح كما قال المنذرى والهيثمى •

وهو عند ابن ماجه دون ذكر الشرك ، وسنده صحيح •

( ٣ ) المائدة ٤٤ •

( ٤ ) الأصل ( ملة ) والتصويب من ( مستدرك الحاكم ) ، وقد أخرجه

فقد تبين لنا أنه كفر ليس بناقل عن ملة الاسلام ، وأن الدين باق على حاله وأن خالطه ذنوب ، فلا معنى له الا خلاف الكفار وسنتهم ، على ما أعلمتك من الشرك سواء ، لأن من سنن الكفار الحكم بغير ما أنزل الله ، ألا تسمع قوله ( أفحكم الجاهلية يبغون ) ( ١ ) .

تأويله عند أهل التفسير أن من حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الاسلام ، كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية إنما هو أن أهل الجاهلية كذلك كانوا يحكمون ، وهكذا قوله « ثلاثة من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء » ( ٢ ) . وكذلك الحديث « آية المنافق [ ثلاث ] إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » ( ٣ ) .

ليس وجوه هذه الآثار كلها من الذنوب ، أن راكبها يكون جاهلا ولا كافرا ولا منافقا وهو مؤمن بالله وما جاء من عنده ، ومؤد لفرائضه ، ولكن معناها أنها تتبين من أفعال الكفار محرمة منهي ( ٤ ) عنها في الكتاب وفي السنة ليتحاماها المسلمون ويتجنبوها فلا يتشبهوا بشيء من أخلاقهم ولا شرائعهم . ولقد روى في بعض الحديث في المرأة إذا استعطرت ثم مرت بقوم يوجد ريحها « أنها زانية » فهل يكون هذا على الزنا الذي تجب فيه الحدود ؟ ومثله قوله : « المستبان شيطانان

=

( ٣١٣/٢ ) من طريق طاوس عن ابن عباس وصححه هو والذهبي .  
( ١ ) المائدة ٥٠ .

( ٢ ) حديث صحيح ، رواه البخاري في « التاريخ » والطبراني في « الكبير » ( ٢/١٠٥/١ ) عن جنادة بن مالك ، والبزار عن عمرو بن عوف ، وابن جرير عن أبي هريرة وعن أنس بن مالك ، وعنه أبو يعلى أيضا باختصار بأسناد قوى كما في « الفتح » ( ١٢/٣٧ ) وهو في البخاري عن ابن عباس موقوفا عليه .

( ٣ ) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

( ٤ ) كذا الاصل ، ولا يخلو من شيء .

( ٥ ) حديث صحيح ، أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم في

« صحاحهم » عن أبي موسى الأشعري مرفوعا بلفظ : « أيما امرأة

يتهاثران ويتكاذبان » . أفيتهم عليه أنه أراد الشياطين الذين هم أولاد إبليس !؟ إنما هذا كله على ما أعلمتك من الأفعال والأخلاق والسنن . وكذلك كل ما كان فيه ذكر كفر أو شرك لأهل القبلة ، فهو عندنا على هذا ، ولا يجب اسم الكفر والشرك الذي تزول به أحكام الإسلام ويلحق صاحبه للردة « إلا بكلمة الكفر خاصة دون غيرها » وبذلك جاءت الآثار مفسرة .

قال أبو عبيد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان قال :

« جاورت مع جابر بن عبد الله بمكة ستة أشهر ، فسأله رجل : هل كنتم تسمون أحدا من أهل القبلة كافرا ؟ فقال : معاذ الله ! قال : فهل تسمونه مشركا ؟ قال : لا » ( ١ ) .

---

استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية ، وكل عين زانية » .

وأخرجه بنحوه أبو داود والترمذي وصححه .  
( ١ ) أسناده صحيح على شرط مسلم .

## القِسمُ الثاني

أصول الايمان ؛ وتشمل :

- ١ - الايمان بالله تعالى .
- ٢ - الايمان بالملائكة .
- ٣ - الايمان بالكتب .
- ٤ - الايمان بالرسل .
- ٥ - الايمان باليوم الآخر .
- ٦ - الايمان بالقدر .



( مدخل )

أصول الايمان هي : العقائد ، والعقائد هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك ، وتطمئن اليها نفسك ، وتكون يقينا عندك لا يمازحه ريب ، ولا يخالطه شك .

أى أن تتمكن هذه العقائد من كينونة الانسان فتبعته - من ثم - ، وتحركه الى العمل - فى واقع نفسه وواقع الحياة - بمقتضاها ؛ ومقتضى هذه العقيدة : العمل الصالح : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، « الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » . والعمل الصالح باب واسع يتلخص فى طاعة الله بفعل ما طلب ورغب وأمر ، واجتناب ما كره ونهى وبغض . والعلاقة بين الاعتقاد والعمل الصالح ، علاقة تبادل وتأثير وتأثير ؛ فكلما قويت العقيدة ورسخت فى القلب أثمرت مزيدا من العمل الصالح . وكلما أحسن المؤمن عبادته ، واجتهد فى طاعة ربه والتعرف عليه ، وتحصيل الأعمال الصالحة أثمر ذلك زيادة فى الايمان ، وثباتا وتمكنا فى الاعتقاد . كما أن وضوح الأدلة ، وتمكنها فى النفوس لها أثرها فى قوة الاعتقاد ، ذلك أن الناس أمام العقائد الايمانية ليسوا سواء ؛ فمنهم من تلقاها تلقينا واعتقدها عادة ووراثة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك اذا عرضت له الشبهات ؛ ومنهم من نظر وفكر فازداد ايمانه ، وقوى يقينه ؛ ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر ، واستعان بطاعة الله تعالى ، وامثال أمره ، واحسان عبادته ، فأشرقت مصابيح الهداية فى قلبه ، فرأى بنور بصيرته ما أكمل ايمانه ، وأتم يقينه ، وثبت فؤاده : « والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » ( ١ ) .

وأساس العقائد الاسلامية ومصدرها الوحي : كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن تعلم - مع ذلك - أن كل هذه العقائد يؤيدها العقل السوى ، ويثبتها النظر الصحيح ؛ ولهذا شرف الله العقل بالخطاب ، وجعله مناط التكليف ، وندبه واستجاشه الى البحث والنظر والتفكر . قال تعالى :

« قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر  
عن قوم لا يؤمنون » ( ١ ) .

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها  
من فروج ، والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من  
من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء  
ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع  
نضيد ؛ رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » ( ٢ ) .

وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون ، فقال :

« وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها  
معرضون » ( ٣ ) .

وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ،  
تقديرًا للأدلة ، وأظهارًا لشرف الحجة والبينة . وقد ورد في الحديث أن  
بلالا جاء النبي صلى الله عليه وسلم يؤذنه بصلاة الصبح ، فوجده يبكي .  
فسأله عن سبب بكائه . فقال : « ويحك يا بلال ! وما يمنعني أن أبكي  
وقد أنزل الله على في هذه الليلة : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف  
الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ( ٤ ) ثم قال النبي : « ويل لمن قرأها

---

( ١ ) سورة يونس ١٠١ ( قل انظروا ماذا في السموات والأرض ) :  
أي من الآيات الدالة على وحدانية الله ، ( وما تغنى الآيات ) ، أي  
الدلالات . و ( النذر ) أي : الرسل .

( ٢ ) سورة ق ١١ .

( ٣ ) سورة يوسف ١٠٥ ( وكأين من آية ) أي : وكم من آية دالة  
على وحدانية الله تعالى ، ( يمرون عليها ) أي يشاهدونها ، ( وهم  
عنها معرضون ) : أي لا يتفكرون فيها .

( ٤ ) ( لآيات لأولى الألباب ) الذين يستعملون عقولهم في تأمل  
الدلائل . قال القرطبي : في تفسيره : ختم تعالى هذه السورة بالأمر  
بالنظر والاستدلال في آياته ، إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدوس

ولم يتدبر فيها « (١) » .

ومن هنا نعلم أن الاسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ،  
وان أرشدها الى التزام حدها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها الى الاستزادة  
من معارفها (٢) ، فقال تعالى :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٣) ، وقال : « وقل رب زدنى  
علما » .

فمهمة العقل الانسانى - فى باب العقائد - التلقى عن الله تعالى ،  
ثم النظر فى هذه العقائد ، وفى وجوه أدلتها . ومعروف أن الوحي قد  
« بين أصول الدين الحق ، والأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك ، وأن  
الرسول قد بينها أحسن بيان ، وأند دل الناس وهداهم الى الأدلة العقلية  
والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الالهية ، وبها يعلمون اثبات  
ربوبية الله ، ووحدانيته ، وصفاته ، وصدق رسوله ، ... وأن دلالة  
القرآن والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر ، بل الكتاب  
والسنة دلا الخلق وهدياهم الى الايات والبراهين والأدلة المبينة لأصول  
الدين » (٤) .

واذا كان ذلك كذلك ، فان مهمة عظمى قد نيظت بالعقل ؛ تتمثل فى

---

سلام غنى عن العالمين ؛ حتى يكون ايمانهم مستندا الى اليقين لا الى-  
التقليد .

سورة آل عمران ١٩٠ .

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير .

(٢) الامام حسن البنا : ( رسالة العقائد ) ص ٤٣٦ ضمن مجموع

رسائله ، نشر دار القلم ببيروت .

(٣) سورة الاسراء ٨٥ .

(٤) طه ١١٤ انظر رسالة الشيخ الجليل أحمد بن تيمية رحمه

الله : ( معارج الوصول ) ص ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ومواضع أخرى

وانظر له : الفتاوى ، ودرء تعارض العقل والنقل .

تلقى أصول الدين عن الوحي ، والبحث والنظر في الدلائل والبيّنات المثبوتة في القرآن : كتاب الله المنزل المسموع ، وفي الكون : المنظور المصنوع .

وأصول الايمان أو أصول العقائد ستة كما جاءت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اجابة على سؤال جبريل : « ما الايمان ؟ » .

قال صلى الله عليه وسلم : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر ؛ خيره وشره ، ( حلوه ومره ) » ( ١ ) .  
وهناك آيات عديدة في كتاب الله تعالى نعلم منها أن أصول الايمان ، أو أصول الدين ، أو أصول العقائد ستة ؛ منها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ، ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » ( ٢ ) .

ففي هذه الآية الكريمة خمسة أصول ؛ هي : الايمان بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسول ، واليوم الآخر .

أما ( الايمان بالقدر ) وهو الأصل السادس ، فنعلمه من قوله تعالى :  
« انا كل شيء خلقناه بقدر » ( ٣ ) ، « وكان أمر الله قدرا مقدورا » ( ٤ ) « والذي قدر فهدى » ( ٥ ) ، « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ( ٦ ) « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » ( ٧ ) .

وسنتناول هذه الأصول الستة بالدراسة والشرح طبقا لترتيبها في حديث مسلم ، وفي الآيات الكريمة ، والله ولي التوفيق .

- ( ٥ ) الأعلى ٣ .
- ( ٦ ) الفرقان ٢ .
- ( ٧ ) الحديد ٢٢ .

- ( ١ ) رواه مسلم .
- ( ٢ ) النساء ١٣٦ .
- ( ٣ ) القمر ٤٩ .
- ( ٤ ) الأحزاب ٣٨ .

**الأصل الأول**

**الإيمان بالله تعالى**



الأصل الأول : الايمان بالله تعالى

أولا : وجود الله

نظرة الى عقائد البشر ابان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ،  
تكشف مدى خلطهم في تصور وجود الله تعالى :

« اعلموا ، أرشدكم الله ، أن الذي مضى عليه سلفنا ومن اتبعهم من  
صالح خلفنا ، أن الله بعث محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، الى سائر  
العالمين وهم أحزاب متشتتون ، وفرق متباينون ؛

- منهم كتابى يدعو الى الله بما تفرد به في كتابه ( ١ ) ،

- وفلسفى قد تشعبت به الأباطيل في أمور يدعيها بقضايا  
العقول ( ٢ ) ،

- ودهرى يدعى الاهمال ، ويخبط في عشو الضلال ( ٤ ) ،

- وثنوى قد اشتملت عليه الحيرة ( ٥ ) ،

- ومجوسى يدعى ما ليس له به خبرة ( ٦ ) ،

- وصاحب صنم يعكف عليه ، ويزعم أن له ربا يتقرب بعبادة ذلك

الصنم اليه ( ٧ ) ،

---

( ١ ) أهل الكتاب اليهود والنصارى ، وللتعرف على كتبهم وعقائدهم  
وفرقتهم وما أحدثوا وغيروا وبدلوا انظر : رسالة سبينوزا ( فى اللاهوت  
والسياسة ) و ( مدخل لأسفار العهد القديم ) تأليف ( OTTO EISFELDT )  
الترجمة الانجليزية OXFord 1974 . وانظر : ( اليهودية والهيلينية )  
تأليف Marten Hengel نشر SCM,London 1981 ، وانظر للدكتور عبد المنعم  
الحفنى ( الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ) بيروت ، ولابن حزم :  
( الفصل ) نشر دار الندوة ، وانظر : ( العقائد الوثنية فى الديانة  
النصرانية ) ، بتحقيقنا ، ولنا ( مقارنة الأديان ) - و ( اظهار الحق )  
للشيخ رحمه الله الهندى .

( ٢ ) انظر كل كتابات الفلاسفة فى مجال الالهيات وتفسير مصدر  
الوجود ومصيره ، أى : ( الميتافيزيقا ) .

( ٣ - ٧ ) انظر : التمهيد للباقلانى ، بيروت ، وللفخر الرازى :  
( اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ) نشرة د . على النشار ، دار الكتب  
العلمية ( وفصل ) ابن حزم ، والملل والنحل ( للشهرستانى :



لينبهم جميعا على حدثهم ( على كونهم مخلوقين ) ، ويدعوهم الى صحة توحيد المحدث لهم ( الخالق ) ، ويبين لهم طرق معرفته بما بثه من آثار صنعه ، ويأمرهم برفض كل ما كانوا عليه من سائر الأباطيل - بعد تنبيهه عليه الصلاة والسلام لهم على فسادها ، ودلالته على صدفه فيما يخبرهم به عن ربهم تعالى بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة - ، ويوضح لهم سائر ما تعبدهم الله عز وجل به من شريعته ، وأنه ، عليه الصلاة والسلام ، دعاهم جميعا الى ذلك « (١) أى الى الايمان بوجود الله وتوحيده وطاعته .

### وجود الله أظهر الحقائق :

ان وجود الله تعالى ، أكبر الحقائق ، وأجلاها ، وأظهرها ، وأولها ، وأكبرها ، يقول الامام أبو حامد الغزالي موضحا هذه الحقيقة : « اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى ، وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف ، وأسبقها الى الأفهام ، وأسهلها على العقول » (٢) .

يدل على هذه الحقيقة الكبرى ، الفطر السليمة ، والعقول الصحيحة ، والبصائر النيرة ، ويهدى اليه العلم ، والوحي والتاريخ . والذين جادلوا في وجود الله تعالى - وبصرف النظر عن قلتهم او كثرتهم (٣) - فى كل عصر ، لا دليل معهم ، ولا حجة فى أيديهم ، ولا برهان فى رؤوسهم غير الجحود والمكابرة ؛ بل ان معظمهم ممن جرفتهم الشهوات ، وغلبتهم الغرائز الدنيا ، فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالاحاد ،

---

(١) الامام الأشعري : رسالة أهل الثغر : أصول أهل السنة والجماعة ( ص ٣٣ - ٣٤ . بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند .

(٢) الغزالي ( ت ٥٠٥ هـ ) : ( احياء علوم الدين ) ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٣) يرى الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى فى رسالته القيمة

( وجود الله ) ص ١٠ نشرة وهبة بمصر ) : « أن الذين جادلوا فى وجود الله قلة مغمورة فى كل عصر » ولعل هذا لا يطرد .

وانكار وجود الخالق الأعلى ، كما أنهم يتحدثون البداهة والحس والعقل والفطرة .

ومن ثم فإن الرسل عليهم السلام لم يجعلوا أكبر همهم مصروفا الى اثبات وجود الله (١) سبحانه ، فقد كان هذا أمرا مفروغا منه ، ومسلما به لدى اقوامهم . انما كان أكبر همهم ، تنقية الايمان بالله مما شابه من أدران الوثنية ونجاسة الشرك ، كان أكبر همهم الدعوة الى التوحيد ، لذلك ، كان أول ما يدعو اليه الرسول : توحيد الله تعالى :

• « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٢) .

• « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (٢) .

• « اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) .

ومعروف أن العرب كانوا يقرون بوجود الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٥) . ومع ذلك يشركون معه غيره من مخلوقاته في العبادة والتأليه .

الغزالي يشرح لماذا كان وجود الله أظهر الحقائق على الإطلاق :

يذكر الغزالي : « انما قلنا انه - تعالى - أظهر الموجودات وأجلها لمعنى لا تفهمه الا بمثال : وهو أنا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخط مثلا ، خان كونه حيا - عندنا - من أظهر الموجودات ؛ فحياته ، وعلمه ، وقدرته ، وارادته للخياطة ، أجلي - عندنا - من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ؛

---

(١) يرى الاستاذ العقاد أنه : « لم تتكرر البراهين على اثبات وجود الله - في كتاب من الكتب السماوية كما تكررت في القرآن الكريم انظر له : ( الله ) ص ٢٣٢ .

(٢) النساء ٤٦ .

(٣) الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ وكثير غيرها .

(٤) النحل ٣٦ .

(٥) الزمر ٣٨ .

اذ صفاته الباطنة كشهوته ، وغضبه ، وخلقه ، وصحته ، ومرضه ، كل ذلك لا نعرفه .

وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها ، وبعضها نشك فيه كمقدار طوله ، واختلاف لون بشرته ، وغير ذلك ، من صفاته .

أما حياته ، وقدرته ، وارادته ، وعلمه فانه أجلى عندنا ، من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته ، فان هذه الصفات ، لا تحس بشيء من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا الى كل ما في العالم ، سواه ، لم نعرف به صفته ، فما عليه الا دليل واحد ، وهو مع ذلك جلى واضح .

ووجود الله ، وقدرته ، وعلمه ، وسائر صفاته ، يشهد له - بالضرورة - كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ، ونبات وشجر ، وحيوان ، وسماء ، أرض ، وكوكب ، وهواء ، وجوهر وعرض ، بل أول شاهد عليه أنفسنا ، وأجسامنا ، وأوصافنا ، وتقلب احوالنا ، وتغير قلوبنا ، وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا .

وأظهر الأشياء - في علمنا - أنفسنا ، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ، ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة . وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد ، وشاهد واحد ، ودليل واحد .

وجميع ما في العالم شواهد ناطقة ، وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه ، وقدرته ، ولطفه ، وحكمته . والموجودات المدركة لا حصر لها .

فان كانت حياة الكاتب ظاهرة - عندنا - وليس يشهد لها الا شاهد واحد ؛ وهو ما أحسنا به من حركة يده - ، فكيف لا يظهر - عندنا - ما لا يتصور في الوجود شيء ، داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه ، وعلى عظمته وجلاله ؟ ؛ اذ كل ذرة فانها تنادى - بلسان حالها - أنه ليس وجودها بنفسها ، ولا حركتها بذاتها ، وأنها تحتاج الى موجد

ومحرك لها ؛ يشهد بذلك - أولا : تركيب أعضائنا ، وائتلاف عظامنا ، ولحومنا ، وأعصابنا ، ومنابت شعرنا ، وتشكل أطرافنا ، وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة ، فانا نعلم : أنها لم تأتلف بأنفسها ، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها .

ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ، ومحسوس ، ومعقول ، وحاضر ، وغائب ، الا وهو شاهد ومعروف ؛ عظم ظهوره ، فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه .!!

« وما تقصر عقولنا عن فهمه فله سببان :

أحدهما : خفاؤه في نفسه وغموضه ، وذلك لا يخفى مثاله .

والآخر : ما يتناهى وضوحه ؛ وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستتاره ، ولكن لشدة ظهوره ؛ فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت ، فتكون قوة ظهوره ( أى النور ) مع ضعف بصره ، سببا لامتناع ابصاره ، فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الضوء بالظلام ، وضعف ظهوره ( أى النور ) .

فكذلك : عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة ، وفي غاية الاستغراق والشمول ، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض ؛ فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب باشراق نوره ، واختفى عن البصائر والابصار بظهوره . . . ، قاله تعالى هو أظهر الأمور ، وبه ظهرت الأشياء كلها . . فلا جرم أن أورثت شدة الظهور خفاء ، فهذا هو السبب في قصور الأفهام « (١) » .

الأدلة على وجود الله تعالى :

ورغم شدة ظهور حقيقة ( وجود الله تعالى ) وجدنا بين الناس : الملحددين النفاة المعطلين ، والمرتابين المتشككين المجادلين في وجود الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير .

ولأن الايمان بوجود الله هو محور العقيدة وأساسها وجوهرها " وهو أصل لغيره من العقائد ؛ كالايمان بالنبوات وباليوم الآخر ، ثم هو أصل لما يترتب عليه من العبادات والأخلاق والأحكام التي أمر الله باتباعها والوقوف عندها . فالذى لا يؤمن بالله تعالى ليس لديه - في هذه الأمور - محور صحيح ، أو فكرة مستقيمة ، أو عمل صائب ، ... لذلك كان ضروريا أن تنال هذه العقيدة الأساسية حظها من العناية والاهتمام حتى يكون الايمان بها قائما على الفهم والاقتناع ، وهما السبيل الى اليقين الذى ينأى بصاحبه عن مواطن الاوهام والظنون » ( ١ ) .

والأدلة على وجود الله تعالى لا حصر لها ؛ ومنها دلالة الفطرة .  
ودلالة الكون ، ودلالة الأخلاق ، ودلالة الوحي ، ودلالة التاريخ .

#### ١ - دلالة الفطرة أو الوجدان :

أول دليل على وجود الله سبحانه وتعالى دليل الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، انه ذلك الشعور الغريزي الجبلى المستكن فى أعماق الانسان ، بأن فوق الكائنات المحدودة المتناهية ، كائنا غير محدود ، ولا متناه ، يهيمن على كل شئ ، ويدير كل أمر ، يرجى ويخشى ، ويعظم ويقصد ... شعور ينبع من أعماق الانسان ، ويستمد من كيانه كله ، لا من عقله وحده ، ولا من وجدانه بمفرده ، شعور يجده الانسان فى نفسه بغير تعلم ولا تلقين ولا اكتساب .

وكلما كان الانسان أسلم فطرة ، وأزكى نفسا ، رق حجابيه ، وتفتحت عين بصيرته ، وارتفع عن جاذبية الطين ، وحينئذ يشعر بأن وجود الله يملأ عليه أقطار نفسه ، ويغمر كيانه كله ، فيحس بأنه غير محتاج الى دليل على وجود ربه - سبحانه - خارج عن ذاته وكيانه ؛ بل يشعر أن وجود الله أظهر من كل شئ ، بل هو دليل كل شئ ( ٢ ) .

---

( ١ ) د . عبد الحميد مدكور : مذكرات فى علم الكلام ص ٧٢ ( دار العلوم ١٩٧٥ م ) .  
( ٢ ) رسالة ( وجود الله ) ص ١٥ ، ١٦ .

« أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) •

فالأقرار بوجود الله ، ضرورى ، ما دامت فطرة الانسان سليمة ؛ لأن الله خلق الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ولذلك يتجه الانسان الى حاله وبارئه بدافع من هذه النفخة القدسية التى أودعها الله فيه :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٢) •

والمقصود بالفطرة : أن الانسان - سواء أكان عالما أم جاهلا - لو جرد نفسه من آثار الوراثة المختلفة ، ومحا من ذهنه كل ما يربطه بالبيئة والمجتمع ، والمذهب الذى ينتمى اليه ، ثم تفكر بعد ذلك فى الكون ، وفى نفسه ، لاندفع بفطرته وطبيعته اندفاعا اضطراريا ، ليجد نفسه ساجدا خاشعا أمام ربه العلى العظيم الرحمن الرحيم •

يقول ابن عطاء الله السكندرى :

« الهى ، كيف يستدل عليك ، بما هو فى وجوده مفتقر اليك ؟ !  
ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك ؟

وقيل لأحد الصالحين : ان فلانا من علماء الكلام قد أقام على وجود الله ألف دليل •

فقال : لأن فى نفسه ألف شبهة !!

وهذا الشعور الفطرى قد يتوارى - لدى بعض الناس - بسبب من المؤثرات المختلفة التى من أهمها شعور الانسان بالغنى الذى يطغيه ويحجبه عن رؤية نفسه على حقيقتها ، فاذا نزل بالانسان شدة قاهرة ، انقشع

---

(١) سورة فصلت ٥٣ •

(٢) الروم ٣٠ •

الغبار الذى أخفى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ورجع الانسان الى ربه خاشعا ضارعا داعيا منيبا اليه (١) .

ويشير القرآن الحكيم الى هذه الحقيقة :

« هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى اذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم ، بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم : دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونن من الشاكرين » (٢) .

ويصور القرآن الكريم أصالة هذه الفطرة ، وشمولها لكل أفراد النوع الانسانى تصويرا مؤثرا يأخذ بمجامع القلوب ، ويسوقها الى ربها سوقا جميلا ، ويعرض ذلك فى صورة ميثاق قديم بين الانسانية وربها ، على أن تؤمن به ، وتعبده ، وتوحده ، يقول تعالى :

« واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، افتهلكنا بما فعل المبطلون » (٣) .

ودلالة الفطرة هذه تثبتتها شهادة الوجدان - كما رأينا - ، وشهادة التاريخ تصرح بأن شعوب الأرض كلها - فى القديم والحديث ، مدنية وبدوية ، نزل عليها كتاب سماوى أو لم ينزل - قد فكرت فى قوة عليا ، أرجعت اليها الأمر فيما ينزل بها من خير أو شر ، وتوجهت اليها - تبعا لذلك - بالعبادة والتقديس (٤) .

---

(١) ( وجود الله ) ص ١٧ .

(٢) يونس ٢٢ .

(٣) الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) مذكرات فى علم الكلام ، ص ٧٣ ، د . دراز : « الدين » فصل



وبما أن قانون السببية من القوانين الفطرية الأصلية في العقل ، فإن شهادة العقل - التي تتأسس على أن لكل شيء سببا ولكل مخلوق خالقا - تؤيد دلالة الفطرة على وجود الله تعالى خالقا لهذا الوجود .

## ٢ - الأدلة الكونية على وجود الله تعالى :

الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر في الآفاق والأنفس ( الكون ) :

لئن كانت الفطرة السليمة - إذا تركت على براءتها الأصلية ، دون تأثير عليها - اهتدت الى وجود الله سبحانه ، فكذلك العقل السليم - بأدنى تفكير مجرد عن الهوى والتقليد والعصبية - يصل حتما الى وجود الله تعالى .

والمجال الصحيح المثمر لتفكير العقل وتامله هو الآفاق والأنفس ( ١ ) ؛ أى هذا الكون الكبير ؛ وقد حث الخالق الانسان ، وحفزه ، واستجاش همته ، الى النظر ، والبحث ، والملاحظة والتجريب ، بغية الاهتداء الى آيات الله وسنته ؛ حتى يتبين أن الله تعالى هو الحق ، هو الخالق الواحد سبحانه وتعالى .

فقد أبدع الخالق الحكيم هذا الكون الهائل العظيم من عدم محض ، ونسقه ، ونظمه ، فجاء كونا معجزا في توازنه وانسجامه واتقانه . وربطه فطره وسيره بسننه الثابتة الراسخة التي لا تتبدل ، ولا تتحول ، ولا تضل ، ولا تتوقف ، ولا يحيط بكنه جميع هذه السنن الا خالقها ومدبر أمرها سبحانه وتعالى .

=

( نزعة التدين ومدى أصالتها في الفطرة ) ص ٨١ - ١٠٥ ، وانظر كتاب العميد الركن طه الهاشمي : تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات مكتبة الحياة ١٩٦٣ وانظر للدكتور نظمي لوقا : « الله » مكتبة غريب ، العقاد : ( الله ) ، نديم الجسر ( قصة الايمان ) توزيع دار العربية .  
( ١ ) عن المجال الصحيح لعمل العقل ، انظر كتابنا : « الفلسفة العامة : دراسة نقدية » نشر مكتبة الزهراء .

وهذه السنن حاكمة - باذن الله - للكون كله : أشيائه ونباتاته ، وحيواناته ، وانسانه . من الذرة والخلية ، الى المجردة والسديم والفضاء الكونى الفسيح ، الذى لا يعلم مدى سعته وامتداده الا الله تعالى .

وهذه السنن هى التى يطلق عليها العلماء : اسم القوانين أو الحقائق أو العلائق العلمية ، هى التى دعا الخالق سبحانه الانسان كى ينظر فى أرجاء الكون وأمدائه ، وأنحاءه ، وآفاقه ، ويستمتع . . . ويتأمل ، ويتدبر ( ١ ) ، وسيصل العقل السليم المجرد عن الهوى والتعصب والتقليد - حتما - من خلال النظر فى الكون ، الى الايمان بالله تعالى ( ٢ ) .

والمتدبر فى كتاب الله تعالى يجد القرآن لا يعرض أصول الايمان عرضا مجردا مستقلا ، لكنه يخاطب الناس بها من خلال عرض مظاهر القدرة المحيطة فى الآفاق والآنفس . ولئن كان عرض مسائل الايمان أو العقيدة - فى القرآن الكريم - مثل قضية الألوهية والرسالة والبعث - لا يكون الا مع ذكر بعض الآيات الكونية . فان الاستدلال لها ، والبرهان على صحتها وامكانها ينطلق منها أيضا ، أى : من مظاهر القدرة فى الآفاق والآنفس . . . أو من النظر فى المخلوقات .

فالقرآن الكريم ، يتخذ من النظر فى الآيات الكونية منهجا وطريقا لعرض الأصول الايمانية ، والتدليل عليها ، والدعوة اليها ( ٣ ) .

---

( ١ ) انظر كتابنا : « القرآن والكون » : نشر مكتبة الزهراء .  
( ٢ ) انظر مجموعة كتب فى هذا المجال ، منها : ( العلم يدعو للايمان ) كريسى موريسون ، و ( الله يتجلى فى عصر العلم ) و ( الدين فى مواجهة العلم ) ، ( لغز الحياة ) ومؤلفات عبد الرازق نوفل . . . والدكتور محمد أحمد الغمراوى ( الاسلام فى عصر العلم ) وغيره ، والدكتور أحمد جمال الفندى ( الله والكون ) وغيره . الخ .

( ٣ ) وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ومن هنا كان النظر فى الكون ؛ فى الآفاق والآنفس ، ( واجبا دينيا ) و ( فريضة من الله ) ؛ لما يتأسس عليه من بناء العقيدة وتثبيت الايمان بالله ، ولتوسيع فهمنا

والملاحظ أن هذه الآيات الكونية الماثورة في القرآن كله : لا يجيء الحديث عنها الا في مجال عرض مسألة من مسائل الايمان ، أو التدليل عليها ، فهي لا تجيء مستقلة مفردة برأسها .

وقد عنى القرآن - عناية كبرى - بالحديث عن هذا الكون ، وما فيه من آيات ، وحث الناس على تدبرها والنظر فيها ، والتفكر ، والتبصر . وإن مساحة كبيرة من آى هذا القرآن موضوعها تجريبى كونى ، أو طبيعى . . .  
أى : الآفاق والأنفس . ولقد أحصى بعض العلماء ( ٧٥٠ خمسين وسبعمائة آية ) موضوعها كونى . . . ، تتحدث عن السماء والأرض ، والنبات ، والحيوان ، والنحل ، والنمل ، واللبن ، والشمس ، والقمر ، والماء ، والبخار ، والهواء ، والسحاب ، والمطر . . . الى غير ذلك مما يطول سرده .

ومما يذكر - هنا - أن كثيرا من هذه الآيات التى موضوعها - الآفاق والأنفس - يبدوها الحق عز وجل ، بأمر صريح للانسان : بالنظر والتفكر فيها ، أو يختتمها بهذا التوجيه الكريم الى النظر . وفى كثير من هذه الآيات يبدوها الله تعالى ، ويختتمها - معا - بهذا الأمر الملزم .

والشواهد على ذلك من نصوص الكتاب يصعب حصرها ، ويكفى القارئ أن يراجع فى المصحف الآيات الكريمة فى مواد : التفكير ، والعلم ، والتدبر ، والبصر ، والتفقه ، والتذكر ، والتعقل ، ليدرك مدى الزام الحق عز وجل للانسان بذلك .

وهناك سور عديدة يطلق الحق عز وجل عليها ، ويسمىها بأسماء ظواهر كونية طبيعية ، مثل : الأنعام ، والرعد ، والنحل ، والنمل ،

=

لكتاب الله تعالى فى الآيات التى تتحدث عن ظواهر كونية ، وللتعرف على السنن والقوانين ؛ حتى نرى كيف سخر الله لنا ، وخلق لنا ، وجعل لنا هذه المخلوقات ، ونستثمرها فى تنمية حياتنا ومعاشنا .

والعنكبوت ، والنجم ، والحديد ، والقمر ، والطور ، والبروج ،  
والطارق ، والفجر ، والشمس ، والتين ، والعلق ، والعاديات ، والفيل ،  
والفلق .

ولقد افتح الله بعض سور القرآن الكريم بالقسم ، ويقسم فيه الحق  
بمخلوقاته مثل : الأفلاك كما في البروج والطارق .

وبلوازم الأفلاك في : والنجم ، والفجر ، والشمس ، والليل ،  
والضحى ، والعصر . وبالهواء ، وبالتربة ، وبالنبات والثمر ،  
والحيوان ( ١ ) . الخ .

ومن شأن هذا القسم أن يخلق على هذه المخلوقات قيمة كبرى ، وأن  
يوجه إليها القلوب تتملأها ، وتتدبر ماذا لها من قيمة ، وماذا بها من  
دلالة حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم ( ٢ ) .

إذا ، هنالك ربط وثيق - في القرآن - بين الكون ؛ أي الأفاق  
والأنفس ، وبين الإيمان والاعتقاد ، فالكون هو الدليل إلى الله تعالى .

#### ( ١ ) دليل الخلق والابداع :

المراد بالخلق والابداع : الایجاد والاحداث ، أي : ابراز الشيء من  
العدم إلى الوجود ، وذلك مثل : خلق الحياة في الكائنات الحية على ظهر  
الأرض التي بث فيها من كل دابة ، وأنبت فيها من كل زوج بهيج ، مثل  
خلق الإنسان العاقل الذي لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم كان .

ومثل خلق السموات والأرض ، وهو أكبر من خلق الناس ، وقد  
دل العلم الحديث على عظم الأجرام العلوية ، وسعة المسافات بينها ، حتى  
انها لتقاس بملايين السنين الضوئية ( ٣ ) .

( ١ ) انظر لنا : ( القرآن والكون ) ص ٤٧ / ٤٨ .

( ٢ ) سيد قطب : الظلال ، ج ١ ص ٣٩٦ - ١٩ .

( ٣ ) رسالة ( وجود الله ) ص ٢٣ ، وانظر لعباس العقاد ( الله )

ص ٢٣٦ وما بعدها .

ومما يجدر ذكره أن دليل الخلق هذا ، دليل قرآنى ؛ إذ يلفت القرآن الأنظار - فى كثير جدا - من آياته الكريمة ، الى ظاهرة : الخلق ، التى يحسونها ويشاهدونها فى أنفسهم ، وفيما وقعت عليه أبصارهم . فمن الأمور البديهية أن الانسان يدرك أنه مخلوق ، وأنه موجود بعد أن لم يكن ، وينطبق هذا الحكم على الناس جميعا - ولو ادعى انسان أنه ليس بمخلوق لعلم وأيقن - فى قرارة نفسه - أنه كاذب ، ولكذبه الناس جميعا ؛ لأنهم يعلمون أن له بداية فى ولادته من أب وأم . كذلك يدرك الانسان ظاهرة الخلق فيما يراه من نبات وحيوان (١) ؛ ومن آيات القرآن التى تشير الى أن الله هو الخالق ، أول آية أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم :

« اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق » (٢) .

« الله خالق كل شيء » (٣) « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو » (٤) « فلينظر الانسان مم خلق ؟! خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » (٥) « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦) « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم واللوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » (٧) .

« وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » (٨) « وما خلق الذكر والأنثى » (٩) .

---

- وانظر : للدكتور عبد الحميد مدكور : ( مذكرات فى علم الكلام )  
وانظر للدكتور جمال الفندى ( الله والكون ص ٢٣ - ٥١ ) .

(١) مذكرات فى علم الكلام ص ٨٣ .

(٢) غافر ٥٧ .

(٣) سورة العلق ١ ، ٢ .

(٤) الروم ٢٢ .

(٥) الزمر ٦٢ .

(٦) النجم ٤٥ .

(٧) غافر ٦٢ .

(٨) الليل ٣ .

(٩) الطارق ٥ - ٧ .

- « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » (١) .  
« فاطر السموات والأرض » (٢) .

ومن شأن ظاهرة الخلق هذه أن تجعل الانسان يفكر في سبب وجوده هذه الكائنات المحيطة به . ترى ؟ من خالق الحياة على هذه الأرض ؟ ومن خالق هذا الانسان العاقل المفكر ؟ من خالق هذا الكون كله ؟ وهل وجدت الحياة ووجد الانسان والكون كله بلا موجد ؟ أم لابد لها من خالق ؟ ومن هو ؟

وتبدو حجة القرآن بينة واضحة فيما وجهه من أسئلة مفحمة للمنكرين :  
« أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات السموات والأرض » (٣) .

السؤال الأول : « أم خلقوا من غير شيء ؟ أي بلا خالق . . والفطر السليمة غير المعاندة تسلم بأن كل مخلوق لابد له من خالق ، وأن كل سبب يستلزم سببا يحدثه بناء على قانون السببية الذي هو من قوانين البداهة والفطرة (٤) .

السؤال الثاني : « أم هم الخالقون » ؟ وتسلم الفطر السليمة المستقيمة أن الانسان لم يخلق نفسه ، ويؤكد ذلك الحس والواقع ، فكل انسان يولد ضعيفا عاجزا جاهلا لا يتحكم في قواه ، ولا يختار وقت ولادته ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه عجزا أو هرما ، أو موتا ؛ فليس الانسان ، اذن ، هو الخالق .

السؤال الثالث : « أم خلقوا السموات والأرض » ؟ الواقع أن

---

(١) الروم ٢٠ .

(٢) فاطر ١ .

(٣) الطور ٣٥ - ٣٦ .

(٤) انظر لنا : ( مبدأ السببية ) : رسالة دكتوراه بدار العلوم

السموات والأرض يسبقان الإنسان في الوجود ، وأنهما أعظم وأكبر من أن يحيط البشر جميعا بما فيهما من اعجاز واتقان يبهر العقول ، ويغلب الأبواب ، ولذلك لم يدع انسان انه خالق هذا الكون ، ولو ادعى ذلك لكذبه الناس في دعواه ، وتحققوا من جنونه .

والنتيجة الطبيعية التي يريد القرآن أن يأخذ بيد الانسان اليها ، هي أن يقر الانسان بوجود خالقه الذي خلقه ، وخلق الكون جميعا ، وهو الله الكبير المتعال ( ١ ) .

والآن ، ماذا يقول الملحدون - النفاة لوجود الخالق - في تفسير خلق الحياة في المادة الصماء ؟ أو بم يفسر الملحدون اخراج الحي من الميت ؟ أو ظهور الحياة لأول مرة على هذا الكوكب ؟

ومما يستوقف النظر أن البراهين التي جاء بها القرآن الكريم ، وخصها بالتوكيد والتقرير هي أقوى البراهين اقناعا ، وأحراها أن تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها ، ونعنى به أولا : برهان ظهور الحياة في المادة « يخرج الحي من الميت » ... « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » وثانيا : برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة « جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا » . . . . « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » .

فلم يحاول الماديون - قط - أن يفسروا ظهور الحياة في المادة الصماء ، الا وقفوا عند تفسير الحاصل بالحاصل . أو تخطبوا في ضروب من الرجم بالغيب لا يقوم عليها دليل ، وهم انما يهريون من الايمان بوجود الله ، لأنهم لا يصدقون بالغيب ، ولا يعتمدون غير المشاهدة ، وما هو في حكمها من دليل ملموس ( ٢ ) .

---

( ١ ) مذكرات في علم الكلام ص ٨٣ / ٨٤ .

( ٢ ) ( الله ) ص ٢٣٦ .

ظهور الحياة في المادة الصماء وضع الملحددين أمام مشكلة لا حل لها :

- فمنهم من قال : ان الحياة انتقلت الى الأرض من الفضاء الكونى عن طريق نيزك هائم على وجهه . . . والسؤال يبقى : من خلق الحياة هناك في الفضاء حتى حملها هذا النيزك الضال الشارد وسقط بها على الأرض ؟!

- ومنهم من قال : ان المادة فيها طبيعة الحياة بعد تركيب وتناسق خاص - ولكن السؤال يبقى أيضا : ومن ركبها ونسقها من مادة عمياء صماء ؟! (١) .

ولا يسع العقل - في أمر ظهور الحياة الا أن يأخذ بأحد قولين :  
- فاما أنها خاصة من خواص المادة ، ملازمة لها ، فلا حاجة بها الى خالق مريد ،

- واما أنها من صنع خالق مريد يعلم ما أراد .

فاذا كان العالم كله مادة ، ولا شيء غير المادة ، لزم من ذلك أن المادة أزلية أبدية ، لا أول لها ولا آخر ، وأنها موجودة منذ الأزل بكامل قواها ، وجملة خصائصها ، وان خصائصها ملازمة لها حيث كانت ، بدون تفرقة بين المادة في هذا المكان من الفضاء ، والمادة في غير هذا المكان .

ولا معنى اذن ، لظهور الحياة في كوكب دون كوكب ، وفي زمان دون زمان ، ولا معنى لأن تظل خصائص الحياة بلا عمل ملايين الملايين من السنين ، بل فوق ملايين الملايين من حساب السنين ، ثم تظهر بعد ذلك في زمان ، يحسب تاريخه بالآلاف ، ولا يقاس الى الأزل الذى لا يدخل في حساب . فلماذا تأجلت خصائص الحياة كل هذا الزمان الذى لا يدخل في حصر ولا احصاء ؟ ولماذا اختلف التوزيع والتركيب في أجزاء الفضاء وآماد الزمان ؟ ولماذا جاءت هذه الحياة مصادفة ، ثم دامت هذه المصادفة ، بكل ما يلزم لها من تدبير ، وليس للمادة الصماء تدبير ؟

---

(١) رسالة ( وجود الله ) ص ٢٤ ، كتاب ( الله ) ص ٢٣٦ - ٢٣٧  
و ( الله والكون ) .



على العقل ان يبدى اسبابه لترجيح القول بهذه الفروض على القول  
بظهور الحياة من صنع خالق مريد . ولا نعرف اسبابا لترجيح الفرض  
العسير على الفرض اليسير . . والفرض اليسير هو : الفرض الآخر ، وهو  
ان الحياة ظهرت من صنع خالق مريد ( ١ ) .

« فإخراج الحياة من المادة الصماء - أو إخراج الحى من الميت -  
معجزة حقيقية بتوكيد القرآن الكريم ، وتقريره ، وتعجيب العقول من  
خفاء دلالتها على من تخفى عليه ؛ فإن المادة قد تنتظم فى أفلاك ومدارات  
وبروج ، لأن الانتظام حالة من الحالات التى قد تقع للمادة ، ولا تضطر  
العقل الى افتراض قوة من خارجها ، اما أن تنشئ المادة لنفسها أسماعا  
وأبصارا وأفئدة ، فليست هذه من حالاتها التى يقبلها العقل بغير  
تفسير » ( ٢ ) .

ان ذلك الفرض اليسير هو الذى يحل لغز ظهور الحياة من المادة  
الصماء ، أو خروج الحى من الميت ، ويحل لغز الوجود كله ، حين  
يستجيب الانسان الى صوت البداهة والعقل ، ويرد الخلق والامر كله الى  
الله :

« ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت  
من الحى ، ذلكم الله ، فأنى تؤفكون » ( ٣ ) .

« سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ،  
ومما لا يعلمون » ( ٤ ) .

---

( ١ ) هذا النص ساقه ثلاثة من المفكرين هم : عباس العقاد : « الله »  
ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وعبد الرزاق نوفل : « الله والعلم الحديث » ، والدكتور  
يوسف القرضاوى « رسالة وجود الله » ص ٢٤ - ٢٥ . والصياغة للأستاذ  
العقاد .

( ٢ ) ( الله ) ص ٢٣٩ .

( ٣ ) الأنعام ٩٥ .

( ٤ ) يس ٣٦ .

وقد أفاض القرآن الكريم في تأكيد أن الله تعالى وحده ، هو المتفرد بالخلق ، المستقل بالايجاد ؛ فبين في آيات كثيرة أنه - سبحانه - هو الذى خلق السموات والأرض ، وما فيهما ، وما بينهما ، وأنه يخلق ما يعلمه - الناس وما لا يعلمونه ، وأنه أحسن كل شئ خلقه ، وأنه خلق كل شئ فقدره تقديرا . . . . ويبين القرآن في آيات عديدة - أن أحدا لا يشارك الله في صفة ( الخالقية ) ، فهو وحده سبحانه الخالق ، وكل ما ومن عداه ، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا . ويؤكد القرآن الحكيم - في لهجة متحدية - أن أحدا - غير الله - لا يستطيع أن يخلق شيئا مهما كان صغيرا :

« يا أيها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » ( ١ ) .

وهكذا ينتهى تأمل ظاهرة ( الخلق ) الى الايمان بوجود خالق حكيم واحد ، لا شريك له . ويلاحظ أن هذا الدليل القرآنى يعتمد على مقدمات واضحة و يقينية ؛ وأنه يستند الى مبدأ السببية ، وهو مبدأ فطرى فى العقل الانسانى ( ٢ ) .

( ب ) دليل تسوية الخلق واحسانه ، واتقان الصنع ، وخلوه من التفاوت ، والنقص ، والعيب ، والقصور ، والامت والفطور :

يشير القرآن الكريم الى هذه التسوية - بمعنى احسان الخلق واتقانه وابداعه على غاية التمام والدقة والاعجاز - فى آيات عديدة ؛ يقول تعالى :

« الذى أحسن كل شئ خلقه » ( ٣ ) ، « صنع الله الذى اتقن كل

---

( ١ ) الحج ٧٣ .

( ٢ ) انظر مذكرات فى علم الكلام ص ٨٤ - ٨٥ بتصرف .

( ٣ ) السجدة ٧ .

شيء « (١) ، « ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (٢) ،  
« سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » (٣) ،  
« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من  
فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب اليك البصر خاسئا وهو  
حسير » (٤) .

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر  
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك  
القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (٥) .

وهذه التسوية ظاهرة فى خلق الكائنات كلها بلا استثناء ، وظاهرة  
فى الكائنات الحية على وجه الخصوص ، وفى الانسان على وجه  
اخص (٦) .

وقد استرعى القرآن الكريم انتباه الانسان - فى عشرات الايات -  
الى ما حفل به هذا الوجود من دلائل القدرة ، وآيات الاعجاز ، وعجائب  
الاتقان والحكمة البالغة ، واستجاش القرآن الانسان للنظر فى كل ذلك ؛  
نظراستبصار واعتبار .

وان ما فى هذا الكون العظيم الجميل من اتقان ونظام ودقة ليدل  
على ان له خالقا عليما حكيما هو الذى فطره وأبدعه وأحكم صنعته  
واتقنها ، وأنه لا مجال لصدفة أو اعتباط مع النظام والاتقان (٧) .

ويؤكد القرآن على بعض الظواهر التى تدل على القصد ، وتهدم

---

(٣) الأعلى ١ - ٢ .

(٤) الملك ٣ - ٤ .

(١) النمل ٨٨ .

(٢) طه ٥٠ .

(٥) وتأمل هذا التحدى ( فارجع البصر كرتين ) بحثا عن نقص  
أو فطور !! ولن تجد مهما حاولت ، و « ينقلب اليك البصر خاسئا وهو  
حسير » .

(٦) ( وجود الله ) ص ٢٨ .

(٧) انظر لنا : ( القرآن والكون ) فصل ( الصدفة ) ص ٥٥ - ٩٢ .

( م ٩ - الايمان )

فكرة المصادفة التى قد يلجأ اليها البعض لتفسير الوجود ( مثل ديمقريطس ، وبرتراند رسل ، وجاك مونو ، والماديين الماركسيين ، وغيرهم ) ؛ ومن هذه الظواهر : ظاهرة الاختلاف بين أشياء يفترض ان تكون متفقة بسبب اتفاق الظروف والعوامل التى تتعرض لها ؛ فالعناصر التى تتكون منها كل النباتات والأشجار معلومة ، وكلها تمتص غذاءها من الأرض ، أى من تراب واحد ، وتسقى بماء واحد ، وتتنفس هواء واحدا . ولو كان الأمر يرجع الى المصادفة لخرجت نوعا واحدا من النبات ، ونوعا واحدا من الثمر ، له لون واحد ، وطعم واحد . فما هو السر الذى يجعلها تختلف بعضها عن بعض ، حتى أننا لو زرعنا فى مساحة صغيرة جدا من الأرض أصنافا من النباتات وسقيناها بماء واحد ، وغذيناها بغذاء واحد ، لأخرج كل منها ثمرة المختلف عن غيره دون خلط أو تداخل .

ان ذلك يدل على أن الأمر كله يرجع الى خالق حكيم ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى « ويشير القرآن الى ذلك :

« وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ( ١ ) .

ومثل ذلك الماء فانه يتكون من اتحاد عنصرين غازيين ؛ فكان المتوقع ان ينتج منها مركب غازى ، لكن الله تعالى جعل الماء سائلا فى حالته العادية ( ٢ ) . وهنالك ظواهر عديدة تلحق بذلك .

وفى الانسان توجد هذه الظاهرة ، وهى الاختلاف ، حيث يكون الاتفاق متوقعا ، فوجوه الناس - رغم كثرتهم ، وبصمة ابهاماتهم -

---

( ١ ) الرعد ٤ ، وراجع مذكرات فى علم الكلام ص ٨٧ ، وللدكتور مصطفى محمود : ( لغز الحياة ) ، وللدكتور الفندى ( الله والكون ) .  
( ٢ ) راجع لنا : ( القرآن والكون ) الفصل الخاص بدراسة ( الماء ) .

على كثرتها الهائلة - لا تتشابه مطلقا فهل تؤدي الصدفة العمياء الى  
هذا الاتقان المعجز ؟ اللهم لا ! ( ١ ) .

كما يوجهنا القرآن الى التفكير في أحوال النفس البشرية ، ورؤية  
آيات الحكمة والترتيب والقصد والاتقان التي تثير العجب ، وتدفع الى  
الاقرار بوجود الخالق ، والسجود لعظمته وحكمته وقدرته .

« وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ( ٢ ) .

وفي هذا المقام ، أشير على القارئ الكريم أن يراجع كتاب الاستاذ  
وحيد الدين خان : « الاسلام يتحدى » ، وعلى الخصوص الفصل الرابع :  
« الطبيعة تشهد بوجود الله » ، ففيه معلومات غزيرة ودقيقة . وكذلك  
فصل ( الصدفة والقصد ) في كتابنا : ( القرآن والكون ) فما جاء فيه من  
معلومات وبيانات يفيد هنا ، ولا نرى اعادتها وتكريرها مراعاة للايجاز .

#### ( ج ) دليل التقدير :

هنالك صلة وثقى بين هذا الدليل ودليل التسوية ، لكنه وإن كان  
يكمله ويضيف اليه ، فهو يتميز عنه ؛ ذلك أنه إذا كانت التسوية : اعطاء  
كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به ،  
فان التقدير : أن يكون بالقدر الذي ينفع في نفسه ، ولا يضر غيره ، ولا  
يصطدم بالمخلوقات الأخرى ؛ وذلك يتم اذا ما وضع في مكانه الملائم ،  
وزمانه المناسب ، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد ، وعلى الكيفية التي  
يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه .

- 
- ( ١ ) راجع لنا فصل ( البصمة ) في كتاب ( القرآن والكون ) .  
( ٢ ) الذاريات ٢٠ - ٢١ وانظر للشيخ نديم الجسر ( قصة الايمان )  
فصل ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) ص ٣٧٧ وانظر للشيخ حسن أيوب :  
( تبسيط العقائد الاسلامية ) ص ٤٣ وما بعدها ، طبعة دار البحوث  
العلمية . وللدكتور محمد يوسف موسى : ( الاسلام وحاجة الانسانية  
اليه ) وللشيخ أبو بكر الجزائري : ( عقيدة المؤمن ) طبعة دار الفكر  
العربي بمصر ، وانظر للأستاذ وحيد خان : ( الاسلام يتحدى ) نشر  
المختار الاسلامي .

فالتقدير : هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب ،  
بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه ، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات  
القريبة منه والبعيدة عنه ، فلا يعطل وظيفتها ، أو يعوق سيرها لما  
خلقت له ، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ، ينتظم به  
سير الوجود كله (١) .

ومن يتأمل في مظاهر الكون كله يرى أن ( التقدير ) صفة عامة في  
كل مخلوق ؛ وقد لفتنا القرآن الحكيم الى ذلك ، قال عز من قائل :

« وكل شيء عنده بمقدار » (٢) و « خلق كل شيء فقدره  
تقديرا » (٣) و « قد جعل الله لكل شيء قدرا » (٤) و « انا كل شيء  
خلقناه بقدر » (٥) و « ان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر  
معلوم » (٦) و « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » (٧) و « الأرض مددناها  
والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » (٨) .

وتأمل في تكرير لفظ ( التقدير ) و ( المقدار ) و ( القدر ) و  
( الوزن ) تدرك أن كل ما خلق الله تعالى خلقه بقدر معلوم موزون  
محسوب ، فلم يجيء ارتجالا أو اعتباطا ، أو على أى صورة أو شكل  
اتفق .

وانظر الى مخلوقات الله جميعا ترى آية ذلك ؛ فها هي الشمس  
والقمر والكواكب والماء والنبات والحيوان والانسان ، وغير ذلك مما نعلم  
ومما لا نعلم من مخلوقات الله تجرى على سنة التقدير (٩) ، يقول  
تعالى :

- 
- |                               |                |
|-------------------------------|----------------|
| (١) انظر ( وجود الله ) ص ٣٨ . | (٤) الطلاق ٣ . |
| (٢) الرعد ٨ .                 | (٥) القمر ٤٩ . |
| (٣) الفرقان ٢ .               | (٦) الحجر ٢١ . |
| (٧) المؤمنون / ١٨ .           | (٨) الحجر ١٩ . |

(٩) للتوسع والتعرف على ذلك انظر : ( الله يتجلى في عصر  
العلم ) ، ( العلم يدعو الى الايمان ) و ( الله والكون ) و ( الله

« والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » (١) .

وطلبنا للاختصار لم نشأ ان نقتطف من كتب العلم نماذج توضح هذا ( التقدير ) المعجز في مخلوقات الله تعالى ، واكتفينا بالإشارة الى اهمها في الحاشية ، وأرجو مراجعتها حتى نقف على شيء من ذلك لأهميته ، وعظيم فائدته .

#### ( د ) دليل الهداية :

اذا كان كل شيء في الوجود ، قد خلقه الله ، فسواه ، وأحسن صنعته ، وقدره تقديرا فجاء على الصورة التي تناسب وظيفته ، وتعيينه على أدائها ، فهو أيضا قد هدى الى ما خلق من أجله ، وألهم غاية وجوده ، ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذي يناسبه ، وهذه هي الهداية ؛

« ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (٢) .

وهذه الهداية عامة مثبتة في كل شيء في الكون ؛ حي أو جامد ، صامت أو ناطق ، عاقل أو غير عاقل ، فليست هي هداية خاصة بالمكلفين أو العقلاء وحدهم ، كما قد يظن لأول وهلة ، وليست مقصورة على الكائنات المتحركة بالارادة كالناس والدواب والطيور والحشرات .

ويذكر الأستاذ الدكتور القرضاوى بحق : « ان المجال ذو سعة ، للحديث عن الهداية في عالم الحشرات ، والطيور ، والدواب ... الخ ،

=

والعلم الحديث ( ) ، ( الاسلام في عصر العلم ) ، ( لغز الحياة ) ، ( الله والكون ) وبحوث ( مؤتمر الاعجاز العلمى في القرآن والسنة - رابطة العالم الاسلامى والجامعة الاسلامية باسلام اباد ) ولنا ( القرآن والكون ) وبحوث الدكتور أحمد زكى وعبد المجيد الزندانى .

(١) سورة يس ٣٨ - ٤٠ .

(٢) طه ٥٠ .

حتى ان المرء ليقف متحيرا عن أى شئ منها يتحدث ، وما الذى يخصه منها بالحديث دون غيره ؟! ( ١ ) .

ومظاهر الهداية متنوعة متعددة يجمعها قولك ، ان كل حيوان مثلا : قد أعطى من الحواس والأجهزة الخاصة ما يعينه على معيشته ، وأداء وظيفته المنوطة به ؛ فتجد طائرا كالصقر كأنما أعطى بصرا تلسكوبيا ، يستطيع أن يشاهد به - وهو محلق فى الجو - صيده الصغير على الأرض . . . وطائر الحمام الزاجل يقطع آلاف الأميال عائدا الى وطنه بلا ( بوصلة ) ولا ( خريطة ) ولا دليل ، فاذا التبس عليه الطريق ، حوم برهة ثم ، قصد طريقه قدما عائدا الى موطنه دون أن يضل .

والنحلة تهتدى الى خليتها ، مهما طمست الريح فى هبوبها على الأعشاب والأشجار كل دليل يرى .

والطيور تهاجر من قطر الى قطر ، بل من قارة الى قارة ، ثم تعود الى مقرها الأول دون ان تخطئ .

ومن أعجب ما عرف فى هجرات الحيوان وهدايتها : هجرة ثعابين الماء ، التى تهاجر - حين يكتمل نموها - من مختلف البرك والأنهار ، وقد تقطع آلاف الأميال فى المحيط ، لتقصد كلها الى الأعماق السحيقة جنوبى برمودا ، وهناك تبيض وتموت ، أما صغارها - تلك التى لا تملك وسيلة لتعرف بها أى شئ سوى أنها فى مياه قفرة - فانها تعود ادراجها وتجد طريقها الى الشاطئ الذى جاءت منه أمهاتها ، ومن ثم الى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة . ولذا يظل كل جسم من الماء أهلا بثعابين البحار ، لقد قاومت التيارات القوية ، وثبتت للأنواء والعواصف ، وغالبت الأمواج المتلاطمة على كل شاطئ ، ماضية فى طريق ليس لها به ادنى علم من قبل ، حتى تصل الى مياهها الخاصة بها ، ولم يحدث مرة أن صيد ثعبان أفريقى فى مياه آسيوية ، أو أوروبى فى مياه أمريكية أو العكس .



هل نتحدث هنا عن الهداية في مملكة النحل ، وكيف تصمم وتهندس ، وتبنى وتنسق ، وكيف توزع العمل وتتعاون على الانتاج والحراسة ، مما يعلمه الدارسون ، وما أفاض فيه الكاتبون ؟ وحسبنا اشارة القرآن الى هذه الهداية : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » (١) •

أم نتحدث عن الهداية عند النمل : « تلك الحشرة الاجتماعية » التي يضرب المثل بتعاونها وتضامنها ، والتي يبدو أنها تطبق المبدأ القائل : « أعظم خير لأكبر عدد » أنها تدخر رزقها في الصيف ، وتحفظه في مخازن التموين في مستعمراتها ، حتى تنتفع به في أيام الشتاء ، حيث يتعذر عليها الكسب والسعى والخروج من البيت • وإذا كان فيما خزنته ما ينبت عمدت اليه ففلقته فلقطين لئلا ينبت ، فإذا كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته بأربع ، فإذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد ، انتظرت به يوما ذا شمس ، فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها ، ثم أعادته اليها • فمن علمها هذا ، وهداها اليه ؟

ومن عجيب أمرها : أنها تدرك بالشم من البعد ما يدرك غيرها بالبصر أو بالسمع ، فتأتى من مكان بعيد الى موضع اكل فيه الانسان ، وبقي فيه فتات من الخبز أو غيره ، فتحمله ، وان كان أكبر من وزنها ، فان عجزت عن حمله ذهبت الى جحرها ، وجاءت معها بطائفة من أصحابها ، فجاءوا كخيطة أسود يتبع بعضهم بعضا ، حتى يتعاونوا على حمله ونقله • وليس للنمل ملك ولا رئيس كما للنحل ، الا أن لها رائدا لا يكذبها ، يطلب الرزق في مظانه ، فإذا وقف عليه أخبر جماعته ، فخرجوا مجتمعين متعاونين كما ذكرنا ، وكل نملة تجتهد في صالح جماعتها ، غير مختلصة لنفسها من الحب شيئا •

أم نتحدث عن الهداية عند طير كالحمام ، الذى نرى الذكر والأنثى فيه يقتسمان أمر الفراخ بالعدل ، فتقع معظم الحضانة والتربية والكفالة على الأنثى ، ومعظم جلب القوت والرزق ( اطعام الفراخ فى فمها ) على الذكر ، وأنهما ليتعاونان فى اطعام فرخهما ، ويتدرجان به من حب لين رخو مخلوط بلعابهما الى ما هو أشد منه وأقوى ، حتى اذا علما انه قد أطاق الالتقاط بنفسه ، منعاه بعض المنع ، ليحتاج الى اللقط ويعتاده ، فاذا أدركا أن حوصلته قد اتسعت وقويت ، وأن قوته قد تمت ، وأنهما ان فطماه فطما تاما قوى على الاستقلال بأمره ، تركاه يسعى ويكد فى طلب رزقه وكفاية نفسه بنفسه ، واذا سألهما الرزق - كما كان من قبل - منعاه وضرباه ، ونزعت تلك الرحمة العجيبة من قلوبهما ، وبدءا يعملان من جديد لانجاب آخر .

أم نتحدث عن الهداية عند سائر الحيوانات ، وقد قال ابن القيم ( ١ ) : « ان هداية الحيوانات الى مصالح معاشها كالبحر ، حدث عنه ولا حرج » . وفيها يقول :

من هدى الأنثى من السباع اذا وضعت ولدها ان ترفعه فى الهواء أيا ما تهرب به من الذر والنمل ، لأنها تضعه كقطعة من لحم ، فهى تخاف عليه الذر والنمل ، فلا تزال ترفعه وتضعه ، وتحوله من مكان الى مكان حتى يشتد ؟ .

ومن علم الأسد اذا مشى وخاف ان يقتفى أثره ويطلب عفى على أثر مشيه بذنبه ؟

ومن علم الثعلب اذا اشتد به الجوع ان يستلقى على ظهره ، ويحتبس نفسه الى داخل بدنه حتى ينتفخ ، فتظن الطير أنه ميت فتقع عليه ، فيئب على من انقضى عمره منها ؟

---

( ١ ) فى كتابه « شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » .

ومن علمه اذا اصابه صدع أو جرح ان يأتى الى صبح معروف ، فيأخذ منه ، ويضعه على جرحه كالمرهم ؟ .

ومن علم الأنثى من الفيل اذا دنا وقت ولادتها ان تاتى الى الماء فتلد فيه ، لأنها دون الحيوانات لا تلد الا قائمة ، لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان ، فتخاف أن تسقطه على الأرض فينصدع أو ينشق ، فتأتى ماء وسطا وتضعه فيه ، يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم ؟ .

ومن علم العصفور اذا سقط فرخها ان تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ ، ويحركونه بأفعالهم ، ويحدثون له قوة وهمية وحركة حتى يطير معهم ؟ .

ومن علم الحمامة اذا حملت أن تأخذ هى والآب فى بناء العش ، وأن يقيما له حروفا تشبه الحائط ، ثم يسخنانه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقلبان البيض حتى يفرخ ؟

ومن علم المرسلة منها « الحمام الزاجل » اذا سافرت ليلا أن تستدل ببطون الأودية ومجارى المياه والجبال ، ومهاب الريح ، ومطلع الشمس ومغربها ، فتستدل بذلك وبغيره اذا ضلت ، واذا عرفت الطريق مرت كالريح ؟ .

ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة ، وتجعل فى أعلاها خيطا ثم تتعلق به ، فاذا تعرقلت البعوضة فى الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ؟ .

ومن علم الطبى الا يدخل كناسه الا مستديرا ، ليستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه ؟ .

ومن علم السنور اذا رأى قارة فى السقف ان يرفع رأسه كالشير اليها بالعودة ، ثم يشير اليها بالرجوع ، وانما يريد أن يدهشها ، فتنزلق فتسقط ؟ .

ومن علم اليربوع أن يحفر بيته في سفح الوادى ، حيث يرتفع عن مجرى السيل ، ليسلم من مدق الحافر ، ومجرى الماء ويعمقه ، ثم يتخذ في زواياه أبوابا عديدة ، ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا ، فاذا أحس بالشر فتح بعضها بأيسر شيء وخرج منه ، ولما كان كثير النسيان لم يحفر بيته الا عند أكمة أو صخرة علامة له على البيت اذا ضل عنه ؟ .

قال العلامة ابن القيم ، بعد أن أطلال في هداية الحيوان :

وهذا باب واسع جدا ، ويكفى فيه قوله سبحانه :

« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ،

ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم الى ربهم يحشرون » ( ١ ) .

ويكفي هنا أن نسأل الماديين : كيف أتيج للذرات التى تتكون منها النحلة أو النملة أو الحمامة أو غيرها ، أن تهتدى الى تلك العمليات المعقدة دون خالق يرشدها ؟ ! .

غير أن الذى ينبغى ذكره هنا هو بعض ما أمدنا به العلم الحديث من معرفة اتسع بها مدلول الهداية لأكثر مما التفت اليه ، وعنى به علماءنا المتقدمون من هداية الحيوانات الى مصالحها ومعيشتها ، وما به بقاؤها وتكاثرها - وبهذه السعة فى معنى الهداية . استبنا فى ضوء العلم سر التعميم المطلق فى قوله تعالى : « رينا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ( ٢ ) .

( ب ) ولن نتحدث هنا عن عجائب الهداية فى عالم النبات ، وكيف يمتص كل نوع منه ما يناسبه من عناصر الأرض بنسب محدودة ، ومقادير معلومة ، رغم اتحاد التربة واختلاط العناصر فيها . فاذا هذا ملح ، وهذا حلو ، وهذا حامض ، وهذا مر ، وهذا بين بين . ترى

---

( ١ ) الأنعام : ٣٨ .

( ٢ ) طه : ٥٠ .

الشجرتين أو الشجرات متجاورة بل متلاصقة ، التراب واحد ، والماء واحد ، والهواء واحد ، والاضاءة واحدة ، والاشراف واحد ، ولكن شجرة منها لا تخطيء يوما فتأخذ ما ليس من مخصصاتها أو فوق ما ينبغي ، أو دون ما ينبغي . وهى الحقيقة التى سجلها القرآن المعجز فقال : « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ( ١ ) .

( ج ) انما الذى نتحدث عنه هنا ، ونلفت النظر اليه هو ما اهتدى اليه العلم من تكوين خلايا الحياة فى الجسم الحى وعملها وتضامنها ، وكيف تهتدى الى طريقها وتصيب هدفها ، ولا تخطئه ضمن ملايين الاحتمالات .

ان كل فرد منا أمة بل أمم منتظمة من ملايين ، بل بلايين من الخلايا . وكل خلية مواطن صالح يؤدي نصيبه الكامل من الخدمة الخالصة للمجموع فى أمانة وذكاء ومهارة .

وكل خلية من خلايا الحياة تحمل فى تركيبها ، من الخصائص ، مالا تحمله خلية أخرى فى عالم المادة جمعاء . وأول هذه الخصائص قابليتها للتكرار والتنويع وتعويض النقص وحفظ النوع ، وتجديده على النحو الذى ينفرد به كل نوع من الأنواع . فكل خلية من الجسم تعمل ما ينبغي ، على النحو الذى ينبغي ، وفى الوقت الذى ينبغي أن تعمل فيه . ان كل خلية تؤدي عملها المنوط بها لصالح بنية الجسم ، فى تعاون منقطع النظير مع سائر الخلايا ، التى تقدر بعدد الجنس البشرى كله على ظهر الأرض ، كأن كل خلية على علم بالخلايا الأخرى وما تطلبه منها ، ولا تفضل واحدة منها طريقها لمرض أو عجز طرأ عليها الا تكفل سائرها باصلاح خطئها وتقويم ضلالها .

وما ينهدم وما ينحل كل يوم من هذه الخلايا نتيجة الجهد والعمل ،

يذهب ويندفع الى حيث ينبغي أن تندفع الانقراض والأجزاء المنحلة ،  
ويتلقى الجسم العويض الذى يعيدها الى الانتظام من جديد ، عن  
طريق الغذاء .

وان العجب ليبلغ منا مداه اذا رجعنا بكل انسان منا الى نقطة  
البداية فى تاريخه ، الى النطفة (١) . الى الخلية الأولى الساذجة ،  
الخلية الملقحة التى لا تكاد ترى بالمجهر ، والتى تحتوى الدفقة الواحدة  
منها ألوف الألوف . لننظر ماذا يقول العلم فى هذه الخلية الواحدة : كيف  
تمضى فى انشاء البناء الجسدى للانسان ، وأى هداية منحتها هذه الخلية  
التى لا قوام لها ولا عقل ولا قدرة ولا ارادة ، انها تبدأ فى الحال  
بمجرد استقرارها فى الرحم ، فى عملية بحث عن الغذاء ، حيث تزودها  
الهداية الالهية بخاصة أكالة ، تحول بها جدار الرحم حولها الى بركة  
من الدم السائل المعد للغذاء الطازج ، وبمجرد اطمئنانها على غذائها  
تبدأ فى عملية جديدة ، عملية انقسام مستمرة ، تنشأ عنها خلايا ،  
وتعرف هذه الخلية الساذجة : ماذا هى فاعلة ، ماذا هى تريد . انها  
تعرف الهدف وتعرف الطريق . انها مكلفة أن تخصص كل مجموعة من  
هذه الخلايا الجديدة لبناء ركن من أركان هذه « العمارة » الهائلة :  
عمارة الجسم الانسانى . فهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الهيكل العظمى ،  
وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز العضلى ، وهذه المجموعة تنطلق  
لتنشئ الجهاز العصبى ، وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز اللمفاوى ،  
الى آخر هذه الأركان الأساسية فى العمارة الانسانية .

ولكن العمل ليس بمثل هذه البساطة . ان هنالك تخصصا أدق ،  
فكل عظم من العظام وكل عضلة من العضلات ، وكل عصب من الأعصاب ،  
لا يشبه الآخر ، لأن العمارة دقيقة الصنع ، عجيبة التكوين ، متنوعة  
الوظائف ، ومن ثم تنتظم كل مجموعة من الخلايا المنطلقة لبناء ركن

---

(١) قارن ما ذكره أبو حامد الغزالى عن ذلك فى الملحق رقم (٢)  
من هذا الكتاب وما كتبناه فى : ( القرآن والكون ) ، ( الطب محراب  
الايمان ) .

من العمارة أن تتفرق طوائف متخصصة ، تقوم كل طائفة منها بنوع معين من العمل في الركن المخصص لها من العمارة الكبيرة . ان كل خلية صغيرة ، تنطلق وهى تعرف طريقها . تعرف الى أين هى ذاهبة ، وماذا هو مطلوب منها ، ولا تخطئ واحدة منها طريقها في هذه المتاهة الهائلة ، فالخلايا المكلفة بأن تكون العين ، تعرف أن العين ينبغي أن تكون في الوجه ، ولا يجوز أبدا أن تكون في البطن أو القدم أو الذراع ، مع أن كل موضع من هذه المواضع ، يمكن أن تنمو فيه عين ، لو أخذت الخلية الأولى المكلفة بصنع العين ، وزرعت في أى من هذه المواضع ، لصنعت عينا هنالك . ولكنها هى بذاتها حين تنطلق ، لا تذهب إلا للمكان المخصص للعين في هذا الجهاز الانسانى المعقد فمن ترى قال لها : أن هذا الجهاز يحتاج الى عين في هذا المكان دون سواه ؟ ويا ترى من ذا الذى رعاها ووجهها وهداها الى طريقها في تلك المتاهة التى لا هادى فيها ولا دليل .

وكل تلك الخلايا فرادى ومجموعة ، تعمل في نطاق ترسمه لها مجموعة معينة من الوحدات كامنة فيها ، وهى وحدات الوراثة ( الجينات ) الحافظة لسجل النوع ولخصائص الأجداد . فخلية العين - وهى تنقسم وتتكاثر لى تكون العين - تحاول ان تحافظ في أثناء العمل على شكل معين للعين ، وخصائص محدودة ، تجعلها عين انسان لا عين حيوان آخر ، وانسان لأجداده شكل معين للعين وخصائص معينة . وأقل انحراف في تصميم هذه العين من ناحية الشكل أو ناحية الخصائص ، يحيد بها عن الخط المرسوم . فمن ذا الذى أودعها هذه القدرة ، وعلمها ذلك التعليم ؟ وهى الخلية الساذجة التى لا عقل لها ولا ادراك ، ولا ارادة لها ولا قوة ؟ ومن ذا الذى علمها ما يعجز الانسان كله عن تصميمه ، لو وكل اليه تصميم عين أو جزء من عين ، بينما خلية واحدة منه أو عدة خلايا ساذجة تقوم بهذا العمل العظيم !! ( ١ ) .

( ١ ) هذه العناصر عن رسالة ( وجود الله ) للدكتور القرضاوى ص ٥١ وما بعدها وانظر : ( من آيات الله فى الأنفس ) رسالة ماجستير أعدها الطبيب محمود عطية زايد بإشرافنا ١٤٠٦ هـ .

### ابن رشد والأدلة الكونية :

وننبه - هنا - الى ان ابن رشد الحفيد قد رأى تقسيم الأدلة الكونية على وجود الله الى دليلين اثنين ؛ هما : ( ١ ) دليل الاختراع أو الخلق ، ( ٢ ) دليل العناية الالهية فنراه قد أدمج ( التسوية ) و ( التقدير ) و ( الهداية ) في دليل واحد أطلق عليه : دليل العناية الالهية ، وابن رشد - في رأينا - من خير من استدلوا على وجود الله ، من بين عموم الفلاسفة والمتكلمين - وأصحهم دليلا ؛ ذلك لأنه استخرج أدلته من الكتاب العزيز ، ولم يلجأ كما لجأ المتكلمون والفلاسفة الى الاستدلال بأدلة غير يقينية ولا شرعية ، كما سنذكر بعد قليل ( ١ ) .

---

( ١ ) ابن رشد : ( الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ) ص ٧٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ من مجموع رسائل ابن رشد ، وانظر الكتاب بتحقيق المرحوم الدكتور محمود قاسم ، طبعة الأنجلو المصرية الثالثة ص ١٥١ - ١٥٥ ، وقد كتب له الدكتور قاسم مقدمة ممتازة .



( ملحق ٢ )

بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى  
لأبى حامد الغزالي

« اعلم أن كل ما في الوجود - مما سوى الله تعالى - فهو فعل الله وخلق الله ، وكل ذرة من الذرات - من جوهر وعرض وصفة وموصوف - فيها عجائب وغرائب ، تظهر بها حكمة الله ، وقدرته وجلاله وعظمته ، واحصاء ذلك غير ممكن ؛ لأنه لو كان البحر مدادا لذلك ، لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ، ولكننا نشير الى جمل من ذلك ليكون كالمثال لما عداه .... »

وقال الله تعالى : « ومن آياته » من أول القرآن الى آخره ، ... فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض ، من جماد ولا نبات ، ولا حيوان ، ولا فلك ، ولا كوكب ، الا والله تعالى هو محركها ، وفي حركتها حكمة ، او حكمتان ، او عشر ، او ألف حكمة ، كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ، ودال على جلاله وكبريائه ، وهي الايات الدالة عليه سبحانه . . . .

التفكير في خلق الانسان :

( فمن آياته ) : الانسان المخلوق من النطفة - وأقرب شيء اليك نفسك - وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره ، وأنت غافل عنه .

فيا من هو غافل عن نفسه ، وجاهل بها ، كيف تطمع في معرفة غيرك ؟ وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك ، في كتابه العزيز فقال : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال : « قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فاقبره ، ثم اذا شاء أنشره » . وقال تعالى : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » ،

وقال : ( ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى )  
وقال تعالى : ( ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر  
معلوم ) وقال ( أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصم  
مبين ) وقال ( أنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ) ثم ذكر : كيف جعل  
النطفة علقة ، والعلقه مضغة ، والمضغة عظاما ، فقال تعالى ( ولقد  
خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم  
ثم خلقنا النطفة علقة ) الآية .

فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك  
التفكر فى معناه ، فانظر الآن الى النطفة - وهى قطرة من الماء قدرة لو  
تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت - كيف أخرجها رب الأرباب  
من الصلب والترائب ، وكيف جمع بين الذكر والأنثى ، وألقى الألفة  
والمحبة فى قلوبهم ، وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع ،  
وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع ، وكيف استجلب دم  
الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ؟ .

ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى  
نما وريا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقه حمراء ،  
ثم كيف جعلها مضغة ، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة  
الى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ؟ ثم كيف ركب من  
اللحوم والأعصاب والعروق : الأعضاء الظاهرة ، فدور الرأس وشق  
السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ، ثم مد اليد والرجل وقسم  
رؤسها بالأصابع ، وقسم الأصابع بالأنامل ؟ ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة  
من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء ،  
كل واحد على شكل مخصوص ومقدار لعمل مخصوص ! ثم كيف قسم  
كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر ؛ فركب العين من سبع طبقات ،  
لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت  
صفة من صفاتها تعطلت العين عن الأبصار ، فلو ذهبنا الى أن نصف ما  
فى أحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الأعمار .

فانظر الآن : الى العظام وهى أجسام صلبة قوية كيف خلقها من  
نظفة سخيفة رقيقة ، ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ، ثم قدرها  
بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف  
ومصمت وعريض ودقيق . ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة  
بدنه و ببعض أعضائه ، مفتقرا للتردد فى حاجاته ، لم يجعل عظمه عظما  
واحدا ؛ بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وقدر  
شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها  
وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم  
الأخر كالرباط له ، ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه ، وفى  
الأخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها ،  
فصار العبد ان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل  
لتعذر عليه ذلك .

ثم انظر : كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها ، وقد ركبها  
من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فالف بعضها الى بعض  
بحيث استوى به كرة الرأس - كما تراه - فمنها ستة تخص القحف ،  
وأربعة عشر للحى الأعلى ، واثنان للحى الأسفل ، والبقية هى الأسنان  
بعضها عريضة تصلح للطحن ، وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الأنياب  
والأضراس والثنايا : ثم جعل الرقبة للرأس وركبها من سبع خرزات  
مجوفات مستديرات ، فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها  
على بعض - ويطول ذكر وجه الحكمة فيها .

ثم ركب الرقبة على الظهر ، وركب الظهر من أسفل الرقبة الى  
منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة ، وركب عظم العجز من ثلاثة  
أجزاء مختلفة ، فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف  
من ثلاثة أجزاء .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر ، وعظام الكتف ، وعظام  
اليدين ، وعظام العانة ، وعظام العجز ، وعظام الفخذين والساقين  
( م ١٠ - الايمان )

وأصابع الرجلين ، فلا نطول بذكر عدد ذلك . ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل . فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيقة رقيقة !!

وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها ، فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء والمشرحون ، انما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها واقدارها ، وخصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ، ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره ، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها ، وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلاله خالقها ومصورها ، فشقان بين النظرين !!

ثم انظر : كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات ، فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة - والعضلة مركبة من لحم ورباط وأغشية - وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها . فأربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين . وهكذا لكل عضو بعدد مخصص وقدر مخصص . وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرابين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله - وشرحه يطول - فللفكر مجال في آحاد هذه الأجزاء ، ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن . وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب ، وكل ذلك صنع الله فى قطرة ماء قدرة ، فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء ، فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف

صورها وتفاوت مشارقتها ومغاربها ؟ فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم ؛ بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان . بل لا نسبة لجميع ما في الأرض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى ( أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ) .

فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أولا ، وما صارت اليه ثانيا ، وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظاما أو عرقا أو عصبيا أو جلدا أو شعرا هل يقدرّون على ذلك ؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته ، وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه . فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها : كانه انسان ! عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقة وخفة يده وتمام فطنته ، وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة ، انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة ، وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره ، وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص ، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه .

وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة ، فخلقها خالقها في الاصلاب والتراتيب ، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها ، وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها . وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها ، وحسن أشكال أعضائها ، وزين ظاهرها وباطنها ، ورتب عروقها وأعصابها ، وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سمیعة بصيرة عالمة ناطقة . وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ، ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصلقها وتدفع الأقداء عنها ، ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها . ثم شق أذنيه وأودعها ماء

مرا يُحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها ، وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده الى صمائها ولتحس بدبيب الهوام اليها ، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدتها دابة في حالة النوم . ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله ، وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته ، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه . وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقاً وترجمانا ومعربا عما في القلب .

وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع ، فأحكم أصولها وحدد رعوسها وبيض لونها ، ورتب صفوفها متساوية الرعوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم ، وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام . وخلق الحنجرة وهياها لخروج الصوت ، وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها . ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسببها الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة . ثم زين الرأس والأصداغ ، وزين الوجه باللحية والحاجبين ، وزين الحاجب برقعة الشعر واستقواس الشكل ، وزين العينين بالأهداب .

ثم خلق الأعضاء الباطنة ، وسخر كل واحد لفعل مخصوص . فسخر المعدة لنضج الغذاء ، والكبد لاحالة الغذاء الى الدم ، والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد . فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها . والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها . والكلية تخدمها بجذب المائية عنها . والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه في طريق الاحليل : والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر أطراف البدن . ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد ، وعرض الكف ، وقسم الأصابع الخمس ، وقسم كل

أصبح بثلاث أنامل : ووضع الأربعة في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع . ولو اجتمع الأولون والآخرين على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهها آخر ، في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه ؛ إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء ، فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد ، وان جمعها كانت له آلة للضرب ، وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له .

ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل ، وليحك بها بدنه عند الحاجة ، فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكمة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ، ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه . ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ، ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل . ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد اليه البصر لكان يرى التخطيط يظهر عليها شيئا فشيئا ، ولا يرى المصور ولا آله ! فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آله ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه ؟ فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه !!

ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته ، فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك ، وخرج من ذلك المضيق المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه .

ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقادم الثدي ؟ ثم لما كان بدنه سخيلا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا ، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن ، وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ، ثم فتح في حلمة الثدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج .

اللبن منه الا بعد المص تدريجا ، فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ؟ .

ثم انظر الى عطفه ، ورحمته ورافته كيف أخر خلق الأسنان الى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغنى عن السن ، واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ، ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها ، فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة !! ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه . فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه .

ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل ، فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ؛ اما كفورا أو شكورا ؛ مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى ( هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ) فانظر الى اللطف والكرم ، ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية !!

والعجب كل العجب ممن يرى خطأ حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه ، فيصرف جميع همه الى التفكير في النقاش والخطاط. وأنه كيف اقتدر عليه ! ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول : ما أحذقه ! وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ! ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صناعه ومصوره ، فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته ؟ فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها ، فهو أقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك . ولا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام ، وتشتهى .



فتجامع ، وتغضب فتقاتل . والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك ،  
وانما خاصية الانسان - التي حجبت البهائم عنها - معرفة الله تعالى بالنظر  
في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس ؛ إذ بها يدخل  
العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا  
من حضرة رب العالمين . وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من  
الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير ، إذ لا قدرة للبهيمة على  
ذلك ، وأما هو ، فقد خلق الله له القدرة ، ثم عطلها ، وكفر نعمة الله  
فيها . فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . هذه رؤية أبى حامد -  
رحمه الله - قبل ألف سنة ، فما بالك اليوم ، وقد اكتشفت المجاهر  
والمناظير والتصوير بالموجات والكاميرات الدقيقة .. فهل نعى ونتفكر  
ليزداد ايماننا بخالقنا سبحانه !!

### ٣ - دلالة الوحي : ( قصص الانبياء ) :

أورد القرآن في آيات عديدة قصص الانبياء عليهم السلام ، وهى  
تدل على وجود الله من ناحيتين : أولاها : أن الله نصر أنبياءه في أوقات  
الشدة ، وقواهم وشددهم بالمعجزات حيث لم يكن لهم ناصر ولا معين .  
فقد نجى الله ابراهيم من النار ، وشق البحر لموسى ، ونجاه من بطش  
فرعون وقومه ، وأخرج يونس من الظلمات ( من بطن الحوت في أعماق  
البحر ) ، وعصم يوسف من الفتنة العاصفة ، ونصر محمدا صلى الله عليه  
وسلم ، في كثير من غزواته بما يسره له من أسباب النصر الالهية التى لا  
تقع في نطاق الأسباب المعتادة ، أو في قدرة بشر ، وأنزل عليه القرآن  
الحكيم الذى عجز الانس والجن عن الآتيان بمثله ، وهكذا ... ولم تكن  
تلك المعجزات من صنع الانبياء ، ولا داخلية في نطاق قدرتهم ، بل انها  
كانت فوق قدرة جميع البشر ، ولذلك يمكن الاعتماد عليها في الاستدلال  
على وجود الله .. وها هو القرآن قائم يتحدى البشر جميعا أن يأتوا  
بسورة من مثله ، وهيئات لهم هيئات . فهو آية ودليل على وجود الله  
سبحانه ، وعلى واسع علمه وبالحج حكمته ، وكماله . وكلما تقدم العلم ،

ونمت معارف البشر ، اكتشف العالمون في هذا القرآن من البيانات ما يزيل شك الشاكين .

أما الناحية الثانية : فهي مستنبطة مما نزل بأقوام الأنبياء من العذاب ؛ ذلك أن كثيرا من أقوام الأنبياء لم يستجيبوا لدعوة الحق ، بل استمروا على ضلالهم ، وظلوا على عنادهم واستكبارهم ، وقد أنذرهم الأنبياء بأن الله الذى أرسلهم سيصب على الكافرين عذابه ، وينزل عليهم نقمته ، فلما أصرروا واستكبروا نزل بهم عذاب الله فى الوقت الذى حددته لهم الأنبياء ، ولو كان هذا العذاب فى طاقة البشر لنسبناه الى الأنبياء ، لكنه عذاب يفوق طاقة البشر ( ١ ) ، وقد سجل القرآن ذلك فى آيات كثيرة ( ٢ ) . وقد صدق الله ، وصدق المرسلين .

**توظيف حقائق العلم الحديث فى الاستدلال على صحة العقائد وتثبيتها فى النفوس :**

مما لا جدال فيه أن العلم الطبيعى أو الكونى أو التجريبي ؛ أى العلم الذى يدرس الآفاق والأنفس دراسة مؤسسة على التجربة والملاحظة ، قد نما - فى العصر الحديث وازدهر ازدهارا لم يكن للإنسان به سابق عهد ، فقد اكتشف كثير من القوانين العلمية ، والسنن الكونية ، والعلاقات بين الظواهر ، مما يجعل هذا العصر - بحق - عصر العلم الطبيعى التجريبي الحديث .

ومما يذكر أن بعض هؤلاء العلماء الطبيعيين - نتيجة لظروف وملابسات معينة على الساحة الغربية - قد أذهلهم هذا التقدم الهائل ،

---

( ١ ) د . مدكور : ( مذكرات ) ص ٨٩ - ٩٠ ، وانظر للمهتدى على بن ربن الطبرى : ( الدين والدولة فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ) بتحقيق عادل نويهض ، طبعة دار الآفاق - بيروت . وانظر رسالة ( وجود الله ) ص ٧١ - ٧٣ .

( ٢ ) انظر مثلا : سورة هود ٦٤ - ٦٨ ، ٨١ - ٨٣ ، والشمس ومواضع كثيرة فى كتاب الله تعالى .

واصابتهم نشوة ، سرعان ما تحولت الى لوثة عقلية وشعورية ؛ فصرخوا بان : العلم الحديث قضى على العقائد الدينية قضاء مبرما . وقالوا كلاما كثيرا سخيفا لخصه الأستاذ وحيد الدين خان في فصل : ( قضية معارضى الدين ) ( ١ ) .

وقد نبتت - متأثرة بهذا الاتجاه - ثلاث نظريات في حقول علمية متفاوتة ؛ هي نظريات : ( التطورية ) و ( تفسير الدين بأنه انعكاس للا شعور أو اللاوعى ) و ( نظرية التفسير المادى للتاريخ والدين والقيم الخ ) وهى محور الفلسفة الماركسية . وقد تضافرت هذه النظريات على تفسير الوجود تفسيراً مادياً ميكانيكياً آلياً . أو بعبارة أخرى : انهم لم يعترفوا بالله خالق حكيم عليم ، خلق هذا الوجود ، محاولين ايهام البسطاء بأنهم ، فى رأيهم هذا ، انما يستندون الى مناهج العلم وطرائفه فى البحث واكتشاف الحقائق ، وان ( المادية ) أو ( تأليه المادة ) حقيقة يقرها العلم ويؤكدها .

لكن سرعان ما أخذ هذا التفسير المادى للوجود فى التراجع والاضمحلال ، وبدأ بعض الشاردين من العلماء يثوبون الى رشدهم .. بل أخذ العلم تدريجياً يتجه الى ساحة الايمان ، بل أضحت حقائقه ، وثمرات كشوفه واحدة من وسائل ترسيخ اليقين بوجود الله تعالى وصحة العقائد الايمانية ، ورأينا من بين العلماء من يصرح بأن ( تقدم العلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله ، وليس الى الكفر به .

وأكثر من ذلك بدأ أئمة العلماء التجريبيين يضعون مؤلفات تحاول

---

( ١ ) للتوسع انظر : ( الاسلام يتحدى ) ، ( الله ) للعقاد ، ( قصة الايمان ) للشيخ نديم الجسر ، و ( مذكرات ) الدكتور عبد الحميد مدكور ، ولنا : ( القرآن والكون ) والكسيس كاريل : ( الانسان ذلك المجهول ) ، ومؤلفات ( لينين ) وجولييان هكسلى ، واوجست كونت ، ودارون ، وسيجموند فرويد .. الخ . وانظر ( نقض أوهام المادية الجدلية ) للدكتور سعيد رمضان البوطى ، ولنا ( مدخل نقدى لدراسة الفلسفة .

توظيف نتائج بحوثهم - في تخصصاتهم العلمية المختلفة - واستثمارها في مجال تثبيت العقائد الايمانية وتأسيس اليقين (١) . بل ان هيئة قد انشئت - في رابطة العالم الاسلامى في مكة المكرمة - للاهتمام بهذا الاتجاه وتنميته .

وان نتائج هذه العلوم تتضافر على تأكيد حقائق علمية لها اهميتها البالغة في مجال تأسيس اليقين وترسيخ العقائد الايمانية ، نذكر منها على سبيل المثال : ما انتهوا اليه - في فروع شتى من العلم ؛ ان هذا الكون الذى نعيش فيه له بداية ، وله نهاية ، وأنه حادث ، أى ان له أولا ، وله آخر (٢) ، وأنه مخلوق مصنوع ، واستناداً الى مبدأ السببية - فلا بد له من صانع خالق .

كما ان نتائج العلم تضافرت على ان هذا الكون مشمول بعناية

---

(١) مثل كتاب كريسى موريسون ( العلم يدعو للايمان ) و ( الله يتجلى في عصر العلم و ( الدراسات التى قدمت الى مؤتمرات : الاعجاز العلمى في القرآن وكذلك : الاعجاز الطبى ) .

(٢) مما يثبت ان للكون بداية : ان العناصر المشعة فيه تفقد اشعاعها بالتدريج ، وطالما ان هذه العناصر تفقد اشعاعها تدريجيا فهذا يعنى ان لهذه العناصر بداية ، فلو كانت بلا بداية لفقدت كامل اشعاعها منذ امد بعيد . ومعنى ذلك ان المادة ليست ازلية ، أى لها بداية .

- كما ان الكيمياء تكشف ان المواد في طريقها الى التلاشى والفناء والزوال ، وان كان بعضها يسير نحو الفناء بسرعة أكبر ؛ وهذا يدل على ان الكون ليس ابدى أى ان له نهاية . كما ان العلماء يرون ان الطاقة في هذا الكون في تناقض والى نضوب ، وساعتئذ لن تكون حياة ولا احياء ، وفي هذا دلالة على ان الكون له بداية ، لأن الحياة لم تزل قائمة ، لأنه لو افترض ان الكون بلا بداية فان معنى ذلك ان تكون الحرارة والطاقة قد نصبا منذ وقت بعيد ، ولتوقف كل نشاط في الوجود . للتوسع راجع ( الله يتجلى في عصر العلم ) وهو كتاب وضعه مجموعة من اعيان العلماء الطبيعيين - في الغرب - استدل كل واحد منهم على وجود الله تعالى ، موظفا حقائق العلم في تخصصه . وأشرف على تحريره جون كلوفر مونسما ، وترجمة الدكتور الدمرداش سرحان - ونشر في مؤسسة الحلبي .

حكيمة قادرة ؛ لما رأوا فيه من حكمة ، ودقة ، وانضباط ، وتوازن ،  
وانسجام ، ونظام ، وثبات وتدبير ، وتقدير ، وقصد واتقان ، وبعد  
عن الاعتباط والعشوائية والتخبط أو الاتفاق والمصادفة .

ان هذه النتائج العلمية ، أو الحقائق التي أثمرتها بحوث العلماء  
الطبيين ، تفرض على العقل ، وتملا الشعور والوجدان بأن يعتقد في  
( الله ) خالق حكيم عليم قادر يتمتع بصفات الكمال والجمال والجلال ،  
كيف لا ، وقد رأوا صورة ذلك في كل مظهر ومجلى من مظاهر الوجود  
ومجاليه .

ولا شك عندنا أن نمو هذه العلوم وازدهارها واطرادها ، سيعمل  
على سوق الناس - رويدا رويدا - الى ساحة الايمان بالله ، والتسليم  
له ، والسجود لوجهه الكريم .

### نقد منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى :

لقد شغلت قضية « البرهنة على وجود الله » عقول المتكلمين قاطبة ، حتى انه ليندر أن تقع على كتاب من كتب النظائر لا تصدره البرهنة على وجود الله تعالى ، أو اثبات الباري . لقد بذلوا جهدا كبيرا جدا في ذلك ( ١ ) ، وتوسلوا الى غايتهم هذه بمحاولة اثبات ( حدوث العالم ) . فاثبات حدوث العالم منطلق طبيعي لاثبات وجود الباري عز وجل ، من جهة ، وللرد على القائلين بأزلية العالم أو بقدمه من جهة أخرى .

واعتمد معظم المتكلمين - في اثبات حدوث العالم - توطئة لاثبات وجود الله تعالى - على دليلين مشهورين ؛ هما : ١ - دليل الجوهر الفرد . ٢ - دليل الممكن والواجب .

- 
- ( ١ ) انظر على سبيل المثال : للباقلاني : ( التمهيد ) ص ٣٦ - ٤٤ بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .  
- وانظر له أيضا : ( الانصاف ) ص ١٦ وما بعدها ، بتحقيق زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي .  
- وانظر لأبي منصور عبد القاهر البغدادي : ( أصول الدين ) مواضع متفرقة ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .  
- وانظر للفخر الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٦٠ وما بعدها ، طبعة دار الكتاب العربي .  
- وانظر لشمس الدين السمرقندي : ( الصحائف الالهية ) ص ١٦٦ وما بعدها ، بتحقيق الدكتور أحمد الشريف ، نشرة الفلاح بالكويت .  
- وانظر : ( المواقف في علم الكلام ) لعضد الدين الايجي ( نشر عالم الكتب . بيروت . ص ٢٥١ وما بعدها .  
- وانظر : الجويني : لمع الأدلة ، ص ٧٦ - ٨٠ ، بتحقيق الأستاذة الدكتورة فوقية حسين ، الدار المصرية للتأليف ١٩٦٥ م .  
- وانظر الغزالي : ( الاقتصاد في الاعتقاد ) ص ٢٩ - ٣٠ .  
- وانظر أبو منصور الماتريدي : ( التوحيد ) ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ بتحقيق الدكتور فتح الله خليف .

### أولاً : دليل الجوهر والعرض :

وهو ينسب الى أبى الهذيل العلاف المعتزلى ، وقد أخذه عنه كثير من متكلمى المعتزلة والأشاعرة . ويقوم هذا الدليل على أن الأجسام تنقسم الى جواهر وأعراض ، فالجواهر ما قامت بنفسها ، والأعراض لا تقوم بنفسها ، بل بالجواهر . وهذه الأعراض متغيرة متحولة ، ومن ثم هي حادثة . . وهذه الأعراض الحادثة ملازمة للجواهر ، وما لا زمه الحادث لا بد أن يكون حادثاً مثله . وبما أن الأعراض حادثة لتغيرها وتحولها ، وبما أن الجواهر حادثة لملازمة الأعراض لها ، وما لازم الحادث مثله . . وبما أن الأجسام تتألف من الجواهر والأعراض ، وهما حادثان ، فالأجسام حادثة . وكل حادث لا بد له من محدث يحدثه . . وهذا المحدث هو الله تعالى .

وظن المتكلمون أنهم بهذا ( اللُغز ) الذى ذكروه ، أنهم قدموا برهاناً يقينياً قاطعاً ، وأنهم قد أثبتوا به وجود الله تعالى ! .

وانا لنتفق مع ( أخينا الدكتور عبد الحميد مدكور ) فى أن المتكلمين قد قصدوا غاية نبيلة شريفة اذ أنهم راموا - بهذه الطريقة الفجة - أن يبينوا أن الكون - فى بدايته واستمرار وجوده - مفتقر الى الله تعالى . وأن قدرة الله تعالى هى التى تخلق الأشياء خلقاً مستمراً ، وأن هذه المخلوقات لا تستغنى عن قدرة الله لحظة واحدة ( ١ ) ، لكنهم لم يوفقوا فى اختيار الوسيلة . . فسلكوا طريقة وعرة متعرجة ، ووظفوا مقدمات غير مسلمة ، وغير يقينية ، ولم تكن براهينهم معتمدة على المقدمات البديهية الحسية التى اعتمدت عليها أدلة القرآن الكريم . . ومن ثم جاءوا بدليل « مبتدع فى الشرع وباطل فى العقل » ( ٢ ) . . على حد تعبير ابن تيمية .

---

( ١ ) مذكرات . . ص ٧٥ وما بعدها .

( ٢ ) معارج الوصول ص ٦ .

لقد اعرض المتكلمون - في اثبات وجود الله - عن الدلالات التي بعث الله تعالى بها رسله ، وقلدوا الفلاسفة ، فانقطع بهم الطريق ، وجاءوا بدليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل . ومن ثم انتقدتهم أئمة العلماء مثل الامام أبى الحسن الأشعري ( ١ ) . وابن رشد الحفيد ( ٢ ) . وابن تيمية ( ٣ ) وغيرهم ( ٤ ) .

ويمكن تلخيص ضروب النقد الذى وجه الى المتكلمين فى برهانهم هذا فيما يلى :

( ١ ) « الايمان بوجود الله تعالى من أهم أصول العقيدة . ولذلك ينبغى أن يقوم الحديث فيه على براهين واضحة ومقدمات بديهية يمكن فهمها بلا مشقة ويمكن الاقتناع بها والتسليم لها بلا عناء . وطريقة المتكلمين هذه فاقدة لهذا الشرط ؟ لأنها تعتمد على مقدمات غير واضحة وغير يقينية . والدليل على ذلك ما قام به المتكلمون أنفسهم من جهود مضنية لاثبات صحة المقدمات التى اعتمدت عليها هذه الطريقة . فقد اضطروا الى البرهنة على اثبات وجود الأعراض أولا ، ثم برهنوا ثانيا على أنها حادثة ، ثم برهنوا ثالثا على أن الجواهر لا تخلو من الأعراض ، ثم برهنوا رابعا على أن ما لا يخلو من الحوادث حادث . وكانوا مضطرين

---

( ١ ) ( رسالة أهل الثغر ) وقد نشرها الأستاذ الدكتور محمد الجليند بعنوان : ( أصول أهل السنة والجماعة ) ص ٥٤ - وما بعدها .  
( ٢ ) ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة ، بتحقيق أ . د محمود قاسم ، .

( ٣ ) ( معارج الوصول ) ، ( ونقض المنطق ) ، ( والرد على المنطقيين ) ، ( ودرء تعارض العقل والنقل ) و ( الفتاوى ) . وغيرها .  
( ٤ ) مقدمة الدكتور محمود قاسم لكتاب ابن رشد ( مناهج الأدلة ) ، والدكتور عبد الحميد مدكور فى ( مذكرات فى علم الكلام ) ، والدكتور محمد الجليند فى مقدمة تحقيقه لكتاب ( التوحيد ) لابن تيمية ص ١٠٦ وما بعدها نشر مؤسسة علوم القرآن . ولنا : ( القرآن والكون ) ص ٤١ وما بعدها .



الى القيام بهذا الجهد كله لأن المقدمات التى اعتمدوا عليها ليست يقينية  
بدليل وجود من يخالفهم فى صحة هذه المقدمات (١) .

(ب) تؤدى هذه الطريقة الى عدد من المشكلات والشبهات ،  
والمفروض والمتوقع ان تزيل هذه الطريقة المشكلات ، لا أن تؤدى الى  
وجودها ، ومن هذه المشكلات التى تؤدى اليها هذه الطريقة قولهم : ان  
الأعراض كلها حادثة ؛ وهو معترض عليه بأن ذلك لا يصدق على جميع  
الأعراض بل ينطبق - فقط - على ما نشاهده منها ، أما ما لا نشاهد  
حدوثه منذ البدء فلا نستطيع تطبيق هذا الحكم عليه كحركات الكواكب  
والاجرام السماوية التى لم نشاهد حدوثها لأنها سابقة فى الوجود علينا -  
وهى - مع ذلك - غير متغيرة لأنها تسير على نمط ثابت وقانون مطرد  
لا يتغير . كما يعترض على قولهم أن الأعراض حادثة بأن الزمان عرض  
من الأعراض ، ومن العسير على الذهن تصور حدوثه ، لأن الذهن يتصور  
قبل كل زمان زمانا آخر سابقا عليه ، وهذا قد يؤدى الى تصور قدم  
العالم ، وهو عكس ما يريد المتكلمون اثباته .

وقد كان هذا النقد بعض ما قدمه ابن رشد من اعتراضات على دليل  
المتكلمين (٢) .

(ج) ان هذه الطريقة ليست طريقة شرعية ، فليست هى التى دعانا  
الله ورسوله الى الايمان به ، عن طريقها ، ولم تثبت عن الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة والتابعين ، ولا يعرفها سلف الأمة  
الآخذون بسنة الرسول عليه السلام . والبحث عن مصدر هذه الطريقة يدل  
على أنها مأخوذة عن نظرية يونانية ، تقسم الجسم الى جواهر فردة .  
ومن أشهر القائلين بها ديمقريطس ( ٣٦١ ق . م ) وهذه الطريقة  
كانت موضع خلاف بين الفلاسفة أنفسهم فبعضهم يثبتها ، وبعضهم

---

(١) انظر مثلا شرح الأصول الخمسة من ٩٤ الى ١٢٢ طبعة وهبة .  
(٢) مناهج الأدلة ١٤١ ، ١٤٢ .

ينفيها (١) ، ثم أنها تؤدي - عند أصحابها - الى القول بقدوم العالم (٢) لا الى حدوث العالم كما أراد المتكلمون من وراء الاستناد الى هذه النظرية .

( د ) يترتب على ما سبق أن هذه الطريقة في الاستدلال ليست موضع قبول ؛ لأنها لا تصلح لاقتناع عامة الناس لعجزهم عن فهمها والانتفاع بها ، بسبب ما فيها من مصطلحات غامضة ومقدمات معقدة . ثم لا تصلح هذه الطريقة أيضا لاقتناع الخاصة وأهل البرهان ؛ لأن مقدماتها ليست يقينية .

فهل يقبل من المتكلمين أن يستندوا الى نظرية مشكوك فيها عند أصحابها وهي في الوقت ذاته مؤدية الى قدم العالم لتكون دليلا من أدلتهم على وجود الله تعالى ؟! ثم ألم يكن الاولى بالتكلمين أن يعتمدوا على أدلة القرآن الكريم التي تقوم على الوضوح والاقناع ؟! (٣) .

#### ثانيا : دليل الممكن والواجب :

ينسب ابن رشد هذا الدليل الى الجويني ، وقد رأى أثره عند أبي منصور الماتريدي ( ت ٣٣٣ هـ ) من قبل (٤) . وخلاصة هذا الدليل . « أن العالم ممكن ، وكل ممكن يحتاج الى مخصص ومرجح . اذا ، فالعالم - لأنه ممكن - بحاجة الى مخصص ومرجح ، وهو الله تعالى .

وقد عيب على هذا الدليل أنه ليس برهانيا . لأن بعض مقدماته موضع اختلاف ، ثم انه يبدو مصادما للعلم القائم على أن الكون تحكمه قوانين ثابتة مطردة ، وهذا ينقض فكرة ( الامكان ) التي يتأسس عليها الدليل . يضاف الى كل ذلك أنه ليس شرعيا ، وليس له من الوضوح

- 
- (١) ونذكر بأن النظام وابن حزم ينفيانها كذلك .
  - (٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ٣٨ - ٤٠ .
  - (٣) عن الدكتور عبد الحميد مدكور ( مذكرات ) ص ٧٦ - ٧٨ .
  - (٤) انظر د . حسام الألوسي ، حوار بين المتكلمين والفلاسفة ص ١٦٩ ، والدكتور على المغربي : ( أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية ) ص ١٣٢ ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ م .

والبداهة واليقينية ما يجعله الدليل الأمثل في قضية الايمان بالله تعالى ،  
كما أن هذا الدليل من مخلفات الفلاسفة ، وقد قال به ابن سينا والفارابى ،  
ونقده ابن رشد وابن تيمية وابو البركات البغدادى نقداً مريراً لاذعاً . فهو  
بلحق سابقه : ( دليل الأعراض والجواهر ) فى كونه ليس شرعياً ولا برهانياً .  
وبذلك يمكن أن يقال أن الجهد الذى بذله المتكلمون لا طائل من ورائه ، ولا  
عناء فيه ؛ وما ذلك الا لأعراضهم عن أدلة الشرع الواضحة البرهانية التى تورث  
اليقين والاطمئنان والثقة ، وتملأ الكينونة الانسانية كلها ؛ فضلاً عن العقل  
والقلب . وعلى ذلك ، فادلة المتكلمين على وجود الله ( مبتدعة فى  
الشرع ... باطلة فى العقل ) .

## ثانيا : توحيد الله تعالى

### ١ - التوحيد من أبرز خصائص العقيدة الاسلامية :

من أبرز خصائص العقيدة الاسلامية : ( توحيد الله تعالى ) ؛  
فيه عرفت ، وبه تميزت عن سائر العقائد التي يعتقدونها كافة الخلائق من  
غير المسلمين ، حتى صار التوحيد علما عليها فيقال : ( عقيدة التوحيد )  
و ( ديانة التوحيد ) ويراد بذلك : ( العقيدة الاسلامية ) .

وليس في العالم اليوم توحيد حق كامل صحيح لله تعالى في غير  
العقيدة الاسلامية . فالتوحيد من أهم أسس هذه العقيدة الاسلامية الخالدة  
التي ارتضاها الله لعباده ، ومن أهم خصائصها وميزاتها ( ١ ) . وإذا كان  
ذلك كذلك ، فينبغي على كل مسلم ؛ بل على كل انسان أن يتعرف على  
حقيقة التوحيد المقصود ، وأن يحققه - في نفسه اعتقادا و يقينا ، وأن  
يسلك في حياته بمقتضاه .

### ٢ - حقيقة التوحيد وأقسامه :

يقتضى الايمان بالله : توحيده سبحانه :

فلا بد من توحيد الله تعالى في ١ - ربوبيته ، ٢ - والوهيته ،  
٣ - وأسمائه بوصفاته . ولا يكون العبد مؤمنا بالله حقا ، حتى يعتقد أن

---

( ١ ) أما ما ذكره الكاردينال كوننج في محاضراته عن ( التوحيد في  
العالم المعاصر ) وذهب الى أن اليهودية والنصرانية ( الحاليتين ) ديانتان  
موحدتان مثل الاسلام ، فهو غير مسلم واقعاً . انظر له : ( التوحيد في  
العالم المعاصر ) نشرة القاهرة ١٩٦٥ ، وراجع رسالة الشيخ محمد عبده  
( التوحيد ) ورسالة بديع الزمان النورسي ( حقيقة التوحيد ) .

الله تعالى منفرد متوحد بالربوبية ، والألوهية ، وصفات الكمال الحسنى ،  
واسماء الجلال العلى . أى أن العبد لابد أن يؤمن ايماناً عميقاً جازماً  
يقينياً بأن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ، ولا رب غيره ، ولا مالك  
سواه ، واله كل شئ ولا اله غيره ، وأنه الكامل فى أسمائه وصفاته ،  
ولا كامل - فيها - غيره ، سبحانه .

فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع ؛ أحدها : توحيد الربوبية .

وثانيها : توحيد الالهية .

وثالثها : توحيد الأسماء والصفات .

( ١ ) فتوحيد الربوبية : بمعنى أن رب العالم ، ومليكه ،  
وخالقه وصانعه واحد ، وليس اثنين ، وهو الرب سبحانه الذى جبلت الفطر  
على الاقرار به .

وربوبية الله لخلقه تعنى : أنه سبحانه - المتفرد بخلقهم ، وملكهم  
وتدبير شئونهم ...

فتوحيد الله فى الربوبية يعنى : الاعتراف والاعتقاد بأن الله تعالى هو  
الفاعل المطلق فى الكون ، المتصرف المطلق بالخلق ، والتدبير ، والتغيير ،  
والتسيير ، والزيادة ، والنقص ، والاحياء والاماته .. الخ لا يشاركه فى  
ملكه أو فعله وتصرفه أحد سواه .

فالله وحده هو خالق الخلق ، وملكهم ، ونافعهم ، وضارهم ، ورازقهم ،  
ومجيب دعائهم ، ومحبيهم ومميتهم ، وله الخلق وله الأمر كله : قال  
سبحانه عن نفسه « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » ( ١ ) .

### ٣ - القلوب مفطورة على الايمان بتوحيد الربوبية :

وهذا النوع من التوحيد اعترف به المشركون ، وجبلت على الاقرار به جميع الفطر ، وقد سجل ذلك في القرآن على السنة الرسل في صيغة الاستفهام الانكارى :

« افى الله شك فاطر السموات والأرض » (١) .

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٢) .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » (٣) .

فهذا التوحيد حق لا ريب فيه . . ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم ، بل القلوب مفطورة على الايمان به أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات (٤) . . وان من يتظاهر بانكار الصانع وتجاهله يعاند فطرته المجدول عليها ، وتصديق ما قاله الله عن فرعون وقومه الذين جحدوا ولم يقرؤا بالخالق المالك سبحانه :

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (٥) .

وقد كان فرعون أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع ،

---

(١) ابراهيم ١٠ .

(٢) لقمان ٢٥ .

(٣) الزخرف ٨٧ .

(٤) شرح الطحاوية ص ١٧ والاحاد الذى نراه في القرنين الأخيرين ( أى انكار الخالق الصانع المالك وجحدده ) انما هو ثمرة مباشرة للمنهج المادى الغربى ، تبلور فى الفلسفة الماركسية اللينينية ، هذا الاحاد - الذى ضم أكثر من ثلث سكان العالم فى القرن العشرين - لم يعرف فى الانسانية من قبل ، بهذه الصورة البشعة الطاغية . . ومع ذلك فهون الحاد عناد ومكابرة للفطرة .

(٥) النمل ١٤ .

ومع ذلك قد كان مستيقنا به في الباطن ، كما قال له موسى : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر » (١) .

ومما يدل - كذلك - على فطرية الاقرار بالربوبية ، قوله تعالى :  
« قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمن يملك السمع والأبصار ؟  
ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الأمر ؟  
فسيقولون : الله (٢) » .

« قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون الله » (٣)  
كل هذه الأسئلة تتعلق بصفات الربوبية وخصائصها ، ويعترف  
المشركون بأنها كلها لله تعالى وحده .

« وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الافصاح ، ولا تكاد  
سورة من سوره تخلو من ذكره أو الإشارة اليه ، لما له من صلة وثقى بأنواع  
التوحيد الأخرى ، لأن الخالق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه اليه بالعبادة  
والخشوع والخضوع ، وهو المستحق وحده ، للحمد والشكر ، والذكر ،  
والدعاء ، والرجاء ، والخوف ، وغير ذلك . والعبادة كلها لا تصح أن تكون  
الا لمن له الخلق والأمر كله » (٤) .

ومن جهة أخرى فان الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات  
الجلال والجمال والكمال ، لأن هذه الصفات لا تكون الا لرب العالمين ،  
اذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لمن ليس بحى ، ولا سميع ، ولا بصير ،  
ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فعال لما يريد ، ولا حكيم فى أقواله وأفعاله (٥) .

---

(١) الاسراء ١٠٢ .

(٢) يونس ٣١ .

(٣) المؤمنون ٨٧ .

(٤) الدكتور محمد نعيم ياسين : ( الايمان ) ص ١٤ - ١٥ وانظر :  
( تفسير الطبرى ج ٥ ص ٣٩٥ ، وشرح على القارى على الفقه الأكبر المنسوب  
للامام أبى حنيفة ص ٩ ) .

(٥) ( فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ) للشيخ عبد الرحمن بن حمد  
آل الشيخ ، ص ١٣ .

ومن ثم فإن القرآن يسوق هذا النوع من التوحيد في مقام حمد الله ،  
وعبادته ، والانقياد والاستسلام له ، وفي مقام بيان صفاته الجليلة وأسمائه  
الحسنى :

● ففى مقام الحمد ، يقول تعالى :

« الحمد لله رب العالمين » (١) ، « فله الحمد رب السموات رب  
الأرض رب العالمين » (٢) .

● وفى مقام الانقياد والاستسلام له عز وجل :

« قل ان هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين » (٣) .

● وفى مقام التوجه لله واخلاص القصد اليه قال عز وجل :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » (٤) .  
وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم .

كما يجمع القرآن بين ربوبية الله عز وجل المتمثلة فى خلقه للسموات  
والأرض وما فيهما وملكه لهما ، وقيوميته عليهما ، وبين أسمائه الحسنى  
وصفاته العلى ، واقرأ فى ذلك بتدبر آية الكرسي ( البقرة ٢٥٥ ) : تجد  
أن الذى خلق السموات والأرض هو وحده الحى الذى لا يموت ، القيوم ،  
العليم ، الحفيظ ، العلى العظيم (٥) .

وبعد : فهل يكفى توحيد الربوبية فى اخراج العبد من دائرة الكفر  
والشرك الى دائرة الايمان والتوحيد :

الحاصل أن المشركين كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء وربهم  
ومليكه ، ومع اقرارهم بربوبيته لم يخرجوا عن مسمى الشرك ، لأنهم لم

---

(١) الفاتحة ٢ .

(٢) الجاثية ٣٦ .

(٣) الأنعام ٧١ .

(٤) الأنعام ١٦٢ .

(٥) ( الايمان ) ص ١٦ - ١٧ .



يحققوا معنى قول المسلم : لا اله الا الله ، الذى يتضمنه النوع الثانى « توحيد الألوهية » الذى هو قطب رحى القرآن ، والذى لأجله جاءت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وعليه يكون الثواب والعقاب ، وبه يتحقق اخلاص الدين لله ( ١ ) .

فالذين يقرون بأن الله رب كل شىء ، وخالق كل شىء ، ولا يوحّدونه فى ألوهيته ، فيشركون معه غيره فى العبادة ، ولا يوحّدونه فى أسمائه وصفاته ... ، فان هذا التوحيد ( توحيد الربوبية ) لا ينفعهم ، ولا يخرجهم من دائرة الكفر الى دائرة الايمان ، فالمشركون كانوا مقرّين بهذا النوع من التوحيد ، أى أن الله وحده خالق كل شىء - ولكن عبدوا معه غيره - فظلوا مشركين . لأنهم لم يوحّدوا الله فى ألوهيته ، ولم يوحّدوه فى أسمائه وصفاته ، فجحدوا بعضها ، أو لم يؤمنوا بها كلها ، قال تعالى :

« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » ( ٢ ) .

وينقل الطبرى قول مجاهد فى هذه الآية الكريمة :

ايمانهم بالله قولهم : ان الله خلقنا ويرزقنا ، ويميتنا . وشركهم بالله : عبادتهم معه غيره ( ٣ ) .

وينقل الطبرى وابن كثير - فى تفسيريهما - عن جماعة من أعيان السلف ( منهم ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، والشعبى ، وقتادة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ) قولهم « تسألهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله . وهم مع هذا يعبدون غيره ! » ( ٤ ) .

فمعظم العباد لا ينكرون الخالق ، وربوبيته على الخلق ، ولكن

---

( ١ ) ابن تيمية ( رسالة الحسنة والسيئة ) ص ٢٦٠ ضمن مجموع بعنوان شذرات البلاتين ، منهاج السنة ج ٢ ص ٦٢ طبعة بولاق .

( ٢ ) يوسف ١٠٦ .

( ٣ ) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٢٨٧ .

( ٤ ) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، تفسير ابن كثير ج ٢

ص ٤٩٤ ، وراجع الطحاوية ص ٧٨ ، وأحياء الغزالي ج ١ ص ١٨٢ .

معظم كفرهم من عبادتهم غير الله عز وجل (١) ، ومن ينكر ربوبية الخالق  
يجحد - ظاهرا - ما استيقنته نفسه باطنا ، أى : يعاند فطرته ويخاصمها  
ويحاربها .

### ( ب ) أما توحيد الألوهية :

إذا كان ( الاله ) فى اللغة هو : ( المألوه ) أى : المعبود . فتوحيد  
الألوهية معناه إذا : افراده سبحانه بالعبادة . ( والعبادة المأمور بها هى  
كمال الحب لله مع كمال الخضوع له ، أو هى غاية الذل لله ، مع غاية المحبة  
له سبحانه ، ولا تصح عبادة الله عز وجل إلا بهذين المعنيين جميعا ،  
ولا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، وإنما يجب أن يكون الله أحب الى  
العبد من كل شئ ، وأعظم عنده من كل شئ » ( ٢ ) .

فتوحيد الألوهية مبناه ومعناه : اخلاص العبودية لله تعالى وحده ،  
فى باطنها وظاهرها . بحيث لا يكون شئ منها لغيره سبحانه ،  
فالموحد : يعبد الله وحده ، ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة ، والخوف ،  
والرجاء ، والدعاء ، والتوكل ، والطاعة ، والتذلل ، والخضوع ، وجميع  
أنواع العبادة وأشكالها ( ٣ ) .

و ( توحيد الألوهية ) يتضمن - بالضرورة - توحيد الربوبية ،  
وتوحيد الأسماء والصفات ، وليس العكس . أى : أن توحيد العبد لله فى  
ربوبيته وأسمائه وصفاته ، لا يعنى توحيدَه فى ألوهيته .

ولا جدال فى وجوب توحيد الله فى ربوبيته ، إلا أن هذا النوع ليس  
كل الواجب وليس هو مناط الايمان والكفر ، ولا مناط الفرق بين التوحيد

---

(١) راجع كتاب ( التوحيد ) لابن تيمية ص ١٧٢ بتحقيق الدكتور  
محمد الجليند ، وانظر لابن تيمية مواضع متفرقة فى ( الفرقان ) و ( الرسالة  
التدمرية ) و ( العقيدة الواسطية ) و ( الفتاوى ) و ( درء التعارض ) .  
(٢) ابن تيمية : رسالة العبودية ، ص ٢٩ ، والتدمرية ص ١٠٩  
ابن القيم : اغاثة اللهفان ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ج ٢ .  
(٣) الايمان ص ٢٠ .

والشرك ، والايمن والكفر ، وليس بمجرد الاقرار به يكون المرء موحدًا (١) .  
أما العبد الذى يوحد الله فى الوهيته : فهو الذى يقر بأن الله هو  
الخالق وحده ، المستحق للعبادة وحده ، وبأن له الأسماء الحسنى والصفات  
العالى لا يشاركه فيها غيره : لأن اخلاص العبادة لا يكون لغير الرب الخالق  
المالك ولا يكون لمن فيه نقص (٢) .

فتوحيد الألوهية : هو دعوة كل رسول الى قومه ابتداء من أول  
الرسول الى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٣)  
« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا  
فاعبدون » (٤) .

وأمر الله نوحا وهودا وصالحا وشعيبا أن يقولوا لأقوامهم : ( اعبدوا  
الله مالكم من اله غيره » (٥) .

ومن يتدبر آيات الكتاب يجدها تركز على بيان هذا النوع من التوحيد  
والاستدلال عليه ، لأنه مناط الايمان ، ولا يتحقق ايمان العبد الا بالتحقق  
به قولاً وعملاً .

ولما كان ( توحيد الألوهية ) مناط الايمان ومرتكزه ومداره ومحوره ،  
كان أول الدين وآخره ، وظاهره وباطنه ، ومن أجله خلق الانسان ، وأرسلت  
الرسول ، وأنزلت الكتب ، وهو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه  
يقع الجزاء والثواب فى الأولى والآخرة ، كان من لم يأت به : من المشركين  
حتى وان أقر بغيره .

---

(١) د . محمد الجليند فى مقدمته الجيدة لكتاب ابن تيمية (التوحيد)  
ص ٥٨ - ٥٩ ، ومواضع أخرى .

(٢) الطحاوية ، و ( الايمان ) للدكتور محمد نعيم فى مواضع  
متفرقة من ص ١٩ - ٢٤ .

(٣) النحل ٣٦ .

(٤) الأنبياء ٢٥ .

(٥) المؤمنون ٢٣ ، هود ٦١ ، والأعراف ٦٥ .

ومن أجل كل ذلك عنى القرآن الكريم بتقريره وتوضيحه والبرهنة عليه ، لأن غالب الشرك الذى وقع ، كان فى هذا النوع من التوحيد .

ولذلك كانت ( كلمة التوحيد ) : ( لا اله الا الله ) مشتملة على جميع أنواع التوحيد : توحيد الألوهية ، ويتبعه كل من توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات : ذلك أن معنى ( لا اله الا الله ) : لا معبود بحق الا الله . وهذا يتضمن - بالضرورة - توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

#### هـ - من مقتضيات توحيد الألوهية :

١ - اخلاص المحبة لله عز وجل ، فلا يتخذ المؤمن ندا لله فى الحب ، يحبه كما يحب الله ، أو يقدمه فى المحبة على حب الله عز وجل ، « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (١) .

فمن الشرك الظاهر أن يتخذ العبد من دون الله ندا يحبه كما يحب الله عز وجل ، وإذا كان الانسان مفطورا على حب النفس والآباء والأبناء والأزواج والأوطان والأموال والمساكن الفاخرة ، فإن اخلاص العبودية لله لا يعنى القضاء على هذه الفطرة ، وانما المطلوب أن يكون حب الله فوق حب كل شئ وكل شخص فى هذه الدنيا . وأن ينفذ ما يقتضيه حبه لله ، حتى وإن تعارض مع أى شخص أو شئ يحبه فى هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى :

« قل ان كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وأخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتركبوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٢) .

---

(١) البقرة ١٦٥ .

(٢) التوبة ٢٤ .

٢ - التوجه الى الله وحده بالدعاء ، والتوكل ، والرجاء ، قال تعالى :  
« ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا  
من الظالمين » ( ١ ) .

« وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » ( ٢ ) .  
« ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا ، والذين جاهدوا في سبيل الله  
اولئك يرجون رحمة الله » ( ٣ ) .

٣ - ألا يخشى المؤمن الا الله :  
فلا يخاف غير الله تعالى : فان مخلوقات الله تعالى لا تضر بمشيئها  
وقدرتها ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، وأن الرزق بيد الله ، والأجل  
بيد الله . قال تعالى :

« فايأى فارهبون » ( ٤ ) .  
« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد  
لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم » ( ٥ ) .

٤ - التوجه الى الله تعالى وحده في كافة صنوف العبادات ، فهذه  
العبادات يجب أن تكون خالصة لله وحده ، ولا يشرك فيها غير الله ،  
قال تعالى :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن  
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » ( ٦ ) .

---

( ١ ) يونس ١٠٦ .

( ٢ ) المائدة ٢٣ .

( ٣ ) البقرة ٢١٨ .

( ٤ ) النحل ٥١ .

( ٥ ) يونس ١٧ .

( ٦ ) النساء ١١٦ وللتوسع انظر : كتاب الايمان للدكتور محمد نعيم ،

و ( عقيدة المؤمن ) لأبى بكر الجزائري والعقائد للشيخ سيد سابق .

هذه بعض مقتضيات توحيد الألوهية (١) .

### ( ج ) توحيد الأسماء والصفات :

وحقيقته أن يؤمن العبد ايمانا جازما بأن الله سبحانه متصف - اجمالا - بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن كل صفات النقص ، وأنه متفرد - في هذا - عن جميع الكائنات .

وأن يؤمن بأن الله تعالى متصف - على التفصيل - بكل الصفات والأسماء التي وصف بها نفسه ، أو سمى بها ذاته العلية ، في كتابه ، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

على المؤمن أن يثبت لله كل صفة أو اسم ، ورد به القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، من غير تحريف الفاظها أو معانيها . ولا تعطيلها بنفى بعضها عن الله ، ولا تكييفها بتحديد كنهها واثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين (٢) .

### ثلاثة مطالب لتحقيق توحيد الأسماء والصفات :

ويحدد العلامة محمد الأمين الشنقيطى ثلاثة مطالب في توحيد الأسماء والصفات ، من تجاوزها أو تجاوز واحدا منها لم يكن موحدًا ربه في أسمائه وصفاته ، وهى :

- ١ - تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، وعن أى نقص .
- ٢ - الايمان بجميع أسماء الله الحسنی وصفاته الثابتة في القرآن والسنة ، دون زيادة أو نقص ، أو تحريف لها ، أو تعطيل .
- ٣ - صرف النظر عن أى محاولة لادراك كنهه أو كيفية هذه الصفات (٣) .

---

(١) للتوسع انظر لابن تيمية كتابى : ( التوحيد ) و ( العبودية ) و ( عقيدة المؤمن ) لأبى بكر الجزائري و ( عقيد المسلم ) للشيخ محمد الغزالي .

(٢) راجع ( الايمان ) للدكتور محمد نعيم ص ٢٥ ( بتصرف ) .  
(٣) محمد الأمين الشنقيطى : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٤ .

ودليل المطلب الأول وهو : تنزيه الباري عن أن يشبه شيء من صفاته  
شيئاً من صفات المخلوقين ، قوله تعالى :

- « ليس كمثله شيء » ( ١ )
- « ولا تضربوا لله الأمثال » ( ٢ )
- « ولم يكن له كفوا أحد » ( ٣ )

ويقتضى هذا الأصل كذلك ، تنزيه الله عن كل ما يناقض ما وصف  
به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتوحيد الله في صفاته  
يستلزم أن ينزه المؤمن ربه عن الزوجة ، والولد ، والشريك ، والكفاء ،  
والظهير ، والشفيع إلا باذنه ، والولى من الذل . . وعن النوم والاعياء ،  
والتعب ، والموت ، والجهل ، والظلم ، والغفلة ، والنسيان ، والنعاس ،  
والتحيز ، وغير ذلك من صفات النقص .

أما المطلب الثانى ، فقد عبر عنه الامام أحمد بن حنبل بقوله :  
« لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز  
القرآن والحديث » ( ٤ ) .

وقال نعيم بن حماد شيخ البخارى : ( من شبه الله بخلقه كفر ، ومن  
جحد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف  
الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، تشبيه ولا تمثيل » ( ٥ ) .

ويقتضى المطلب الثالث : من المؤمن أن يعتقد في تلك الصفات والأسماء  
المنصوص عليها في القرآن والسنة ، من غير سؤال عن كيفيةها ، ولا بحث  
عن كنهها ، وذلك لأن معرفة كيفية الصفة ، متوقفة على معرفة كيفية الذات ،  
لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ، وذات الله عز وجل ، لا يسأل

- 
- (١) الشورى ١١
  - (٢) النحل ٧٤
  - (٣) الاخلاص ٤
  - (٤) شرح الواسطية ص ٢١
  - (٥) السابق

عن كنهها أو كيفيتها ، وكذلك صفاته سبحانه : لا يصح السؤال عن كيفياتها ، وقد أثر عن طائفة من علماء السلف أنهم قالوا - عندما سئلوا عن كيفية استواء الله على العرش : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

ولو ان سائلا سأل : كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فاذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية المرصوف ، فهو فرع عنه وتابع له ، فكيف تطالب ببيان كيفية سمع الله وبصره وتكلمه واستوائه ونزوله ، وانت لا تعلم كيفية ذاته ؟ ! . واذا كنت تقر بان الله عز وجل ، حقيقة ثابتة في نفس الأمر ، مستوجبة لصفات الكمال ، لا يماثلها شيء ، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ، سبحانه ، ثابت في نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم (١) .

ومن بين أدلة القرآن على توحيد الأسماء والصفات ( سورة الاخلاص ) ( التي تعدل ثلث القرآن ) كما جاء في حديث البخاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ( آية الكرسي ) وهي أعظم آية في القرآن الكريم ، فتدبرهما واحفظ حقهما .

ولقد درس العلماء أسماء الله وصفاته من منطلقات متعددة ، وبمناهج متفاوتة - كما سنشير الى شيء من ذلك في موضعه من البحث ان شاء الله ، لكن أحكم هذه المناهج وأسلمها على الاطلاق وأصحها جميعا ، منهج السلف رضی الله عنهم ، وهو المتضمن للعناصر التالية :

عدم تشبيه صفات الخالق عز وجل بصفات المخلوق ، عدم تحريف الصفات بتأويلها أو تغييرها وتبديلها ، بل يقال فيها مثلما أثر عن الشافعي

---

(١) ( الايمان ) ص ٢٧ - ٢٨ ( بتصرف ) ، ويراجع منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، ص ٢٥ ، والروضة الندية ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ .



رضى الله عنه : « آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله ، على مراد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » (١) .

عدم التعطيل ، عدم التكييف ، وهو تعيين كيفية ما للصفات ومحاولة اثبات كنهها ، على ما ذكر بشيء من الإيجاز والله تعالى أعلم .

---

(١) راجع في ذلك مصادر عديدة منها : اللالكائى : ( شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ) والأشعرى : ( رسالة أهل الشعر ) ، والامام الدارقطنى ( على بن عمر ت ٣٨٥ هـ ) في ( كتاب الصفات ) تحقيق عبد الله الغنيمة ، الاسفرايينى الامام أبو المظفر ( التبصير في الدين ) تحقيق كمال الحوت ، ابن تيمية : ( التوحيد ) ( الواسطية ) ( التدمرية ) ( العبودية ) ( الفتاوى ) وان خزيمة ( محمد بن اسحاق ت ٣١١ هـ ) في ( التوحيد واثبات صفات الرب ) تعليق محمد خليل هراس ، الذهبى ( العلو للعلو الغفار ) اختصار الشيخ ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، أحمد بن ابراهيم الواسطى ( النصيحة في صفات الرب جل وعلا ) المكتب الإسلامى . وشرح الطحاوية ، وشرح الفقه الأكبر ، وغير ذلك مثل ( الشريعة ) للأجرى ، و ( المنهاج ) للحليمى ، ورسائل الامام حسن البنا ، و ( التحف في مذاهب السلف ) للشوكانى ( ضمن مجموع رسائل في العقيدة ) نشره عبد الله حجاج . وكتاب ( الايمان ) للدكتور محمد نعيم ياسين وهو تلخيص نافع في أصول الايمان ، وقد رجعنا اليه وأفدنا منه .

### ثالثا : أسماء الله الحسنى وصفاته •

#### ( ١ ) أسماء الله الحسنى :

تعرف الخالق جل وعلا الى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء الله الحسنى في حديث شريف .. عن ابي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( ان لله تسعة وتسعين اسما - مائة الا واحدا - من أحصاها دخل الجنة ، انه وتر يحب الوتر ) - وفي رواية ( من حفظها ) ( ١ ) • أى من عرفها وعقل معانيها ، وآمن بها ، وأحسن مراعاتها ، والمحافظة على حدودها في معاملة الرب عز وجل ( ٢ ) ، دخل الجنة •

ورواه الترمذى وزاد عليهم :

« هو الله الذى لا اله الا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحكيم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ،

---

( ١ ) رواه البخارى ومسلم •

( ٢ ) البيهقى ( أبو بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ ) كتاب

( الأسماء والصفات ) ص ٦ •

النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .  
من معانى بعض هذه الأسماء الحسنى :

- القدوس : المطهر من العيوب والنقائص ، والممدوح بالفضائل والمحاسن .
- السلام : الأمان لخلقه ، أو السالم من العيوب .
- المؤمن : المصدق وعده لخلقه والمؤمن لهم من عذابه .
- المهيمن : المسيطر المتصرف ، أو الشهيد الرقيب .
- العزيز : القاهر الغالب .
- المتكبر : العالى عن صفات الخلق المتفرد بصفات العظمة .
- الجبار : المنفذ لأوامره .
- البارىء : الخالق ، وهو فى خلق ذى الروح أظهر ، يقال : بارىء النسم وخالق السموات والأرض .
- المقيت : العالم العارف .
- الحسيب : الكافى لخلقه .
- المحصى : هو الذى أحصى كل شىء بعلمه ، فلا يفوته شىء من الأشياء .
- البر : المتعطف على عباده ببره ولطفه .
- المقسط : العادل فى حكمه .
- الرشيد : الذى يرشد الخلق الى مصالحهم .
- الصبور : هو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام منهم .
- الظاهر : البادى فى أفعاله ، وهو جل ثناؤه موصوف بهذه الصفة ، فلا يمكن معهما أن يجحد وجوده ، وينكر ثبوته .
- البديع : المبدع وهو محدث ما لم يكن مثله قط .
- الباطن : الذى لا يحس ولكن يدرك بأفعاله وآثاره .
- القيوم : القائم على كل شىء من خلقه يدبره بما يريد ، جل وعلا ، وقال الخطابى : القائم الدائم بلا زوال .
- الرحمن : ذو الرحمة الشاملة التى وسعت كل الخلق ، فى أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر ، والصالح والطالح .

- الرحيم : خاص بالمؤمنين لقوله ( وكان بالمؤمنين رحيمًا ) ( ١ ) .

بعض الأسماء الحسنى الزائدة عن التسعة وأنتسعين :

قد وردت آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية بأسماء أخرى لله تعالى  
زيادة عن هذه التسعة والتسعين اسما .

ومن هذه الأسماء الحسنى : ( الحنان ) ، و ( المنان ) ، و ( البديع )  
وكذلك ورد اسم ( المغيث ) ، و ( الكفيل ) ، و ( ذو الطول ) .  
١ الخلاق ) . . . وغير ذلك ( ٢ ) .

قال الامام الحلي : « والله جل ثناؤه أسماء سوى ما ذكرنا منها  
١ ذو العرش ) ، و ( ذو المعارج ) ، و ( الفرد ) . . . الخ » .  
وقال البيهقي : « . . . وهذه الأسماء كلها - التسعة والتسعين وما راد  
عليها ، في كتاب الله تعالى ، وفي سائر أحاديث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : نصا أو دلالة . . . ونحن نشير الى مواضعها ان شاء الله تعالى . في  
جماع أبواب معاني هذه الأسماء ، ونضيف اليها ما لم يدخل في جملتها  
( يقصد في حديث الترمذي ) « ( ٣ ) . هذا وقد أحصى بعض العلماء لله

---

( ١ ) سورة الأحزاب / ٤٣ وللتوسع في معرفة معاني أسماء الله الحسنى  
انظر للامام الحلي : ( المنهاج في شعب الايمان ) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها ،  
وانظر : الامام البيهقي : ( كتاب الأسماء والصفات ) ص ٤ وما بعدها ،  
وانظر كتاب الفخر الرازي ( شرح أسماء الله الحسنى ) نشرة طه عبد الرؤوف  
سعد ، دار الكتاب العربي ص ١٦٤ وما بعدها ، البيهقي كذلك ( الاعتقاد  
والهداية ) ص ٣٠ - ٣٣ نشرة كمال الحوت - عالم الكتب بيروت ، الامام  
حسن البنا - العقائد ص ٤٣٨ وما بعدها ، شرح الطحاوية ص ٦٦ وما  
بعدها ، نشرة شعيب الأرناؤوط .

( ٢ ) الحلي : المنهاج ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

( المنهاج ) للحلي فهو من أهم الكتب في هذا الباب ، وهو الذي اعتمد  
( ٣ ) البيهقي : كتاب الأسماء والصفات . ص ٨ وما بعدها . وانظر  
المنهاج للحلي ، وقد اعتمد عليه البيهقي اعتمادا كاملا في شرح أسماء  
الله الحسنى ، وفي كتابه ( شعب الايمان ) كذلك .

نعالي أكثر من ألف اسم ، من القرآن والسنة ( ١ ) .

### أسماء الله توقيفية :

يرى جمهور العلماء أنه لا يجوز أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسما أو وصفا لم يطلقه على نفسه ، ولم يطلقه عليه رسوله صلى الله عليه وسلم ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى حتى وإن كان يشعر بالكمال .. وهذا معنى قولهم : أسماء الله توقيفية ، أى لابد أن يكون الشرع قد جاء بها .

### العلمية والوصفية في أسماء الله تعالى :

من بين جميع الأسماء الحسنى المتقدمة ( علم ) واحد ، وضع للدلالة على الذات القدسية ، وهو لفظ الجلالة : ( الله ) . أما باقى الأسماء الحسنى ، فملاحظ فيها معنى الصفات ، ولهذا صح أن تكون : أخبارا للفظ الجلالة .

وهل لفظ الجلالة ( الله ) مشتق أو غير مشتق ؟ المسألة خلافية و « لا يترتب عليها أمر عملى ، وحسبنا أن نعلم أن اسم الذات هو هذا الاسم المفرد ، وبقية الأسماء مشربة بالوصفية ، وفي هذا الكفاية » ( ٢ ) .

### اسم الله الأعظم :

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة ، منها :

( ١ ) عن بريدة رضى الله عنه قال : سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو ويقول : اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله ، لا اله الا أنت ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

---

( ١ ) أبو بكر بن العربى : شرح الترمذى ، والشوكانى ( تحفة الذاكرين ) ، والفخر الرازى : شرح أسماء الله الحسنى ، وابن برجان الصوفى ( شرح أسماء الله الحسنى ) رسالة ماجستير ( مخطوطة ) بدار العلوم .  
( ٢ ) انظر رسالة ( العقائد ) للشيخ حسن البنا ص ٤٤٣ ، وراجع البيهقى ( الأسماء ) ص ١٩ ، والحليمى : المنهاج ، والفخر الرازى ، وابن برجان ، وغيرهم .

قال : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » ( ١ ) .

( ب ) عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « هل أدلكم على اسم الله الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى ؟ : الدعوة التى دعا بها يونس ، حيث نادى فى الظلمات الثلاث : لا اله الا انت سبحانك ! انى كنت من الظالمين » . فقال رجل : يا رسول الله : هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تسمع قول الله عز وجل » : « فنجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » ( ٢ ) .

( ج ) عن أسماء بنت يزيد ، رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين » : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران » : « الم الله لا اله الا هو الحى القيوم » ( ٣ ) . وهناك أحاديث أخرى ورد فيها أسماء أخرى لله تعالى ، قال عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنها اسم

الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى .  
فما هو اسم الله الأعظم ؟

ان العلماء مختلفون فى تعيين ( اسم الله الأعظم بالذات ) ، ولهم فى هذا أقوال كثيرة ، جمع منها السيوطى فى رسالته ( الاسم الأعظم ) أكثر

---

( ١ ) رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى وابن ماجه ، وقال المنذرى ( صاحب الترغيب والترهيب ) : قال شيخنا المقدسى : هو اسناد لا مطعن فيه ، ولا أعلم أنه روى فى هذا الباب حديث أجود منه اسنادا ، وقال الحافظ ابن حجر ( صاحب فتح البارى ) : هذا الحديث أرجح ما ورد - فى هذا الباب - من حيث السند .

( ٢ ) رواه الحاكم . الآية / ٨٧ . الأنبياء .

( ٣ ) رواه أحمد وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وقال الترمذى عنه : انه حديث حسن صحيح .

من عشرين قولاً (١) . كما أن الأحاديث الواردة لم تعين اسماً واحداً بالذات ، بل جعلتها عاماً في أسماء كثيرة .

وعلى ذلك فالأصح أن الاسم الأعظم « دعاء مركب من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسان ، مع توافر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً ، استجاب الله له ، وقد صرح به الأحاديث الشريفة في عدة مواضع » (٢) والله أعلم .

### ( ب ) صفات الله تعالى :

أنت إذا نظرت إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم ، وغرائب المخلوقات ، ودقيق الصنع ، وكبير الأحكام ، مع العظمة والاتساع ، والتناسق ، والابداع ، والتجدد والاختراع ، ورأيت هذه السماء الصافية بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها ، ومجراتها .

---

(١) السيوطي المتوفى ٩١١ هـ ( الدر المنظم في الاسم الأعظم ) ص ٤١ - ٤٨ ضمن مجموع بعنوان ( رسائل الاسم الأعظم ) للغزالي والسيوطي وابن عربي ( محيي الدين ) نشرة مكتبة نصير بالقاهرة ، بعناية بدوى طه علام وانظر تفسير القرطبي ج ١ ص ١٠٢ ، و ( أحكام القرآن ) لابن العربي ج ٢ ص ٧٩٨ ، وللزركشي : ( معنى لا اله الا الله ) ص ١٣٧ .

(٢) الاستاذ الامام حسن البنا ، العقائد ص ٤٤٧ ، والحق أن ما يدعيه بعض الناس من أن اسم الله الأعظم ( سر من الأسرار ) يمنح لبعض الناس ، فيتصرفون به في الكون ، ويخرقون به العادات ، ويحققون به الكرامات ، ويفتحون به المغلقات ، ويكون لهم بحيارته ما ليس لغيرهم من الناس ، أمر زائد على ما ورد عن الله ورسوله - كما رأينا - والحق أن الناس مولعون بالمعميات ، وادعاء الخصوصية ، والزيادة في الماثورات ، فقالوا ما لم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن ذلك نهياً شديداً ، فلنقف مع الماثور ( حسن البنا ) .

- كما يذكر البعض أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى خواص وأسرار تتعلق به ، أو أن لكل اسم خادماً روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ... فهو - والله أعلم - : من الغلو في دين الله تعالى ، والزيادة فيه ، وقد نهينا عن ذلك .

ورأيت هذه الأرض بنباتها وخيراتها ومعادنها وكنوزها ، وعناصرها وموادها ، ورأيت عالم الحيوان ، وما فيه من غرائب الهداية والالهام ، بل لو رأيت تركيب الانسان وما احتواه من أجهزة كثيرة ، كل يقوم بعمله ، ويؤدي وظيفته ، ورأيت عالم البحار وما فيه من عجائب وغرائب ، وعرفت القوى الكونية ، وما فيها من حكم وأسرار : من كهرباء ومغناطيس وراديوم وأثير ... الخ ، ثم انتقلت من النظر الى ذوات العالم وأوصافها ، الى الروابط والصلات فيما بينها ، وكيف أن كلا منها يتصل بالآخر اتصالا محكما وثيقا ، بحيث يتألف من مجموعها ( وحدة كونية ) : كل جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضو في الجسم الواحد بقية الأعضاء .

لخرجت من كل ذلك - من غير أن يأتيك دليل أو برهان ، أو وحى أو قرآن - بهذه العقيدة النظرية السهلة وهى : أن لهذا الكون خالقا صانعا موجدا ، وأن هذا الصانع لابد أن يكون عظيما فوق ما يتصور العقل البشرى الضعيف ، من العظمة ، وقادرا فوق ما يفهم الانسان من معانى القدرة ، وحيا بأكمل معانى الحياة ، وأنه مستغن عن كل هذه المخلوقات ، لأنه كان قبل أن تكون ، وعليما بأوسع حدود العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقها ، وبعدها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم .

سترى نفسك مملوءا بهذه العقيدة : بأن صانع هذا الكون ومدبره متصف بكل صفات الكمال فوق ما يتصورها العقل البشرى الصغير ، ومنزه عن كل صفات النقص ، وسترى هذه العقيدة ( وحى وجدانك لوجدانك وشعور نفسك لنفسك ) : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ( ١ ) .

وصفات الله تبارك وتعالى - فى القرآن الكريم والسنة المطهرة - كثيرة جدا ، وكمالاته تبارك وتعالى لا تتناهى ، ولا تدرك كلها عقول البشر ،

---

( ١ ) سورة الروم آية ٣٠ ، وانظر رسالة ( العقائد ) للاستاذ حسن البنسّا ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .



سبحانه لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه . ومدلولات هذه الألفاظ ( الفاظ الصفات كالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والوجه ، واليد ، والضحك ، والاستواء ... الخ ) ، تختلف في حق الله تعالى عن مدلولاتها في حق الخلق من حيث الكمال والكيفية اختلافاً كلياً لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه . . وكل ما تتخيله من معنى أو مدلول - قياساً على الخلق - فحقيقة الصفة الالهية بخلافه .

### سؤال يهجم على بعض الناس :

روى الامام مسلم في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد في نفسه شيئاً فليقل : آمنت بالله » . هذا السؤال الخاطيء من أساسه ، أو هذه الوسوسة قد تختلج في بعض النفوس ، وهو سؤال خاطيء لأننا نهينا عن البحث في حقيقة الذات الالهية من ناحية ، ولأن كمال الألوهية يقتضى عدم احتياج الاله الى غيره ، فان من صفاته قيامه بنفسه وليس بغيره . . فالكامل لا يحتاج الى غيره ، والناقص هو الذى يحتاج الى غيره . ومع ذلك فمن وجد في نفسه شيئاً من ذلك فأمامه الحل الذى دله عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ( فليقل : آمنت بالله ) .

### مشكلة الأسماء والصفات ، أو :

### موقف علماء العقيدة من صفات الله تعالى :

وردت في القرآن الحكيم والسنة المطهرة آيات وأحاديث صحيحة في البخارى ومسلم وغيرهما ، تشتمل على ( صفات الله ) ، توهم بظواهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم مثل : اضافة الوجه ، والعين ، واليد ، والقدم ، والأصابع ، والمجىء ، والنزول ، والضحك ، والاستواء والفوقية ، لله تعالى .

### وموقف الناس من هذه الصفات أربعة مواقف ؟ هى :

١ - المجسمة المشبهة : قالوا بظواهر هذه الصفات ، ونسبوا لله وجهاً ويدا وضحكا ونزولاً كوجوه الناس ، وأيديهم ، وضحكهم ونزولهم ، ولا فرق .

وهؤلاء باطل مذهبهم ، ومردود عليهم بقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ،  
« لم يكن له كفوا أحد » . وجذور هذا المذهب - الباطل الخارج عن الاسلام -  
في أسفار اليهود التي كتبوها بأيديهم ، ونسبوها للوحى كما سنوضح ذلك  
ان شاء الله .

٢ - الجهمية المعطلة : الذين ينفون مدلولات هذه الصفات عن الله  
مطلقا ، وعى أى وجه ، فالله تعالى - فى خيالهم الضال - لا يسمع ولا يبصر  
ولا يتكلم ... الخ ، لأن ذلك يقتضى أن يكون لله جارجة تقوم بذلك ..  
وهذا مذهب متهافت باطل .

٣ - مذهب السلف : قالوا رضوان الله عليهم : اتفق الفقهاء كلهم من  
المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقات  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل : من غير تفسير ،  
ولا وصف ، ولا تشبيه « (١) - وسئل الامام أحمد رضى الله عنه عن  
أحاديث الصفات هذه فقال : نؤمن بها ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ،  
ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق  
اذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تعالى  
بأكثر مما وصف به نفسه : بلا حد ، ولا غاية ، ليس كمثله شيء » (٢) .

#### ٤ - مذهب الخلف ( علماء الكلام والنظار ) :

قالوا - على اختلاف واضح بينهم : انهم يقطعون بأن معانى الفاظ

---

(١) اللالكائى : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .  
(٢) خلال : ( كتاب السنة ) . وراجع ما كبناه عن ( توحيد  
الأسماء والصفات ) . وانظر مؤلفات ( ابن بطه ) و ( ابن خزيمة )  
و ( ابن منده ) والدارقطنى : الحافظ على بن عمر ت ٣٨٥ هـ ( كتاب  
الصفات ) و ( النصيحة ) للواسطى و ( ابن تيمية ) و ( ابن القيم )  
والذهبى فى ( العلو ) وغيرهم رحمهم الله .

- وقارن ما كتبه الدكتور أبو اليزيد العجمى فى كتابه ( فقه العقيدة  
عند الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ) فى جزأين ، نشر دار  
الهداية ، وما كتبه الدكتور عبد الحميد مدكور فى ( مذكرات فى علمكم كلام ) .

هذه الآيات والأحاديث لا يراد بها ظواهرها ، وعلى ذلك فهي مجازات لا ما نع من تأويلها ، فآخذوا يؤولون الوجه بالذات ، واليد بالقدرة ، وما الى ذلك طلبا في تنزيه الله تعالى ، وهربا من التشبيه أو شبهته .

والحقيقة المؤلمة المؤسفة أن هذه المسألة قد أثارت خلافا حادا ، وخصومة ولجاجا ، وصراعا مريرا بين علماء العقيدة من أنصار طريقة السلف واتباع الخلف ( ١ ) . بل ان هذه المشكلة قد سيطرت على كتب العقيدة ، وغطتها بظلال الخصومة والعراك . والحقيقة المؤلمة كذلك أنها أثرت على مؤلفات العقيدة فصبغتها بلونها القاتم ، واستنفدت جهودا هائلة وطاقات غالية في الجدل حولها ، وحولت انتباه علمائنا عن مسائل مهمة أخرى ، مما ضيع فرصا ثمينة لا ثراء علم العقيدة على ضوء منهج سديد بعيدا عن جو العراك والشجار بين ( السلف والخلف ) في مسألة الصفات .

وان هذا العراك قد عمل على تمزيق وحدة الصف واضعافه ، وبذر الفرقة والنفخ فيها . ومما يعتصر له القلب أن نرى من يحاول اليوم

---

( ١ ) وترتب على ذلك أن أضحت كتب العقيدة الإسلامية ( ردودا وجدلا وعراكا ) انظر على سبيل المثال كتاب بعنوان ( الرد على فلان أو كذا ) ( الصواعق المرسلات ) و ( اجتماع الجيوش الإسلامية ) وما في كتب ( علماء الكلام ) في هذا الشأن - غريب عجيب انظر لابن قتيبة مثلا ( مختلف الحديث ) فقد ذكر فيه عنهم كلاما عجيبا ، وانظر مؤلفات علماء الكلام وتعسفهم في التشقيق والتفريع ، وأخذهم بالمصطلح غير الإسلامي ، والبرهان غير القرآني ، واستمدادهم من الفلاسفة كثيرا من نظرياتهم ، كل ذلك معروف . . انظر للقاضي عبد الجبار ( المغنى ) و ( شرح الأصول الخمسة ) وللباقلائي ( التمهيد ) و ( الانصاف ) و للفخر الرازي ( المحصل ) و ( أساس التقديس ) ولابن الجوزي ( دفع شبهة التشبيه ) ، وللعضد : ( المواقف ) وللماتريدي ( التوحيد ) و ( تأويل السنة ) ولابن فورك ( مشكل الحديث ) والجويني ( اللمع ) ، وغير ذلك كثير . وفي هجوم ابن رشد على المتكلمين نراه يرميهم بالتعصب ، وباستخدام منهج جدلي أدى الى تفريق الأمة الى طوائف متناحرة يكفر بعضها بعضا .

احياء المعارك السالفة حول مسألة الصفات ، وبعث الفتنة جذعة أشد مما كانت .

#### رأينا في المسألة :

وانا نرى أن مذهب السلف من آيات وأحاديث الصفات أعلم وأحكم وأسلم ، ونرى أن الخلف قصدوا - كما صرحوا - تنزيله الله تعالى عن التشبيه ، فاولوا . وان خطأهم - في التاويل - خطأ المجتهدين . أما الجراءة على نفى الأحاديث الثابتة التي وقعت من بعضهم ، فهي أمر غير مقبول أبدا ، ومثلها - في عدم القبول - الاعتماد على الأحاديث الموضوعة والمنكرة والواهية في باب العقائد والأصول . وقد كانت هذه الجراءة هنا وتلك الغفلة هناك من أبرز الثمرات المرة لهذا العراقك المؤسف .

#### رأى بعض العلماء :

يرى الأستاذ الامام حسن البنا رحمه الله : « انك لو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلف ( الاختلاف ) بين الفريقين ( طريق السلف والخلف ) لا تحتل شيئا من هذا ؛ .. وبيان ذلك من عدة أوجه :

اولا : اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلفه .

ثانيا : كل منهما يقطع بأن المراد بالفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى ، غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات ، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفى التشبيه .

ثالثا : كل من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس ، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللفه وواضعيها ، وأن اللغات ، مهما اتسعت ، لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم ، وحقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل ، فاللغة أقصر من أن تواتينا بالفاظ تدل على هذه الحقائق ، فالتحكم في تحديد المعاني تغير .

وبهذا ينحصر الخلاف بين الخلف والسلف ، وان كان الخلف زادوا  
تحديد المعنى المراد حينما ألجأتهم ضرورة التنزيه الى ذلك .

وهذا خلاف لا يستحق ضجة ولا اعناتا . ونحن نعتقد أن رأى السلف  
من السكوت وتفويض علم هذه المعانى الى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى  
بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل . . . ، ونعتقد الى جانب هذا أن  
تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعى هذا  
النزاع الطويل بينهم قديما وحديثا ، وصدر الاسلام أوسع من هذا كله ( ١ ) .

## رابعاً : من مباحث ( لا اله الا الله )

### ١ - الشهادة اعتقاد وإقرار :

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« الايمان بضع وسبعون شعبة ؛ أعلاها لا اله الا الله ، وأدناها إمطة  
الأذى عن الطريق » ( ١ ) .

وهذه الشهادة فرض تجمع الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان ؛ والاعتقاد  
والإقرار وإن كانا عمليين يعملان بجارحتين مختلفتين فإن نوع العمل واحد ،  
وما مثلها الا مثل من قال شيئاً وكتبه ، فالقول والمكتوب شيء واحد .

### ٢ - ماذا تتضمن ( لا اله الا الله ) من عقائد ؟

يذكر الامام الحليمي أن ( لا اله الا الله ) تتضمن مجموع عدة  
أشياء ؛

أحدهما : اثبات الباري عز وجل ؛ ليقع به مفارقة التعطيل .  
والثاني : اثبات وحدانيته ؛ ليقع به البراءة من الشرك .  
والثالث : اثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض ؛ لتقع به البراءة من  
الشبيه .

والرابع : أن وجود كل ما سواه كان من قبل ابداعه واختراعه ؛ لتقع  
به البراءة من قول من يقول بالعلة والمعلول .

والخامس : اثبات أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما شاء ؛ لتقع به  
البراءة من قول القائلين بالطبائع ، أو تدبير الكواكب ، أو تدبير الملائكة .

هذه هي العقائد الخمس التي تحتوى عليها ( لا اله الا الله ) كما  
يراها الامام الحليمي ، وعنده أن أسماء الله الحسنى تدور كلها حول  
هذه العقائد الخمس ، ومن ثم فهي تنظم معنى وحقيقة كل هذه الأسماء

وتشتمل عليها كلها : فحصلت أجمع الأفكار واسناها وأفخمها وأعلاها وأولاها بأن يتفرب الى الله تعالى بها (١) .

٣ - من قال ( لا اله الا الله ) فأدى حقها وفرضها دخل الجنة :

عن أنس ، رضى الله عنه ، قال : كان النبی صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! . قال : يا معاذ ! : قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! . يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : « ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، الا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله ، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : اذا يتكلموا » (٢) فأخبر بها معاذ عند موته تأثما من كتمان العلم . وروى أبو ذر ، رضى الله عنه ، عن النبی صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ما من عبد قال : لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة » قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : « وان زنى وان سرق . » . قلت : « وان زنى وان سرق ! قال : « وان زنى وان سرق » . ثم قال فى الرابعة : « على رغم أنف أبى ذر » : قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وان رغم أنف أبى ذر (٣) .

وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول شرحها ، وأحاديث هذا الباب نوعان :

أحدهما : ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها ، وهذا ظاهر ؛ فان النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها اذا طهر من ذنوبه بالنار .

---

(١) الحلیمى : المنهاج ج ١ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

وحديث أبى ذر معناه : أن الزنى والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ، وليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيد .

الثانى : ما فيه أنه يحرم على النار ، وهذا قد حمل بعضهم على الخلود فيها ، أو على نار يخلد فيها أهلها ، وهى ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين ، بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين . وفى الصحيحين : « أن الله تعالى يقول : وعزتى وجلالى ، لأخرجن من النار من قال : لا اله الا الله » .

وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن ( لا اله الا الله ) سبب لدخول الجنة ، والنجاة من النار ، ومقتضى لذلك . ولكن المقتضى لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا هو الأظهر . وقد قيل للحسن : ان ناسا يقولون : من قال ( لا اله الا الله ) دخل الجنة ؟ فقال : من قال : ( لا اله الا الله ) فأدى حقها وفرضها دخل الجنة ( ١ ) .

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة ، قد جاءت مقيدة فى أحاديث آخر ، ففى بعضها : « من قال : ( لا اله الا الله ) مخلصا » . وفى بعضها : « مستيقنا » ، وفى بعضها : « يقولها حقاً من قلبه » . وفى بعضها : « قد دل بها لسانه واطمأن بها قلبه » .

٤ - لابد من تحقق القلب بمعنى الشهادتين : فتحقق القلب بقول : ( لا اله الا الله ) ألا ياله القلب غير الله ، حبا ، ورجاء ، وخوفا ، وتوكلا ، واستعانة ، وخضوعا ، واناة ، وطلبا . وتحققه بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد .

---

( ١ ) الحافظ ابن رجب الحنبلى : ( كلمة الاخلاص وتحقيق معناها ) ص ٧ - ١٤ ط ٤ ، نشر المكتب الاسلامى .



ومن تحقيق هذا المعنى أن قول العبد : ( لا اله الا الله ) يقتضى أن لا اله له ، غير الله . والاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ، ومحبة وخوفا ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ، ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل . فمن أشرك مخلوقا فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحا فى اخلاصه فى قول : ( لا اله الا الله ) ، ونقصا فى توحيدده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك .

ولهذا ورد اطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصى التى منشؤها من طاعة غير الله ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو التوكل عليه والعمل لأجله . . . . . وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه ، قادح فى كمال التوحيد وتمامه ، ولذلك أطلق الشرع على كثير من الذنوب التى منشؤها من هوى النفس ، انها كفر وشرك . . . . . وان كان ذلك لا يخرجها عن الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك (١) .

ومن مقتضى شهادة ( لا اله الا الله ) أن يحب العبد الله أكثر من أى شىء سواه . فان ( الاله ) هو الذى يطاع ، فلا يعصى محبة وخوفا ورجاء . ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهه ما يكرهه ، فمن أحب شيئا مما يكرهه الله ، أو كره شيئا يحبه الله لم يكمل توحيدده ، وصدقته فى قول : ( لا اله الا الله ) ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله (٢) .

هـ - شهادة أن ( لا اله الا الله ) تستلزم شهادة ( أن محمدا رسول الله ) : ولا تتم شهادة أن ( لا اله الا الله ) الا بشهادة أن ( محمدا رسول الله ) ؛ فانه اذا علم أنه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه . فصارت

---

(١) كلمة الاخلاص وتحقيق معناها ص ٢٥ .

(٢) السابق ص ٢٩ .

محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتصديقه ، ومتابعته (١) .

٦ - من أسماء ( لا اله الا الله ) في القرآن :

أحصى الفخر الرازي - في دراسة ممتعة ومفيدة - لشهادة أن ( لا اله الا الله ) أربعة وعشرين اسما ، ذكر أنها قد وردت في القرآن الكريم ، منها :

- أنها : ( كلمة التوحيد ) ، - وأنها : ( كلمة الاخلاص ) ، بدليل أن سورة ( قل هو الله أحد ) تسمى سورة الاخلاص ، وما فيها الا التوحيد .  
- وأنها : ( كلمة الاحسان ) ، - وأنها : ( دعوة الحق ) ،  
- ( كلمة العدل ) ، - و ( الطيب من القول ) ، - و ( الكلمة الطيبة ) ،  
- ( الكلمة الثابتة ) ، - وأنها : ( كلمة التقوى ) ، - و ( الكلمة الباقية ) ، - و ( كلمة الله العليا ) - و ( المثل الأعلى ) ، - و ( كلمة السواء ) ، - وأنها : ( كلمة النجاة ) ، - وأنها : ( العهد ) ، - و ( كلمة الاستقامة ) ، - و ( مقاليد السموات والأرض ) ، - و ( القول السديد ) ،  
- و ( البر ) ، - و ( الدين الخالص ) ، - و ( الصراط المستقيم ) ،  
- و ( كلمة الحق ) ، - و ( العروة الوثقى ) ، - و ( كلمة الصدق ) (٢) .

---

(١) السابق ص ٣٣ .

(٢) الفخر الرازي : شرح أسماء الله الحسنى ص ١٤٣ - ١٥٤ ويشرح الرازي أن لتسمية الشهادة بكلمة التوحيد ثمرتين ( أ ) أن جوهر الانسان خلق في الأصل مشرفا مكرما ( ولقد كرمنا بني آدم ) ومن كرامته أن يكون طاهرا ، والمشرك نجس ( انما المشركون نجس ) . فالتوحيد يزيل نجاسة الشرك ، فيصير طيبا طاهرا ، فيصير من خواص الله ... (ب) أن الشرك سبب لخراب العالم لقوله تعالى ( تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنفق الأرض ، وتخر الجبال هدا ) . وإذا كان ذلك كذلك : وجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة العالم . فبالأولى أن يكون سببا لعمارة القلب الذي هو محل لمعرفة التوحيد ... الخ . ويستمر في شرح كافة الأسماء بهذه الطريقة الجميلة المؤثرة ، بعيدا عما ألفناه فيه من أساليب المتكلمين قليلة الغناء

خامسا :

مقارنة بين منهج القرآن الكريم في عرض قضايا الايمان والدعوة اليها ، ومناهج المتكلمين :

١ - لا يخاطب القرآن عقل الانسان فحسب بالدليل العقلي المجرد ؛ لكنه يخاطب الكينونة الانسانية كلها . . يخاطب كل القوى الواعية المدركة في الانسان . . وهو لا يقنع العقل فحسب ، لكنه يملأ الحس ، والشعور ، والضمير ، والوجدان ، والقلب . .

يقدم الدليل تلو الدليل - للانسان - في أسلوب حي جذاب . . يستخدم الاثارة الوجدانية تارة ، وتحريك العاطفة تارة أخرى ، وهز مشاعر الرجاء والخوف ، ويوجه النظر ، ويحث الفكر ، ويستجيش الانسان على التدبر والتعقل والتبصر في المحس المشاهد من آيات الله الكونية .

يقول تعالى في سورة الواقعة :

﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرعيتم ما تمنون ، ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرعيتم ما تحرثون ، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، انا لمغرمون ، بل نحن محرومون ، أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، أفرأيتم النار التي تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (١) .

=

والتأثير والاقناع . وانظر كذلك لابن رجب ( كلمة الاخلاص ) فصل ( فضائل لا اله الا الله ) ص ٥٢ ، وانظر للامام بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ هـ كتاب ( معنى لا اله الا الله ) بتحقيق على محيي الدين القره داغي ، نشر دار الاصلاح ، ١٩٨٢ م .

(١) الواقعة الآية ٥٧ - ٧٤ .

( م ١٣ - الايمان )

هذا الأسلوب المنطقي يتصف بالحيوية ، لما فيه من الأسئلة الموجهة الى المخاطب ، والاجابة عنها ، الى أن يصل الى النتيجة المطلوبة التي بدأ بها لايراد الدليل عليها ، مع تعدد الأمثلة المأخوذة من حياة الانسان وما يحيط به .

وهكذا فان الأسلوب المنطقي الذي نراه جافا مجردا عن المتكلمين والفلاسفة ، يمتزج في القرآن الكريم بالأسلوب العاطفي الحي ، دون أن يدخل الضيم على قوة أدلته وصحة براهينه .

فالقرآن يخاطب الانسان ، ويثيرة عن طريق منافع ومصالحه وحاجاته وملذاته ، وعن طريق قضايا ومشكلاته ، ليحرك تطلعه وقلقه الى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد ، ويجعله بذلك متهيئا للتفكير في الله ومستعدا لقبول نتائج المنطق المنسجم مع منفعتة (١) .

أما أدلة المتكلمين : فهي علاوة على تعقدها ، وغموضها ، وصعوبة مسالكها ، وحشوها بالمصطلحات غير القرآنية ، فانه يلحقها الوهاء والضعف من ناحية : أن مقدماتها التي انطلقوا منها غير مسلمة لهم وهي موضع شك ، وجدل ، وبعضها باطل بالفعل !!

وكما أنها لا تصلح للعامة ، فان عقول العلماء والخاصة ، تنفر منها وتعافها وتتجاوزها . ولقد أحسن الامام الغزالي في تصوير الفرق الشاسع والبون الواسع بين الدليل القرآني والدليل الكلامي ، فقال :

« ... فائدة القرآن مثل الغذاء الذي ينتفع به كل انسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء لا ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الأطفال أصلا » (٢) .

---

(١) قارن : الأستاذ محمد المبارك : العقيدة في القرآن الكريم ص ٣٥ .

(٢) الغزالي : الجام العوام ، ضمن مجموع رسائله : « القصص العوالي » ، طبعة الجندی بالقاهرة بدون تاريخ .

كما أن تسرب « فكرة الدور » الى المدارس الكلامية المختلفة ، كالمعتزلة ومتأخري الأشاعرة خصوصا عند الآمدي والفخر الرازي - الذين بلغوا بها أقصى مداها ، قد أثر على حجية الدليل النقلى فى كافة المسائل الاعتقادية ، وزلزلت التوازن المنهجى بين النقل والعقل فى إطار علم الكلام (١) .

وكذلك فإن اعتداد بعض المتكلمين بفكرة ( المعارض العقلى المحتمل ) قد جعل الأدلة النقلية أدلة ظنية ، مما دفع ابن تيمية لأن يعتبر هذه الفكرة الأخيرة صدا عن سبيل الله تعالى ، ويؤلف فى نقضها كتابه الموسوعى : « درء تعارض العقل والنقل » (٢) .

وان منهج المتكلمين فى الاستدلال - على العقائد - قد وجد معارضة قوية من بعض المفكرين المسلمين ، كما أنه قد جابه رفضا قاطعا من مفكرين آخرين ، أمثال : الامام مالك والامام أحمد بن حنبل والغزالى وابن رشد الحفيد ، وابن تيمية وابن الوزير اليمانى وغيرهم .

والواقع أن علماء الكلام - مع اعترافنا بجهودهم الضخمة واخلاص الكثيرين منهم لقضية الدفاع عن العقيدة - قد وقعوا فى أخطاء أساسية : فى المنطق والمنهج والغاية عند البعض ، وان نقاط القوة فى علم الكلام - فى نظرنا - يمكن تلمسها فى وقوفهم الصلب ضد التحديات الخارجية للإسلام ، والمتمثلة فى الثنويه وفى تحريفات اليهود والنصارى . وما يؤسف له أن جهود بعض علماء العقيدة المعاصرين متأثرة بمنهج علماء الكلام السابقين ، ولم يخرج كثير منهم عن الأطر المرسومة ، والتعابير المعهودة ، والقضايا والمسائل المبحوثة .

---

(١) انظر للدكتور حسن الشافعى : من قضايا المنهج فى علم الكلام ص ٥٤ من سلسلة دراسات عربية وإسلامية . العدد الأول القاهرة ١٤٠٤ هـ .  
(٢) حققه الدكتور محمد رشاد سالم ، ونشرته جامعة الامام محمد بن سعود فى أحد عشر جزءا .

ولقد نبه ابن رشد (١) وابن تيمية والشاطبي وابن القيم - من قبل - على خطورة هذا الاتجاه ، كما أن أئمة الدين من أمثال مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد قد كرهوه وبدعوا أصحابه .

وعلم الكلام يستند الى صناعة المنطق ، ولم نر المنطق المجرد الجاف ، باقيسته وقضاياه الكلية والجزئية والموجبة والسالبة ، كان - في يوم من الأيام - طريقا لدخول الناس في عقيدة أو مذهب أو دين ، كما أنه قلما ينفذ الى النفوس ، فلا بد من وجود عناصر أخرى تعينه ، وتجعله مقبولا مستساغا (٢) .

### ( ب ) نقد المتكلمين في استدلالهم على وحدانية الله تعالى :

ذهب معظم المتكلمين الى أن التوحيد يشمل ثلاثة جوانب ، هي :

١ - توحيد الذات الالهية ، أى أنه - تعالى - واحد في ذاته لا قسيم له .

٢ - توحيد الصفات ، أى أنه - تعالى - لا شبيه له .

٣ - توحيد الأفعال ، أى أنه - تعالى - واحد في أفعال لا شريك له .

وأشهر هذه الأنواع الثلاثة هو النوع الأخير المسمى عندهم ( توحيد الأفعال ) بمعنى أن خالق العالم واحد ، ويحتجون له بما يذكرونه من دليل التمانع وغيره . وأدلة المتكلمين على التوحيد مطلوبها : اثبات هذا النوع ، أى اثبات ( توحيد الأفعال ) .

ولئن نظرنا الى تقسيم التوحيد على أنه : ( توحيد الربوبية ) و ( توحيد الألوهية ) و ( توحيد الأسماء والصفات ) ، عرفنا أن توحيد الربوبية ، هو ما أسماه المتكلمون بتوحيد الأفعال ، بمعنى أنه لا شريك فيها . وهو الذى كد المتكلمون عقولهم في تقريره والاستدلال عليه ، وظنوا -

---

(١) يراجع كتاب : مناهج الأدلة في عقائد الملة للقاضى أبى الوليد ابن رشد الحفيد ، صاحب بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، حققه وقدم له المرحوم الدكتور / محمود قاسم : الأنجلو بمصر .  
(٢) العقيدة في القرآن ص ٦ .

خطأ - أنه التوحيد الذى بعثت به الرسل ، وأنزلت من أجله الكتب ، وأنه الذى يتعلق به حد التوحيد والشرك ، وخططوا فى ذلك بين معنى الربوبية ومعنى الألوهية ، فجعلوا معنى الألوهية : القدرة على الاختراع والخلق ، واعتقدوا ن الاله هو القادر على الاختراع ، وجعلوا هذا أخص صفات الاله .

ومما ينبغى أن يشار اليه هنا أن المتكلمين - كما أخطأوا فى معرفة حقيقة التوحيد - أخطأوا كذلك فى الطرق التى سلكوها فى تقرير هذا التوحيد . ولم يقدرُوا أدلة القرآن قدرها . ولما ظنوا أن مجرد الاعتقاد فى توحيد الربوبية كاف فى حقيقة التوحيد ، أخذوا يستدلون على ذلك بأدلة لا ترقى الى تقرير التوحيد كما جاءت به الرسل ، وكما أراده الله من عباده ، وحملوا الآية : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) ، على أن هذا دليل التمانع وأخذوا يستدلون به على اثبات التوحيد .

ويرى ابن تيمية - موافقا فى ذلك ابن رشد - أن الآية ليست مشتملة على دليل التمانع ، لأن التمانع الذى يتحدثون عنه هو : امتناع صدور العالم عن ربين خالقين له . فظنوا - خطأ - أن الآية الكريمة مسوقة لنفى هذا النوع من الشركة ، الشركة فى الخالقية أو الربوبية ، وصار كل منهم يذكر فى ذلك طريقا غير طريق صاحبه . والآية ليست مسوقة لنفى التعدد فى الربوبية لأن هذا لم يذهب اليه أهل الشرك ، بل هى مسوقة لنفى التعدد فى الألوهية ، ونفى أن يكون هناك من يستحق العبادة من دون الله . لأن توحيد الربوبية كان معترفا به من جميعهم ، فليسوا فى حاجة الى تقريره ، وانما هم فى حاجة الى بيان أن من أقروا بربوبيته وحده ، يجب أن يعبد وحده .

ومقصود القرآن هو توحيد الألوهية ، وهو متضمن - ضرورة - لتوحيد الربوبية من غير عكس ، ولهذا قالت الآية : « لو كان فيهما آلهة

الا الله لفسدتا » . ولم تقل : لو كان فيهما الهان ، لأن الفرض المقدر هو  
الهة كثيرة تعبد مع الله كما كان واقع المشركين ( ١ ) .

ويستدل ( ابن تيمية ) على نفى التعدد في الألوهية - الذي هو  
مقصود القرآن ومناط التوحيد والكفر - بقوله تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما  
خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » . . . . . نفت الآية أن يكون لله ( ولد )  
وبهذا نفت تأليه الوسائط بين الله وعباده . كما نفت أن تكون هناك آلهة  
أخرى تستحق العبادة على سبيل الشركة معه ، لأنه لو كان هناك من  
يستحق العبادة معه فلا يخلو الأمر من أحد احتمالين ، هما :

١ - ( أن يذهب كل اله بما خلق ) على فرض أن يكون كل اله قادرا ،  
وهذا منتف واقعا ، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم .

٢ - أن يكون أحدهم قادرا دون الآخرين ، وهنا يصدق الفرض الثانى  
في الآية ( ولعلا بعضهم على بعض ) . ومعلوم أن ذلك لم يقع ، فدل على  
امتناع أن يكون هناك اله قادر ، وآخر ، أو آخرون عاجزون .

ولو فرض وقوع ذلك ، لكان القادر هو الاله ، دون بقيتهم ، وعندئذ  
يستحق وحده العبادة . . وهذا لعمرى دليل شرعى وعقلى فى آن واحد ،  
يفى بالمطلوب ، ويحقق المقصود ، يقنع العقل ، ويملا القلب معا . . وهذا  
شان البراهين القرآنية كلها .

---

( ١ ) انظر المراجع التالية : ( الرسالة التدمرية ) لابن تيمية ،  
( شرح العقيدة الواسطية ) له ( وشرح العقيدة الطحاوية ) ، ( ودرء  
تعارض العقل والنقل ) ، ( والفتاوى ) ، ( والكشف عن مناهج الأدلة  
فى عقائد الملة ) لابن رشد .

وانظر المقدمة الممتازة التى كتبها الدكتور محمد الجليند لكتاب  
( التوحيد ) لابن تيمية ص ٥٧ - ٦٠ ( بتصرف ) وراجع ( مذكرات )  
الدكتور مذكور ص ٣١ .



## سادسا : تصور الديانتين اليهودية والنصرانية للتوحيد :

لا أود الاطالة في بحث هذه المسألة ، لأنى قد تناولتها بشيء من البسط ،  
فى دراساتى المتعلقة بمقارنة الأديان ، وسأكتفى بالإشارة الى أهم عناصرها  
مع الاحالة الى بعض المصادر والمراجع .

### ١ - التوحيد فى الديانة اليهودية :

الديانة اليهودية فى الأصل ديانة ( توحيد ) ، لكن بنى اسرائيل الذين  
بعث الله فيهم موسى عليه السلام مغرمون بعبادة العجل والوثن .. ويذكر  
القرآن الكريم واقعة عبادتهم العجل من دون الله رغم وجود رسولين كريمين  
بين أظهرهم ( موسى وهارون عليهما السلام ) ، ورغم المعجزات الباهرة  
التي رأوها بأعينهم ، يقول الله تعالى :

« واذا واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم  
ظالمون » (١) ، « ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من  
بعده وأنتم ظالمون » (٢) ، « واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل  
بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين » (٣) .

ولم يقتصر أمرهم على عبادة عجل واحد ، لكن كتبهم التى يقدسونها  
تذكر أنهم عبدوا أوثان الأمم الأخرى من دون الله ، جاء فى سفر الملوك  
الأول ( ١١ : ٢٣ ) يخاطب ربهم سليمان بن داود ، عليهما السلام قائلا  
عن بنى اسرائيل :

« .. لأنهم تركونى ، وسجدوا لعشتروت الهة الصيدونيين ، ولكموش  
اله المؤابيين ، وللكوم اله بنى عمون ... الخ » .

---

(١) البقرة ٥١ .

(٢) البقرة ٩٢ - ٩٣ .

(٣) البقرة ٩٣ وانظر الآيات ١٥٣ من سورة النساء ، ١٥٨ من سورة  
الأعراف ، ٨٥ - ٩١ من سورة طه .. وآيات كثيرة .

وجاء في سفر الملوك الأول ( ١٧ : ٧ - ٢٣ ) :

« .. وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين ، وعملوا سوارى ، وسجدوا لجميع جند السماء ، وعبدوا البعل ، وعبروا بنبيهم وبناتهم في النار ، وعرفوا عرافة » وغير ذلك كثير جدا في كتبهم ( ١ ) .

هذه صورة للانصراف الصريح جملة وتفصيلا عن الاله الواحد سبحانه الى الوثنية ممثلة في العجل ، وبعل ، وعشتروت ، وملكوم ، وكموش ، وغير ذلك .

أما الصورة الأخرى فتتمثل في تصورهم للاله الواحد سبحانه ، تصورا وثنيا خالصا ، فآلههم اله قبلى خاص بهم وخدمهم في مقابل آلهة الأمم والقبائل الأخرى الوثنية .

وهو لا يختلف عن الانسان في صفاته ، وأفعاله ، وطموحاته ، وتطلعاته ، وقصوره ونقصه ، فهو اله ينام ويرقد ، ويصارع بعض عباده ويهزم منهم ، ويندم ويتحسر لأنه لم يكن يعرف ما سيكون عليه الانسان ، وعندما يفاجأ بسلوك البشر يندم ويتحسر ، وهو يشم رائحة الشواء فيتلذذ له ، .. وهو يخاف من شعبه ، وعينه ترمد ، ويراه بنو اسرائيل بأعينهم كما يرون أنفسهم .. الخ .

ويعلق متى ( انجيل متى ١٣ : ١٥ ) واصفا لسلوكهم الرديء قائلا :  
« .. قد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السمع » ويعلق الحبر السموال - وهو خبير بهم - قائلا : « لهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال ما تنأى عن مثله العقول ، ويخالفه المشروع والمعقول ! » ويذكر : « .. ويطول الكتاب ، اذا عددنا ما عندهم من كفریات التجسيم ، على أن أحبارهم قد

---

(١) راجع كتاب الحبر اليهودى الذى أسلم ( السموال المغربى ٥٧٠ هـ ) المسمى ( افحام اليهود ) بتحقيقنا ، نشرة دار الهداية ١٩٨٦ م ، للتوسع راجع كتابنا : ( فى مقارنة الأديان ) نشر دار الهداية بالقاهرة .

تهذبوا كثيرا عن معتقد آبائهم ، بما استفادوه من توحيد المسلمين « (١) .  
وخلاصة المسألة : أن تصور الديانة اليهودية الحالية للتوحيد . تصور وثني  
أصوله في عقائد الأمم الوثنية الكافرة مثل قدماء المصريين ، واليونان ،  
والرومان ، والهنود ، والبابليين وغيرهم .

## ٢ - التوحيد في الديانة النصرانية :

بعث الله عيسى عليه السلام ، في بنى اسرائيل ليجدد لهم الدين  
ويدعوهم الى توحيد الله تعالى ، فصموا آذانهم وعموا . . ، وبعد رفع عيسى  
عليه السلام ، انحرفوا بديانتهم الى الوثنية انحرافا كاملا ، خصوصا بعد  
دخول بولس ثم الامبراطور الوثني الروماني قسطنطين في الديانة  
النصرانية (٢) ، وبعد مجمع ( نيقية المسكونى الاول ) سنة ٣٢٥ م .  
وغيرت عقائد الديانة النصرانية التي بعث بها عيسى عليه السلام ،  
الى عقائد وثنية :

فقالوا بالتجسد والحلول : أى تجسد الله أو ابن الله في عيسى .  
وقالوا بالتثليث : أى أن الله ثلاثة ( الأب ، والابن ، وروح القدس . .  
والثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ) .

---

(١) ( افحام اليهود ) ، للتوسع راجع الكتب التالية : ( رسالة في  
اللاهوت والسياسة ) لباروخ سبينوزا ، ترجمة د . حسن حنفى ، و ( الفصل  
في الملل والأهواء والنحل ) لابن حزم . ولنا : ( في مقارنة الأديان ) ،  
و ( الفلكلور في العهد القديم ) لجيمس فريزر ،

Alistar kee : Constantine Versus Christ., SCM. 1982.

واقرا الفصل الذى كتبه ( J.M.Robertson ) بعنوان :  
( The God of the Jews ) فى كتابه ( Pagans Christs )

، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، للدكتور عبد المنعم الحفنى .  
(٢) انظر : ول ديورانت ، قيصر المسيح ، ترجمة محمد بدران ،  
نشر جامعة الدول العربية ( قصة الحضارة ١١ ) . وانظر :

- Alistar Kee : Constantine Versus Christ. SCM. 1982.

وانظر الفصل الذى كتبه ( Robin Lane Fox ) بعنوان :  
( Constantine and the Church ) فى كتابه : ( Pagans and Christians )

وقالوا بالصلب : أى صلب ابن الاله ، ودفنه فى قبر ، ومكثه فيه  
ثلاثة أيام ، ثم بعثه وقيامته من القبر .

وقالوا ان ابن الاله صلب فداء وكفارة عن خطيئة الانسان الأزلية  
الأصلية .

وقالوا غير ذلك من مبادئ عقدية استمدوها بشكل مباشر من عقائد  
الأمم الوثنية الكافرة السابقة عليهم مثل : قدماء المصريين ، واليونان ،  
والرومان ، والهنود ... الخ .. ويحدد القرآن الكريم مصدر عقائدهم فى  
آية كريمة جامعة :

« ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (١) .  
وقد نهاهم الله عن وثنياتهم قائلًا :

« ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما هو اله واحد » (٢) .

والأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية ، لم تعد فرضا علميا  
أو تخمينيا أو استنتاجيا ، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية ، واكتشاف الوثائق ،  
وقراءة المخطوطات والنقوش ، قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد  
النصرانية ان هى - فى حقيقة الأمر وواقع الحال - الا خرافات وأساطير  
عرفتها الأمم الوثنية القديمة ، وسجلتها فى آثارها ، ثم استمدتها النصرانية  
منها ، ونقلتها نقلا حرفيا .

وقد أفاض العلماء الغربيون فى البرهنة على ذلك ، اعتمادا على  
الموازنة العلمية بين ما عليه هذه الديانة النصرانية ، وما عرف من أساطير  
دينية وخرافات وثنية عند الأمم القديمة .

وقد وضع أساتذة اللاهوت وعلماء الحفريات مئات ، بل عشرات  
المئات من الكتب والدراسات التى تثبت هذه الحقيقة الناصعة ، وهى :

---

(١) سورة التوبة ٣٠ .

(٢) سورة النساء ١٧١ .

وثنية العقائد النصرانية (١) ٠٠ ومع الوثنية لا يستساغ بل لا يصح الحديث  
عن التوحيد !!

---

(١) انظر نماذج كثيرة جدا لهذه الكتب ، ونقولا منها في مقدمتنا  
وتعليقنا على كتاب الطاهر البيروتى : ( العقائد الوثنية في الديانة النصرانية )  
نشر دار الصحوة بالقاهرة .

وانظر على سبيل المثال :

- Dean Spence : Early Christianity and Paganism, Hoo Vine.
- Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London, First Published in 1921.
- J.M. Robertson : Pagans Christs, University Books, N.y, 1967.
- Roben Lane Fox : Pagans and Christians, Viking, 1986.

وانظر ما كتبه الجاحظ في ( المختار في الرد على النصارى ) بتحقيقنا ،  
وما كتبه ابن حزم في ( الفصل ) والباقلانى في ( التمهيد ) والجوينى في  
( شفاء العليل ) والغزالى في ( الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل )  
بتحقيقنا ، و ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) لابن تيمية ،  
والاجوبة الفاخرة للقرافى ، و ( النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية )  
بتحقيقنا ، و ( تحفة الأريب ) للترجمان ، وراجع ( اظهر الحق )  
لرحمة الله الهندى .

- The myth of God Incarnate, Edited By John Hick, SCM.



**الأصل الثاني**

**الإيمان بالملائكة**





### الأصل الثانى : الايمان بالملائكة

الركن الثانى من أركان الايمان : أن يعتقد المؤمن اعتقادا جازما أن الله تعالى خلقا نورانيا روحانيا أسماهم : الملائكة . . . ويؤمن بما ذكره الله ورسوله عنهم ، فلا يزيد عليه ولا ينقص منه . والايمان بالملائكة مترتب على الايمان بالله تعالى ، لأن من مقتضيات الايمان به عز وجل ، الايمان بكل ما طلب اليينا أن نؤمن به ، بالكيفية التى أخبرنا بها سبحانه ، وعلى ذلك فالذى لا يؤمن بالملائكة لا يكون مؤمنا بالله تعالى ايمانا حقيقيا خالصا .

والدليل على وجوب الايمان بالملائكة من الكتاب والسنة ، قال تعالى :  
« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله » (١) .  
« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضللا بعيدا » (٢) .

وفى السنة أحاديث كثيرة تتحدث عن ملائكة الله ، وقد ذكر الامام البخارى فى صحيحه أكثر من ثلاثين حديثا عن الملائكة . منها حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ) (٣) .

فوجود الملائكة ثابت مقرر بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والايمان بهم يشكل الركن الثانى من أركان الايمان ، وعدم الاعتقاد بوجودهم على الصورة التى أخبر الله بها ورسوله ، كفر بالله تعالى .

والملائكة كثيرون لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وهنالك أحاديث

---

(١) البقرة ٢٨٥ .

(٢) النساء ١٣٦ .

(٣) متفق عليه . واللفظ لمسلم .

يستفاد منها ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « أطبت السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد » (١) ، وفي حديث المعراج قال صلى الله عليه وسلم : « فرفع لى البيت المعمور ، فسالت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك » (٢) .

وكذلك الملائكة الذين يحفظون البشر ، ويسجلون عليهم أعمالهم ، وغيرهم كثير .

ويجب علينا الايمان بالملائكة على الاجمال ، وبمن ذكرت أسماؤهم فى القرآن والسنة على التفصيل ، ومن هؤلاء رؤساؤهم الثلاثة : جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل .

وجبريل هو الملك الموكل بالوحي الذى به حياة القلوب والأرواح ، ويسمى الروح الأمين وروح القدس ، وقد ورد ذكر اسمه فى القرآن مقرونا باطيب الثناء من الله تعالى ، عليه :

« قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه ، وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » (٣) .

وقال تعالى :

« فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين » (٤) . وقال : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى » (٥) . وقال بعض العلماء ان ميكال أو ميكائيل هو الملك الموكل بالمطر الذى

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبخارى .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٣) البقرة ٩٧ - ٩٨ .

(٤) سورة التكوير ١٥ - ٢١ .

(٥) النجم ٦٥ .

به حياة الأحياء على الأرض ، وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور الذى  
به حياة الخلق بعد مماتهم .

وقد ورد ذكر ( مالك ) خازن النار في القرآن الكريم ، قال تعالى :  
« ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك » ( ١ ) .

وجملة القول أن الملائكة الذين ذكرت أسماءهم في القرآن أو السنة  
يجب أن نؤمن بهم وبوظائفهم وأعمالهم التى ذكرت ووصفت لهم . وأولئك  
الذين لم يذكروا بأسمائهم ، علينا أن نؤمن بهم اجمالاً ، ونؤمن بأصنافهم  
وأعمالهم كما وصفت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين ، قال عز وجل :  
« وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » ( ٢ ) .  
« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ( ٣ ) .  
« أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم  
يكتبون » ( ٤ ) .

« ولقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما تنسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه  
من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ  
من قول الا لديه رقيب عتيد » ( ٥ ) .

- ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض الأرواح ، قال تعالى :  
« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم الى ربكم ترجعون » ( ٦ )

- 
- ( ١ ) الزخرف ٧٧ .  
( ٢ ) الانفطار ١٠ - ١٢ .  
( ٣ ) الرعد ١١ .  
( ٤ ) الزخرف ٨٠ .  
( ٥ ) سورة ق ١٧ - ١٨ .  
( ٦ ) السجدة ١١ .

ولم يصرح القرآن باسمه ، ولا الأحاديث الصحيحة ، وان كان قد جاء في بعض الآثار ان اسمه : ( عزرائيل ) .

- ونؤمن بحملة العرش ، قال تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ( ١ ) .

- ونؤمن بالملائكة الموكلين بالجنة واستقبال المؤمنين فيها .

- ونؤمن بخزنة جهنم ، وبكل نوع ووظيفته كما وصفت لنا في القرآن أو السنة . وعن ملائكة الجنة قال تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ( ١ ) ، وعن ملائكة النار يقول تعالى : « عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا » ( ٣ ) .

والملائكة قد خلقهم الله من نور كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ( ٤ ) فهم أجسام نورانية روحانية على معنى أنهم أرواح لا شيء معها من ماء أو نار أو تراب ، وانما لا يرون للطافتهم ( ٥ ) ، وليس لهم جسم مادي حتى تدركهم الحواس الانسانية ، ومن ثم فانهم لا يشبهون البشر ، فهم لا ينامون ، ولا يأكلون ، ولا يفترون ، ولا يتناسلون ، مطهرون من الشهوات الحيوانية ، ومنزهون عن الآثام والخطايا ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها أبناء آدم . وهم مفطورون على الخير ، لا يعرفون الشر ، ولا يأتونه ، ولا يأمرهم به .

---

( ١ ) الحاقة ١٧ .

( ٢ ) الرعد ٢٣ - ٢٤ .

( ٣ ) المدثر ٣٠ - ٣٢ .

( ٤ ) رواه مسلم .

( ٥ ) الحلیمی : المنهاج ج ١ ص ٣٠٨ ، وانظر للدكتور محمد نعيم ياسين : ( الايمان ) ص ٤١ - ٥٨ ، وانظر لابن القيم : ( اغاثة اللفهان )

ومع ذلك فقد منحهم الله تعالى القدرة على التشكل في صورة بشرية وقد ذكر الله أن الملك الذي جاء مريم عليها السلام تمثل لها في صورة بشرية ، قال تعالى :

« .. فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » (١) .

وكذلك ما جاء في الحديث الصحيح من أن جبريل قد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر (٢) . ونؤمن أن الله خلقهم قبل البشر ، قال تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » (٣) .

- كما ذكر القرآن أن لهم أجنحة :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء » (٤) .

وعن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح » (٥) .

نؤمن بكل ذلك على الاجمال أما حقيقة الملائكة وكيف خلقهم الله ، وتفصيلات أحوالهم ، فقد استأثر الله سبحانه بها ، وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الاسلامية ، التي أظهرت من حقائق الغيب ، وعرفت به في حدود ما يحتاج اليه البشر ، ويصلح أحوالهم ، في المعاش والمعاد ،

=

من مصائد الشيطان ( ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٦ ، وانظر شرح الطحاوية ص ٢٧٣ وما بعدها ، وانظر لأبى بكر الجزائري ( عقيدة المؤمن ) ص ١٨٦ وما بعدها ، وللدكتور عمر سليمان الأشقر كتاب ( عالم الملائكة ) طبعة ١٩٧٩ م وانظر كتاب أصول الايمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة المعارف بالرياض ، وانظر شرح الفقه الأكبر لعلى القارى ، وغير ذلك .

(١) مريم ١٧ .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود وابن ماجه والترمذى وابن حنبل .

(٣) البقرة ٣٠ .

(٤) فاطر ١ .

(٥) متفق عليه .

وما تطيقه عقولهم ، فلم يطلعنا الله جل وعلا على جميع المغيبات ، سواء منها ما تعلق بجلاله وصفاته ، وأسمائه ، وما تعلق بحقيقة مخلوقاته الغيبية .

والمؤمن الصادق يقر بكل ما اخبر به الخالق ، مجملا أو مفصلا . ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ، ولا يخوض فيه ( ١ ) .

والملائكة ( عباد ) لله مكرمون ، فهم ليسوا ذرية له سبحانه وتعالى . وليسوا بنات له كما زعم المشركون ، وعلاقتهم بالله علاقة الخوف والخشية والخضوع والامتثال الكامل ، وهذه سمات العبودية الخالصة التامة لله رب العالمين . فالملائكة خلق من خلق الله ، طاعتهم له تامة ، وعبوديتهم له سبحانه مطلقة ، وليس لهم من الأمر شيء ، وليس لهم من الألوهية شبهة أو شركة ، حتى الشفاعة لا تقع منهم الا باذن الله تعالى .

- ونؤمن بالملك الموكل بالرحم لحديث البخارى ومسلم ، ( واللفظ المسلم ) : « ان الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا ، فيقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة ، فاذا أراد الله أن يقضى خلقا قال : الملك أى رب ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه » .

ويلخص شارح العقيدة الطحاوية موضوع الملائكة ، فيقول :

« وأما الملائكة ، فهم الموكلون بالسموات والأرض ، فكل حركة فى العالم فهى ناشئة عن الملائكة ( باذن الله وتكليفه لهم ) » كما قال تعالى : « فالمدبرات أمرا » ( ٢ ) ، « فالمقسمات أمرا » ( ٣ ) ، وهم الملائكة عند أهل الايمان وأتباع الرسل ...

« وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف

---

( ١ ) الايمان ٤٢ .

( ٢ ) سورة النازعات ٥ .

( ٣ ) الذاريات ٤ .

المخلوقات . . . ، وأنه سبحانه وكل بالجمال ملائكة ، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمل ، وإحصائه وكتابته ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة ، ووكل بالآفلاك ملائكة يحركونها ، ووكل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ، ووكل بالجنة وعمارتها ، وغرسها ، وعمل آلاتها ملائكة .

فالملائكة أعظم جنود الله ، فمنهم :

« والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا » ( ١ ) .

ومنهم :

« والنازعات غرقا ، والنشاطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا » ( ٢ ) .

« والصفافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا » ( ٣ ) .

ومعنى التانيث فى ذلك كله : الفرق ، والطوائف والجماعات ، التى مفردتها : ( فرقة . ) ، و ( طائفة ) ، و ( جماعة ) .

« ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس ، الى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها الا الله » .

ولفظ ( الملك ) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله ، فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره :

« لا يسبقونه بالأمر ، وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما

خلفهم ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ( ٤ ) .

---

( ١ ) المرسلات ١ - ٤ .

( ٢ ) النازعات ١ - ٤ .

( ٣ ) الصفافات ١ - ٣ .

( ٤ ) سورة الانبياء ٢٧ - ٢٨ .

« يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .

فهم عباد مكرمون ، منهم الصافون ، ومنهم المسبحون ، ليس منهم  
الا له مقام معلوم ، ولا يتخطاه ، وهو على عمل قد أمر به ، لا يقصر  
عنه ، ولا يتعداه ، وأعلامهم الذين عنده « لا يستكبرون عن عبادته  
ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٢) .

فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عبادته ، ينزلون  
الأمر من عنده في أقطار العالم ، يصعدون إليه بالأمر ، قد أظنت السموات  
بهم ، وحق لها أن تثبط .

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ، ومراتبهم ، فتارة يقرن الله  
تعالى اسمه باسمهم ، وصلاته بصلاتهم ، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف .  
وتارة يذكر حفهم بالعرش ، وحملهم له ومراتبهم من الدنو والقرب . وتارة  
يصفهم بالاكرام والكرم ، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والاخلاص ،  
قال تعالى :

« كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » (٣) .

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم » (٤) .

« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » (٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به

ويستغفرون للذين آمنوا » (٦) .

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » (٧) .

« بل عباد مكرمون » (٨) .

« ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ، وله

يسجدون » (٩) .

- (٦) غافر ٧
- (٧) الزمر ٧٥
- (٨) الانبياء ٢٦
- (٩) الاعراف ٢٠٦

- (١) النحل ٥
- (٢) الانبياء ١٩ - ٢٠
- (٣) البقرة ٢٨٥
- (٤) آل عمران ١٨
- (٥) الأحزاب ٤٣



« فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم  
لا يسامون » (١) .

• « كراما كاتبين » (٢) .

• « كرام بررة » (٣) .

• ( يشهده المقربون ) (٤) .

• « لا يسمعون الى الملائكة الاعلى » (٥) .

« وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم ، فلهذا كان الايمان  
بالملائكة أحد أصول الايمان وأركانه » (٦) .

علماء الكلام لم يوفوا هذا الركن حقه :

ومما استوقفنى وأنا أبحث هذا الموضوع ، أنى وجدت : أن كتب علم  
الكلام والعقيدة تقصر القول فى موضوع الملائكة ، ولا توفيه حقه من البحث  
والدرس ، ولم ينج من هذا التقصير الا مؤلفون معدودون مذكورون (٧) ،  
ومع ان الايمان بالملائكة يشكل الأصل الثانى للاعتقاد أو الركن الثانى من  
أركان الايمان ، ومع أن الكتاب والسنة قد بسطا القول فى هذا الموضوع ، فان  
أكثر المؤلفين - فى حقل العقيدة والكلام - لم يعطوه استحقاقه ؛ بل انهم  
قد اختزلوا الكلام على هذا الأصل فى جزئية واحدة تناقلوها وكرروها  
واعادوها وهى :

هل الأنبياء أفضل من الملائكة ؟ وهل الملائكة معصومون من  
الأخطاء (٨) . وكان الأجدر بهم أن يسترشدوا بطريقة الكتاب والسنة فى  
عرض هذا الأصل الثانى من أصول الاعتقاد .

---

(٤) المطففين ٢١ .

(٥) الصافات .

(١) فصلت ٣٨ .

(٢) الانفطار ١١ .

(٣) عبس ١٦ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٧) مثل الحلیمی ، وابن تیمیة ، وابن القيم وغيرهم .

(٨) انظر : ( المواقف ) للعز ص ٣٦٦ - ٣٦٩ ، كتاب أصول

الدين لعبد القاهر البغدادى ص ١٦٦ .

ولعل الذى جر علماء الكلام لهذه المناقشة الوجيزة ، وهذا اللبس الخفيف لموضوع الملائكة - المتمثل فى محاولة الاجابة على هذا السؤال : « هل الملائكة افضل من الانبياء » ؟ - كلام الفلاسفة واستدلالتهم المفصل على رأيهم الذاهب الى تفضيل الملائكة على الرسل (١) .

اثر الايمان بالملائكة على الانسان :

للايمان بالملائكة اثر ايجابى على الانسان ؛ لانه من الايمان بالغيب الذى هو من من اوصاف المتقين ، قال عز وجل :

« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » (٢) .

ومن آثاره الطيبة انه يعصم المؤمنين من الوقوع فى الخرافات والاهام التى يقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الالهى .

ومن هذه الآثار الطيبة : ان هذا الايمان يدفع الى الاستقامة على منهج الله تعالى ؛ فان من يوقن بوجود ملائكة الرحمن من حوله ، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله ، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحيى من الله ومن جنوده ، فلا يخالفه ولا يعصيه ، لا فى العلانية ، ولا فى السر ، اذ كيف له ذلك وهو يعلم ان كل شئ محسوب ومكتوب ومشهود عليه .

ومن هذه الآثار : الصبر ، وعدم اليأس ، والشعور بالأنس والطمأنينة ؛ كل هذه المعانى - وغيرها - من ثمرات الايمان بالملائكة وما أخبرنا الوحي من أحوالها وأفعالها وملازماتها . . وهكذا فالايمن بالملائكة له أعمق الأثر فى نفس المؤمن وقلبه وعمله واستقامته ، فوجودهم نعمة من الله ، والايمان بهم نعمة أخرى (٣) . واقرأ ما كتبه الامام ابن القيم فى ذلك المعنى :

---

(١) انظر : المحصل للفخر الرازى ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وانظر : الصحائف الالهية ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) أول البقرة .

(٣) راجع كتاب الايمان ص ٥٧ - ٥٨ .

والملائكة الموكلة بالانسان - من حين كونه نطفة الى آخر أمره - لهم  
وله شأن آخر : فانهم موكلون بتخليقه ونقله من طور الى طور ، وتصويره ،  
وحفظه ، في أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، وأجله ،  
وشقاوته ، وسعادته ، وملازمته في جميع أحواله ، واحصاء أقواله وأفعاله ،  
وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره ،  
وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ ، وبعد البعث .

وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب ، وهم المثبتون للعبد المؤمن  
بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياؤه في  
الدنيا والآخرة ، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم اليه ، وينهونه عن  
الشر ، ويحذرونهم منه ، فهم أولياؤه وأنصاره ، وحفظته ومعلموه ،  
وناصحوه ، والداعون له ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه  
مادام في طاعة ربه ، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه  
بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم بعثه . وهم الذين يزهدونه  
في الدنيا ، ويرغبونه في الآخرة ، وهم الذين يذكرونه اذا نسي ، وينشطونه  
اذا كسل ، ويثبتونه اذا جزع . وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته ،  
فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عبادہ ، تنزل بالأمر  
من عنده في أقطار العالم وتصعد اليه بالأمر « (١) » .

---

(١) ابن قيم الجوزية : ( اغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ) ج ٢

ص ١٢٥ - ١٢٦ ، طبعة الحلبي بمصر ١٩٦١ م .



**الامل الثالث**

**الايمان بالكتب**



### الأصل الثالث : الايمان بالكتب

يشكل الايمان بالكتب الركن الثالث من أركان العقيدة ، ومعناه : أن يصدق المؤمن تصديقا جازما بما أوحى الله تعالى من كلامه الى من اصطفى من رسله ، وحفظ ، ودون في كتب قيمة وصحف مطهرة .

وما عرف من هذه الكتب على وجه الاجمال ، ينبغي الايمان به على وجه الاجمال كما جاء في قوله تعالى :

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق » (١) .

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٢) .

وما عرف من هذه الكتب تفصيلا ، يعنى بأسمائها وصفاتها ومضمونها يجب الايمان به على وجه التفصيل ، والمصدر في ذلك هو القرآن الكريم وحده كما سنذكر فيما بعد ، يقول تعالى ذاكرا من هذه الكتب التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، والزبور ، وصحب ابراهيم وموسى عليهما السلام :

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٣) .

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبوراً » (٤) .  
« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل » (٥) .

« ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » (٦) .

- 
- |                       |                      |
|-----------------------|----------------------|
| (١) سورة البقرة ٢١٣ . | (٤) الاسراء ٥٥ .     |
| (٢) الحديد ٢٥ .       | (٥) الحديد ٢٧ .      |
| (٣) المائدة ٤٣ - ٤٤ . | (٦) الأعلى ١٥ - ١٦ . |

وقد ورد في هذه الآيات الكريمة أسماء ثلاثة كتب الهية أنزلها الله على ثلاثة رسل كرام ، هذه الكتب هي : التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ، والزبور الذى أنزله الله على داود عليه السلام ، والانجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام . هذا الى جانب الصحف الالهية التى أنزلها الله تعالى على كل من ابراهيم وموسى عليهما السلام .

وقد ورد في آيات أخرى بعض ما جاء في هذه الكتب من أحكام وأخبار ، مثل قوله تعالى عن التوراة : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (١) .

ويشير القرآن الى أن التوراة والانجيل قد اشتملا على بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى وصف ما سيكون عليه أصحابه ، قال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » (٢) .

وقد نصت هذه الآية القرآنية على أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصف أصحابه في كل من التوراة والانجيل (٣) بنفس المعنى الذى حوته هذه الآية القرآنية الكريمة .

---

(١) سورة المائدة ٤٥ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

(٣) والحق أن شيئا كثيرا من مضمون هذه الآية الكريمة لا يزال مكتوبا في أسفارهم الحالية ، أمسك الله أيديهم عن تبديله وتغييره لحكمة عالية ؛ وليكون شاهدا عليهم . . ولقد تناول كثير من المهتدين الى دين الاسلام من علماء اليهود والنصارى دراسة هذه المسألة ، مسألة بشارات



كما جاءت اشارة قرآنية عن بعض مضمون الصحف التى انزلها الله على ابراهيم وموسى :

« قد افلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ، ان هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » ( ١ ) .

وقوله سبحانه :

« ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ، الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » ( ٢ ) .

=

اسفارهم التى يقدسونها ( العهد القديم والعهد الجديد ) بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووصفه ، ووصف أصحابه ، انظر فى هذا مقدمة تحقيقنا لكتاب ( نصر بن يحيى المتطبب - كان نصرانيا فاسلم ) بعنوان : ( النصيحة الایمانية فى فضيحة الملة النصرانية ) .

- وانظر كتاب المهتدى السموأل بن يحيى المغربى ( افحام اليهود ) بتحقيقنا أيضا .

- وانظر للمهتدى : على بن ربن الطبرى : ( الدين والدولة فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ) .

- وانظر كتاب المهتدى عبد الله الترجمان : ( تحفة الأريب فى الرد على اهل الصليب ) . وكتاب المهتدى المعاصر الأستاذ ابراهيم خليل أحمد ( فيلبس سابقا ) : ( محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل ) - وانظر كتاب المهتدى المعاصر البروفيسور عبد الأحد داود : ( محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس ) مترجم عن الانجليزية ، ومنشور فى الدوحة . وغير ذلك من مراجع .

كما أن علماءنا المسلمين الذين كتبوا فى اعلام النبوة ودلائلها قد بحثوا فى موضوع البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل وذكروا كثيرا منها .

انظر تعليقاتنا على كتابى : ( النصيحة الایمانية ) و ( افحام اليهود ) وهذا موضوع يحتاج الى دراسة .

( ١ ) آخر سورة الأعلى .

( ٢ ) سورة النجم ٣٦ - ٤١ .

فقد أشارت هذه الآيات القرآنية على أن في صحف كل من إبراهيم وموسى اخبارا بأن النفس المذنبة لا يحمل عنها ذنبها يوم القيامة غيرها ، وأن الانسان ليس له الا نتائج العمل الذي عمله ، وسعى فيه بنفسه ، كما أن سعى الانسان سوف يعرف به ، ويجزاه كاملا غير منقوص .

فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم بأسمائها ، وأسماء أصحابها الذين نزلت عليهم ، يؤمن بها المؤمن كما ذكرت مفصلة ، أما باقى الكتب التي لم يرد في القرآن أسماؤها أو أسماء من أنزلت عليهم من الرسل ، فيجب أن يؤمن بها العبد ايمانا مجملا بلا زيادة ولا نقصان ، ولا يؤمن ببعض هذه الكتب ويكفر ببعضها تعصبا وجهلا وضلالا ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة ، والانجيل المبدل ، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقي غضا طريا كما نزل ، والصافي المحض ، الذي لم يشب . فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق .

والمصدر الوحيد الذى يرجع اليه فى معرفة الكتب الالهية بالتفصيل الحق الثابت ، هو القرآن الكريم وحده . اذ هو الكتاب المحفوظ حفظا لا يتطرق اليه - معه - الزيادة ولا النقص ، ولا التحريف ولا التغيير أو التدبيل ، بحال من الأحوال ؛ لأنه من وقت نزول الآية منه ، أو الآيات ، أو السورة القصيرة أو الطويلة ، ورجال كثيرون آمناء بررة عدول أتقياء أنقياء أصفياء ، متوفرون على كتابته فى سطورهم ، وحفظه فى صدورهم ، بأشراف الرسول صلى الله عليه وسلم وأمين الوحي جبريل على السلام ( الذى كان يراجع القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر القرآن من كل عام ) . فما أن تم نزوله - فى خلال الثلاث والعشرين سنة - من عهد النبوة المحمدية . حتى كان قد فرغ مئات الرجال والنساء الأذكياء الأتقياء من حفظه على صحائف صدورهم وقلوبهم ، وعلى صحائف السطور فى نفس الوقت .

ولم يمض طويل زمن حتى أصبح الحفاظ المجيدون عشرات الآلاف من الرجال الأفاضل والنساء الفضليات ، واستمر محفوظا فى الصدور

وسجلا في السطور (١) ، ترعاه - حق الرعاية - دول ، وأمم ، وشعوب ، وحكومات ، تتوارث حفظه ورعايته الأجيال الطاهرة جيلا بعد جيل الى يوم الناس هذا ، حيث هيا الله وسائل حفظ جديدة فتح الله مغاليقها للناس ؛ من طباعة متقدمة ، وأشرطة مسجلة ، وخزانات ( الكمبيوتر ) الخ ، وسيبقى هذا الكتاب محفوظا يستحيل تغييره أو تبديله أو تحريفه الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وليس حفظ القرآن بهذه الصورة الدقيقة المعجزة راجعا الى عبقرية المسلمين أو العرب ؛ لكن الأمر يرجع الى أن الله قد تولى وتكفل بنفسه ، سبحانه ، حفظ هذا الكتاب ، وأخبر بذلك قائلًا :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) .

« وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (٣) .

دلالة القرآن على أنه كتاب الله تعالى وعلى الكتب الأخرى دلالة عقلية برهانية :

بعد أن آمن المؤمن بالركنين السابقين من أركان الإيمان والاعتقاد ، وهما : الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان بالملائكة - بعد أن آمن المؤمن بذلك فهو ليس بحاجة الى دليل عقلي أو حسي ليؤمن بالكتب الالهية ، ولكننا من منطلق الحرص على ألا يتلقى المؤمن عقائده بالوراثة والتقليد والتبعية ،

---

(١) للتوسع في هذه النقطة راجع : ( التسهيل في علوم التنزيل ) لابن جزى الكلبي ، و ( الاتقان في علوم القرآن ) للسيوطي ، و ( البرهان في علوم القرآن ) للزركشي ، وراجع كتب التفسير التالية : تفسير ابن عطية الأندلسي ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ، وابن جرير ، والقرطبي ، والبغوي ، والنسفي ، والشوكاني ، وابن كثير ، والظلال وغير ذلك ، كما يراجع كتاب ( تنزيه القرآن عن المطاعن ) للمقاضي عبد الجبار الأسد آبادي .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) فصلت ٤١ - ٤٢ .

( م ١٥ - الإيمان )

وحرصا على أن يؤسس المؤمن اعتقاده على اليقين الجازم المبني على الدليل والبرهان فانا نذكره - هنا - بأصل كل الأدلة ، وأم كل البراهين ، ليقوم اعتقاده بالكتب - عليهما ، كما أقام ويقيم كل معتقداته ؛ إذ هما الدليلان اللذان لا يسقطان ، والبرهانان اللذان لا يغلبان وهما : دليلا الأثر والخبر اللذان ثبت بهما كل غيب ، وآمن به عقلاء البشر .

- فمن دليل الأثر ، نكتفى بأثر واحد وهو القرآن الكريم ، الكتاب الذي دل وجوده دلالة قوية ، قطعية على وجود منزله ، وعلى علمه وحكمته ، وقدرته ، ورحمته ، ودل على نبوة من أنزل عليه ، وعلى رسالته ، وعلمه ، وحكمته ، وفضله ، وشرفه وكماله .

كما دل بالتالي على ذات نفسه ؛ بأنه كتاب الله ، ووحيه ، وتنزيله ، كما قرر نزول كتب الله السابقة عليه ؛ حيث ذكر صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وانجيل عيسى ، وصحف موسى عليهم السلام ، وذكر طرفا مما جاء فيها من أخبار وأحكام . كما قرر أن لله كتباً أخرى على الاجمال .

إن القرآن قد حوى معارف وعلوما وأخبارا وهداية وأسلوبا لم يأت للبشر : أفرادا وجماعات وأما وشعوبا أن يأتوا بمثله ، وقد تحدى القرآن بذلك - والتحدى لا يزال قائما - في قول الله تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعض لبعض ظهرا » (١) .

والقرآن ليس من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس من وضعه ونظمه ، فهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب ؛ وحكم العادة البشرية المسلمة ، جار على أن من لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس بين يدي معلم قط ، يستحيل في حقه أن يأتي بمثل هذا القرآن في علومه ، ومعارفه ، وشرائعه ، وآدابه ، وقصصه ، وأخباره وسبكه ونظمه ، يأتي بمثله من عند نفسه ، لا سيما وأن

المنزل عليه صلى الله عليه وسلم - قد قضى أربعين سنة من عمره المبارك ،  
لم يتكلم بوحى ، ولم ينطق بقرآن قط .

« اذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو ملقى عليه ، فانظر الى كلامه - صلى الله عليه - كيف يمتاز عن القرآن . وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم أن كلام الانسان يتشابه ، وما للنبي صلى الله عليه . كلمة تشاكل القرآن » (١) .

وخلاصة القول : أن دلالة القرآن على ما ذكر - من وجود الله تعالى ، وعلمه ، وحكمته ، وعلى نبوة محمد ورسالته وفضله ، وشرفه ، وعلى أن القرآن نفسه وحى الله ، وكتابه ، وأن الكتب التى سبقته هى كذلك كتب الله ، منزلة وموحى بها الى من نزلت عليهم من رسل الله - دلالة عقلية منطقية لا ترد بحال ، وبرهان عقلى لا يغلب بآخر (٢) . وبعد : فأى اثر من الآثار الدالة على غيرها دل دلالة القرآن الكريم على نفسه وعلى غيره من كتب الله تعالى ! ؟ .

ومن الأدلة القرآنية على وجوب الايمان بالكتب ، قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق » (٣) .

- 
- (١) هذا الكلام للمتكلم ابن عقيل ، نقل عنه ابن الجوزى فى كتابه ( الوفا بأحوال المصطفى ) ج ١ ص ٢٧٠ بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م . والواقع أن لكثير من المستشرقين مزاعم ودعاوى وأكاذيب خلاصتها : ( أن القرآن الكريم من تأليف محمد ) انظر بعضها فى كتاب ( مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية ) ج ١ ص ٢١ - ٥٧ .
- (٢) عن الشيخ أبى بكر الجزائري ( عقيدة المؤمن ) ص ٢٤٠ - ٢٤٢
- (٣) الزمر ٣٩ .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » (١) .

وقد أمر الله المؤمنين بأن يؤمنوا بالكتب الالهية ، فقال :

« يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا » (٢) .

وقال تعالى :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٣) .

منزلة القرآن بين الكتب الالهية السابقة عليه :

للقرآن الكريم منزلة رفيعة بين سائر الكتب التى أنزلها الله تعالى ؛ مثل التوراة والانجيل والزبور ، فالقرآن ناسخ لهذه الكتب لفظا وحكما ، فلا تقرا للتعبد ، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك ، لما دخلها من التحريف والتغيير ( كما سنبين ذلك ) ، ولأن شرائعها وأحكامها كانت لبنى اسرائيل خاصة ، ومن ثم فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات وملل ، بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٤) .  
ولأن القرآن خاتم الكتب ، لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات فلا نبوة ولا رسالة بعده .

والقرآن مهيمن على الكتب السابقة ورقيب وميزان ومقياس ، فما صححه منها وأقره فهو صحيح وما أبطله منها ونفاه ، بطل وانتفى . قال تعالى :

• (٣) البقرة ٢٨٥  
• (٤) النساء ١٠٥

• (١) النساء ١١٣  
• (٢) النساء ١٣٦

( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه « (١) أى أنه مصدق لأصله السماوى ، ومصدق بالحق الذى فيه فحسب (٢) ، ومبطل للباطل الذى أدخل عليه ، كما أن تشريعات القرآن وهدايته عامة للناس جميعا ، لعموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٣) ، وقوله : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٤) وقوله : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (٥) .

ومما يميز القرآن - الى جانب ما سبق - شموله لخلاصة التعاليم الالهية المتعلقة بأصول الهداية البشرية وفروعها ، واحتواؤه على المنهج الأكمل لسعادة الانسان فى الدنيا وفى الآخرة متى آمن به ، وعمل بما فيه قال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » (٦) .

---

#### (١) المائدة ٤٨ .

(٢) حاول بعض النصارى أن يلجوا عنق هذه الآية ويفهموا منها غير ما تعطيه من معنى للإيهام والتلبيس ، والاستدلال بها على أن القرآن يعترف بل يصدق التوراة الحالية والانجيل الحالى ، وقالوا فى ذلك كلاما طويلا منذ ( يوحنا الدمشقى ) وتلميذه ( تيودور أبو قره ) الى بولس راهب أنطاكية ، الى القسيس فنذر ، الى بعض المستشرقين ، الى المبشرين المعاصرين .. انظر فى تفنيد دعاواهم : ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) ابن تيمية نشرة المطبعة المدنية بمصر . و ( الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ) للامام أحمد بن ادریس القرافى و ( اظهر الحق ) لرحمة الله الهندى .

(٣) أول سورة الفرقان .

(٤) الأعراف ١٥٨ .

(٥) سبأ ٢٨ .

(٦) المائدة ١٥/١٦ .

ومن ميزات القرآن أن الله تعالى قد حفظه بنفسه سبحانه ، ولم يكل حفظه للناس كما وقع للكتب السابقة ، فبقى كتابا عزيزا ، محفوظا بحفظ الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبقي تنزيل العزيز الحميد ، فلم يبدل أو يحرف أو يغير .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

وعلى ذلك ، فالقرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية الى الرسول الذي أوحى اليه به ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته ، وطريقة ترتيبيه ، وكيفية تلاوته ، الى كل عصر جاء بعد عصر نزوله ، بالتواتر ، بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي نزله الله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم (٢) .

بيان القرآن عن بعض ما في القرآن الكريم من الهدى والخير والنور  
والبشارة والرحمة :

في القرآن الكريم ، للناس كافة ، ما يحقق لهم السعادة الحقة التامة  
الثابتة الخالدة ، اذ منه لهم :

١ - الهدى الموصول الى كل خير ، والمبلغ الى كل كمال يتطلع اليه  
المتقون :

« الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (٣) .

٢ - الرحمة بأتم معنى لها :

« الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمحسنين » (٤) .

---

(١) الحجر / ٩ .

(٢) انظر المراجع التالية : ( عقيدة المؤمن ) ص ٢٤٨ - ٢٥١ ،  
( الايمان ) ص ٨٦ ، ( مبادئ الاسلام ) للشيخ أبى الأعلى المودودى ،  
ص ٧٨ .

(٤) - أول سورة لقمان .

(٣) أول سورة البقرة .



٣ - الشفاء التام العام لجميع أمراض الناس النفسية ، والعقلية ، والقلبية ، والاجتماعية ؛ شفاء من الكفر والالحاد ، والشرك والشبهك ، والقلق ، والحيرة ، والخوف ، والكبر ، والحسد ، والبخل والشح . ، والظلم . . الى آخره ، قال منزله سبحانه عنه :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (١) .

٤ - البرهان والنور الكاشف لجميع الظلمات ، المبدد لسائر الشكوك والجهالات ، قال تعالى :

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا » (٢) .

٥ - الروح الذى تتوقف عليه حياة الانسان ؛ فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الانسانية الفاضلة الكريمة ، والناس من غير أن تسرى فيهم الروح القرآنية أموات حقا ، لا ينتفعون بوجودهم ، ولا بحياتهم المادية ، قال تعالى :

« وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا . ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (٣) .

٦ - الحق الالهى الثابت فى نفسه ، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق ، فكل حق يؤيده القرآن ، ويقرره ، قال تعالى :

« وبالحق أنزلناه وبحق نزل » (٤) « وانزلنا اليك الكتاب بالحق » (٥) أى : متلبسا به ، مشتملا عليه ، مؤيدا له ، ومقررا .

٧ - البيان والتبيان لكل شئ يحتاج الانسان اليه ، مما تتوقف عليه سعاده فى الأولى والآخرة :

---

(٤) الاسراء / ١٠٥ .

(٥) المائدة ٤٨ .

(١) الاسراء / ٨٢ .

(٢) النساء / ١٧٤ .

(٣) الشورى ٥٢ .

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى  
للمسلمين » (١) .

٨ - الخير العام لكل انسان ، وجان ، وحيوان ، فما من كائن في  
الوجود الا وناله من خير هذا القرآن ، من يوم نزوله الى يوم رفعه وقبضه :  
« وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً » (٢) .

٩ - البشرى بالسعادة في الدنيا والآخرة :

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى  
للمسلمين » (٣) .

١٠ - الموعظة الداعية الى اكتساب كل فضيلة ، والزاجرة عن كل  
رذيلة ، قال تعالى :

« يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » (٤) .

١١ - الذكر الالهي الذي تحيا عليه القلوب ، وتطيب بتلاوته الأرواح ،  
وتزكو بالعمل به النفوس (٥) ، والمجتمعات : قال تعالى :

« ص والقرآن ذى الذكر » (٦) ، « وانه لذكر ذلك ولقومك » (٧) .

---

(١) النحل / ٨٩ .

(٢) النحل / ٣٠ .

(٣) النحل / ٨٩ .

(٤) يونس / ٥٧ .

(٥) اهتم علماؤنا بدراسة القرآن عن نفسه ، وعن أسمائه ، وفضائله ،  
وما فيه من الهدى والخير والبشرى للناس وانظر ذلك في كتب التفسير ،  
وكتب علوم القرآن ، وقد أفدنا في ذلك من الشيخ أبى بكر الجزائري ،  
في ( عقيدة المؤمن ) ص ٢٥٢ وما بعدها .

(٦) أول سورة ص .

(٧) الزخرف / ٤٤ .

## تحريف التوراة والانجيل

(١) فلا بد اذن - حتى يكتمل ايمان المرء - من أن يؤمن ايماناً صادقاً بهذا الأصل الثابت من أصول الاعتقاد ؛ أى أن يؤمن بالكتب التى أنزلها الله على رسله ، وهى :

١ - التوراة التى أنزلها الله على موسى ٢ - الانجيل الذى أنزله الله على عيسى ، ٣ - الزبور الذى أنزله الله على داود ٤ - صحف ابراهيم وموسى . ٥ - القرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤمن أن هذا القرآن هو الكتاب الخاتم لهذه الكتب والمهيمن عليها كما ذكر ، وأن يؤمن - فى نفس الوقت - أن التوراة والانجيل قد حرفا وغيرا وبدلا . ومما يذكر هنا : أن الايمان بتحريف التوراة والانجيل جزء متمم لهذا الأصل الثالث من أصول الايمان .

لأن الله قد أخبرنا فى القرآن الحكيم أن بنى اسرائيل قد بدلوا وحرفوا كلام الله تعالى ، ولم يكونوا أمناء على الوحي ، وقال سبحانه :

« وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (١) .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا » (٢) « أفتظعمون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٣) .

وتدبر قول الحق سبحانه : ( من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) فانه تحريف متعمد مع سبق الاصرار . فالقرآن يخبرنا ان بنى اسرائيل قد حرفوا

---

(١) آل عمران / ٧٨ .

(٢) النساء / ٤٦ .

(٣) البقرة / ٧٥ .

كتبهم ، وبدلوها ، وغيروها ، وزيفوها ، وإيماننا يقتضينا أن نؤمن بذلك  
إيماننا قاطعا .

والواقع أن الدراسات المنهجية الغربية الحديثة التى وضعت التوراة  
الحالية على محك الامتحان والنقد والتمحيص والموازنة ، انتهت - هذه  
الدراسات - الى نتيجة يقينية جازمة مؤداها :

أن هذه الكتب التوراة والإنجيل أو باسمها الجديد : ( العهد القديم  
والعهد الجديد ) ليست وحيًا من عند الله تعالى ، وليست من وضع موسى  
وعيسى عليهما السلام ، وإنما هي من وضع البشر ؛ من وضع مؤلفين  
مجهولين . واجتهد العلماء الغربيون فى البحث عن المصادر التى استقى  
منها أولئك المؤلفون المجهولون مادة هذه الأسفار ، وبعد فحص وتدقيق  
وتمحيص وضعوا أيديهم على هذه المصادر ؛ وهى كتب الديانات الوثنية  
القديمة ، مثل مخطوطات المفكر المصرى القديم ( أمنوبى ) و ( اخناتون )  
وبقوانين ( حمورابى ) ويرى كثير من العلماء الغربيين أن مؤلفى ( أسفار  
العهد القديم ) قد نقلوا نقلا تاما من صحف المصريين القدماء ( ١ ) وغيرهم ،  
ووضعوها فى أسفارهم ، ولووا بها أسنتهم ، وقالوا : هى من عند الله ،  
وما هى من عند الله .

وقد وضع الباحث فى التراث الفلكلورى الأسطورى للشعوب ( جيمس  
فريزر ) يده على مصادر أخرى لما كتب فى التوراة ، وزعم أنه من عند

---

( ١ ) انظر للعلامة جيمس هنرى بريستد : كتابيه : ( فجر الضمير ) و  
( تاريخ مصر ) وانظر ما كتبه ( هوجر جرسمان ) عن د . أحمد فخرى  
فى ( مصر الفرعونية ) ص ٣٠٨ و ( هيوبرت جريم ) و ( أدولف ارمن )  
والعلامة ( زيته ) والاستاذ سليم حسن ، والدكتور عبد العزيز صالح ،  
وانظر الدكتور بدران محمد بدران : ( التوراة ) ص ١٧٨ - ٢٠٠ ، توزيع  
دار الأنصار بالقاهرة .

وانظر كتابنا : ( مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ) فصل ( الفكر المصرى  
القديم ) طبعة ١٩٨٧ م .

الله ، وهو في حقيقة أمره خرافات وأساطير للأمم القديمة ( ١ ) .

كما أن العلماء قد وضعوا أيديهم على المصادر التي أخذ منها كتاب الأناجيل مادتهم ، ويكفى أن تقارن بين ما في هذه الأناجيل وما كتبه المصريون القدماء عن آلهتهم ، وما كتبه الهنود عن ( كرشنا ) و ( برهما ) و ( بوذا ) وما كتبه اليونانيون والبرومانيون عن آلهتهم وعن تثلثها ، وصلبها ، وتجسدها ، الى آخره ، لتعرف المصادر التي أخذ منها مؤلفو هذه الأناجيل مادتهم ( ٢ ) .

ومما يجدر ذكره أن كثيرا من علماء الكنيسة - الروم - يقرون بذلك ، وأقرأ ان شئت المقدمات والتعليقات التي كتبها علماء الكنيسة في فرنسا على النسخة الفرنسية للكتاب المقدس ، وقد ترجمت هذه المقدمات والحواشي في الطبعة العربية للكتاب المقدس التي نشرتها دار المشرق في بيروت أخيرا ، وأقرأها النائب الرسولي ( بولس باسيم ) .

ومما يذكر هنا أن حركة ( نقد الكتاب المقدس ) التي اضطلع بها علماء ولاهوتيون ومفكرون غربيون منذ القرن السابع عشر بزعامة كل من ( ريتشارد سيمون R.simon ) و ( جان أستروك J. Astruc ) ( و باروخ سبينوزا B. spinoza ) قد توصلت - بعد جهود مكثفة رائعة الى نتائج يقينية تقطع بأن هذه الأسفار ليست وحيا وأنها من وضع مؤلفين كثيرين ، وأنها مستمدة من مصادر وثنية قديمة .

درس هؤلاء العلماء سند هذه الكتب ومحتواها أو متنها ، فاقروا بانقطاع سندها تماما ، وأنها لا تنسب بحال الى موسى أو عيسى أو حتى

---

( ١ ) جيمس فريزر : ( الفلكلور في أسفار العهد القديم ) ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ، نشرة دار المعارف في جزأين .  
وانظر : ( اليهودية والفكر الهليني - اليوناني الوثني ) بالانجليزية  
( Judaism and Hellenism ) By : Martin Hengel. SCM.

( ٢ ) ( العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ) للطاهر البيروني ، بتحقيقنا وتعليقنا .

الى اى من حواربى المسيح عليه السلام . كما أن مضمونها فى غاية الوهاء والتناقض والتدابىر والنكارة والشذوذ ، وكل ذلك يقطع بأن هذه الكتب محرفة مبدلة ، وأنها ليست وحيا من عند الله تعالى ( ١ ) .

وعلى المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، لكن بنى اسرائيل قد غيروهما وبدلوهما وحرفوهما .

ونشير هنا الى فضل الدراسات الاسلامية المنهجية الناقدة لهذه الأسفار منذ القرن الهجرى الأول ، على عقول بعض أحبار اليهود وعلماء النصارى ممن قاموا بدراسة كتبهم دراسة منهجية موضوعية ناقدة . ولعل أقدم نقد للتوراة قام به حبر يهودى معروف له مكانته العلمية ، هو الحبر ابن عزرا الغرناطى الذى توفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٧ م - ثم توالى دراسات نقدية فردية ، الى أن قامت حركة واسعة فى الغرب فى القرن السابع عشر كما ذكرنا .

ولأن موضوع تحريف التوراة والانجيل واسع جدا ، ولأننا درسناه فى كتابين من قبل هما :

( فى مقارنة الأديان - فصل : النقد العلمى لسند التوراة ، وفصل الاناجيل بين انقطاع السند وتناقض المتن ) وكتاب ( العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية : دراسة وتحقيق ) فانى لا أحب أن أطيل على القارئ الكريم هنا ، بل أكتفى بتسجيل نقد الحبر اليهودى ابن عزرا الغرناطى للتوراة الحالية ، فحسب ، مع الاحالة الى قائمة بالمراجع العلمية المفيدة فى هذا الموضوع ( ٢ ) .

---

( ١ ) لنا - ( فى مقارنة الأديان ) طبعة دار الهداية .  
( ٢ ) للتوسع فى ذلك انظر على سبيل المثال : ( انجيل برنابا ) ترجمة د . خليل سعادة ، مطبعة محمد صبيح بالقاهرة ١٩٥٨ م - رسالة سبنوزا ( فى اللاهوت والسياسة ) ، و ( الفصل ) لابن حزم ، ( شفاء =

٢ - الفيلسوف سبينوزا يشرح الفكر النقدي للحبر ابن عزرا (١) :

يسوق سبينوزا - أولا - الأقوال التي صاغها ابن عزرا - متعمدا -

=

العليل ( للجويني ، و ( تثبيت دلائل النبوة ) للقاضي عبد الجبار ، و ( التمهيد ) للباقلاني ، و ( الجواب الصحيح ) لابن تيمية . ولنا ( في مقارنة الأديان ) وللطاهر البيروتي ( العقائد الوثنية ) وتعليقاتنا عليه . و ( افحام اليهود ) للسموال ، و ( المسيح في مصادر العقائد المسيحية ) للأستاذ أحمد عبد الوهاب ، ( اختلافات في ترجمات الكتاب المقدس ) له أيضا . و ( اظهر الحق ) لرحمة الله الهندي ، و ( محاضرات في النصرانية للامام محمد أبو زهرة ، وانظر :

Johon H. Hayes : An Introduction to Old Testament Study.

Otto Kaiser : Introduction to the Old Testament, Oxford, 1973.

Otto Eissfeldt : The old Testament, An Introduction, Oxford, 1974.

Werner G. Kummel : Introduction To the New Testament, USA. 1984.

Elaine Pagels : The Gnostic Gospels, New york, 1981.

وانظر حواشي كتاب ( العقائد الوثنية ) وكذلك ( في مقارنة الأديان ) فقد ذكرنا فيهما أكثر من مائتي مرجع عربي وأجنبي تتعلق بالموضوع .

(١) الرسالة ص ٢٦٦ وابن عزرا هو الحبر المفسر اليهودي الغرناطي ابراهيم بن عزرا ، ولد سنة ١٠٩٢ م وتوفي في غرناطة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٧ م . وهو عالم اسرائيلي معروف له وزنه العلمي وتقديره . أما قول الفيلسوف سبينوزا : ان ابن عزرا كان أول من اكتشف خطأ نسبة الأسفار الخمسة الى موسى عليه السلام ، فان كان يقصد أنه أول عالم يهودي يكتشف ذلك أو يتحدث عنه فقد يكون كلامه صحيحا مقبولا . أما ان كان يقصد أنه أول باحث يكتشف ذلك على الاطلاق ، فكلامه غير صحيح ، ولا يعتمد على أسس علمية موضوعية ؛ ذلك أن ابن عزرا هذا قد عاش في الأندلس وتوفي بها سنة ٥٦٢ هـ ، أي بعد مائة سنة من وفاة عالم الأندلس ابن حزم ، وابن حزم قد أفاض في هذه المسألة ودرسها بتوسع وتفصيل تامين ، وما كتبه ابن حزم مسجل في كتابه الموسوعي القيم المسمى : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » وسنتناوله بالشرح ان شاء الله .

=

بطريقة مبهمه غامضة جدا ، أقرب الى أسلوب « الشفرة أو كلمة السر »  
منه الى أسلوب البحث العلمى ؛ وذلك خوفا من بطش الأحبار الفريسيين  
به ، او ملاحقتهم له ، ثم يشرحها سبينوزا شرحا مفصلا ناصعا ، نستنتج  
منه ضرورة خطأ نسبة الأسفار الخمسة الى موسى - على النحو التالى :

« هذه هى اقوال ابن عزرا فى شرحه على التثنية : « فيما وراء نهر  
الأردن . الخ . لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة . . . كتب موسى شريعته  
ايضا . . . وكان الكنعانى على الأرض . . . سيوحى به على جبل الله . . .  
ها هو ذا سريرى ، سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة . . . »  
هذه كلمات ابن عزرا ، ويعلق عليها سبينوزا قائلا :

« بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت - فى الوقت ذاته - أن موسى ليس  
هو مؤلف الأسفار الخمسة ؛ بل ان مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان  
طويل ، وأن موسى كتب سفرا مختلفا ! » ( ١ ) .

=

وانا لنقول واثقين : ان ابن عزرا ما كان له ان يذكر ما ذكره من قدح  
فى سند التوراة لولا اطلاعه على ما كتبه ابن حزم . . . كما أن ابن عزرا  
هذا كان قنطرة - الى جانب الحبر اليهودى المغربى الفاسى سليمان بن  
مليخ الذى نشر تفسيره للعهد القديم سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٤ م فى القسطنطينية ،  
وغيرهما - انتقل بواسطتها فكر ابن حزم النقدى الى سبينوزا نفسه . . .  
وقد تأثر سبينوزا به تأثرا عميقا وعلى هذا فان سبينوزا ليس رائد هذا  
المجال ، مجال نقد الكتاب المقدس نقدا علميا منهجيا ؛ يعتمد على دراسة  
النصوص ذاتها ؛ لكنه سبق بكثير من الأئمة الأعلام ، منهم ابن حزم المتوفى سنة  
٤٦٥ م وامام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، والامام القرطبى المتوفى  
سنة ٦٧٢ هـ وغيرهم من علماء مقارنة الأديان المسلمين ، أو من المهتدين  
الى الاسلام من علماء اليهود والنصارى مثل : على بن ربن الطبرى  
( القرن الثالث الهجرى ) والحسن بن أيوب ( قبل القرن الرابع )  
والسموأل يحيى المغربى سنة ٥٧٠ هـ ، والحسن بن سعيد الاسكندرانى ،  
وابن قوسين اليهودى . الخ .

انظر لنا ( فى مقارنة الأديان ) ص ٧١ وما بعدها .

( ١ ) اسبينوزا : ( رسالة فى اللاهوت والسياسة ) ص ٢٦٦ ترجمة

د . حسن حنفى ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .



هذه هي النتائج الثلاث التي استخلصها سبينوزا من كلام ابن عزرا السابق ؛ وهي تلخص لنا قضية سند التوراة ، من رأسها الى أخفصها ، وتلخص رأى سبينوزا نفسه في ذات الوقت ؛ لأنها تشتمل على :

١ - أن موسى ، عليه السلام ، لم يكتب هذه الأسفار التي يطلق عليها اليهود والنصارى أنها :

التوراة وينسبونها الى موسى .

٢ - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمان طويل جدا .

٣ - أن موسى عليه السلام قد كتب سفرًا مختلفًا عن هذه الأسفار الخمسة المروجة المشهورة .

لكن كيف استنتج سبينوزا هذه النتائج البالغة الوضوح والقطع من كلام ابن عزرا البالغ الغموض والابهام ؟

لأن كلام ابن عزرا كان يرمز الى جملة خيثيات صادقة تسلم الى هذه النتائج ، على النحو التالي :

١ - أن موسى عليه السلام ، لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي ، التي جاء فيها : « فيما وراء نهر الأردن ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلا ( ١ ) ٠٠٠ الخ ؛ بسبب واضح جدا هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن ، ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية ذاته ( ٢ ) .

٢ - قد نقش سفر موسى الأصلي كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد ( ٣ ) ، يتكون من اثنتى عشرة حجرة ، حسب عدد الأحبار . ومعنى ذلك : أن سفر موسى ( الأصلي ) كان - في حجمه - أقل بكثير من الأسفار

---

( ١ ) سفر التثنية ١ : ٥ « في عبر الأردن ، في أرض مؤاب ، ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : الرب الهنا كلمنا في حوريب ٠٠ » .  
( ٢ ) سفر التثنية ( ٣٤ : ٥ - ٦ ) .

( ٣ ) جاء في سفر التثنية ( ٢٧ : ٢ - ٨ ) : « تبثون مذبحا للرب من الحجارة ٠٠ ، وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة » . وانظر سفر يشوع ( ٨ : ٣٢ ) وكتب هناك تثنية اشتراع موسى التي كتبها بحضرة بنى اسرائيل » .

الخمس المتداولة .. وهذا ما رمز اليه ابن عزرا بقوله : « سر الاثنى عشرة » .

٣ - يذكر الحبر كذلك انه قد ورد في سفر التثنية : « وقد كتب موسى هذه التوراة » ( ١ ) .. ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لابد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ - يذكر ابن عزرا نصاً من سفر التكوين ( ١٢ : ١ ) يقص فيه الراوى ( يقصد سبينوزا بالراوى : جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة مختلطة ) رحلة ابراهيم عليه السلام ، في بلاد الكنعانيين ، ويعلق عليها الراوى ( مؤلف التوراة الحالية ) بقوله : « والكنعانيون حينئذ في هذه الأرض » .

وهذا التعليق يدل بوضوح على أن الأمر - عندما كان يكتب - لم يكن كذلك ... فلابد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موت موسى بزمان ليس بالقليل ، بعد أن طرد بنو اسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق .

ويشير ابن عزرا الى هذا المعنى في شرحه لهذا النص نفسه ، فيقول : « وكان الكنعانيون حينئذ في هذه الأرض » قد يعنى هذا أن كنعان حفيد نوح ، استولى على هذه الأرض التى كان يحتلها من قبل شخص آخر ( والأمر ليس كذلك في واقع الأمر ) . فان لم يكن الأمر كذلك : فهناك سر على من يعرفه ألا ييوح به !! . ولم يكن هنالك شخص قبل كنعان يحتل هذه الأرض ؛ لأنه حسب ما جاء في سفر التكوين : الاصحاح العاشر : كنعان هو أول من فلح هذه البقاع وقطنها .

فقد اثبت الراوى ( مؤلف الأسفار الحالية ) اذا : أن وضع هذه الأرض لم يكن كذلك وقتما كان يكتب ، واذا فالراوى ( واضع التوراة

---

( ١ ) جاء في التثنية ( ٣١ : ٩ - ١٠ ) : « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها الى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب . وأمرهم موسى قائلاً ..... » .

الحالية ) لم يكن موسى قطعاً ؛ لأن الكنعانيين - في زمان موسى - كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض . . . وهذا هو السر الذي يلوح به ابن عزرا ، وينصح بكتمانه !!!

ه - ذكر الحبر أنه جاء في سفر التثنية ( ١ ) : أن جبل موريا سمي جبل الله ، ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء الهيكل ، وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان موسى عليه السلام . واضح أن الراوى هو الذى يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل الله .

ولا شك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب كانوا يعرفون بلاد يائير التى تنتمى الى قبيلة يهوذا ، ولكنهم لا يعلمون أنها تحت حكم عرجون ، وأنها أرض العمالقة ؛ لذلك اضطر الى أن يشرح ما هى هذه البلاد التى كان يطلق عليها قديماً هذا الاسم ، وأن يخبرنا - فى الوقت نفسه - لم سماها سكانها فى هذا الوقت باسم يائير ، مع أنهم ينتمون الى قبيلة منسى ( ٢ ) .

بهذا الفكر الواضح الواثق شرح سبينوزا الغاز وأحاجى ابن عزرا التى قدمها على أنها حيثيات دالة على خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية ( التكوين ، والخروج ، والأخبار ، والعدد والتثنية ) المسماة بالتوراة - الى جبل موسى عليه السلام ، وعلى أنها - أى هذه الأسفار - روايات تاريخية جمعها مؤلف أو أكثر من ماثورات أو محفوظات أو تواريخ موضوعة ، لا نعرف عنها شيئاً ، ثم نسبها الأخبار الفريسيون الى موسى زوراً وافتراءً .

ويحسن بنا أن نوجز للقارئ الكريم هذه الحيثيات فى نقاط ، على النحو التالى :

- 
- ( ١ ) ( ٢٢ : ١٤ ) : « وسمى ابراهيم ذلك الموضع يهو يراه ؛ حتى انه يقال اليوم : جبل الرب يرى » .
- ( ٢ ) رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .
- ( م ١٦ - الايمان )

١ - أشارت الأسفار الخمسة الى وقائع لم تحدث الا بعد موسى عليه السلام يقينا ، وجعلته شريكا في صنعها .

٢ - أن توراة موسى الحقيقية كانت - بنص الأسفار الحالية - اصغر - في الحجم - بكثير من هذه الأسفار الخمسة المعروفة .

٣ - أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى ، عليه السلام ، لم يكن واضعها ؛ وذلك من طريقة اسناد الضمائر ، أو التعليق على نص الرواية وشرحها ... الخ .

٤ - تشير هذه الأسفار الى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء الا بعد موت موسى عليه السلام بزمان طويل ، ولم يكن ذلك على سبيل التنبؤ الاعجازي من موسى ، ولكن كان على سبيل القص الروائي .

سبينوزا يفحص سند الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى على أنها التوراة :  
تمثل جهد سبينوزا نفسه - الى جانب شرحه التحليلي لفكر ابن عزرا - في اضافة حيثيات أخرى فانتت الحبر ابن عزرا ، ثم تعميق بعض أفكاره بأمثلة أخرى لم يتطرق لها ، وشروحات أخرى . ولئن كان المفسر اليهودي ابن عزرا قد وقف عند الأسفار الخمسة في نقده ، فان الفيلسوف اليهودي سبينوزا ، قد طبق منهجه النقدي الرصين على أهم أسفار العهد القديم الأخرى ، ثم أعلن النتيجة التي انتهى اليها في لغة واثقة قاطعة ، فقال :

« من هذه الملاحظات كلها يظهر واضحا وضوح النهار : ان موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ؛ بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة !! (١) » .

علينا اذا أن نتتبعه في ملاحظات تلك التي أوصلته الى هذه النتيجة الحاسمة ، فنراه أولا ينقد سلفه ابن عزرا ، لأنه « قد فاته ان يذكر أهم

الأمور ؛ اذ يمكن ابداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار « ..... ثم يقدم أربع ملاحظات جديرة بالتأمل ، هي :

١ - لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وإنما تعطى عنه شهادات عديدة ، لا يصح البتة أن يكون هو الذى أعطاهما عن نفسه ؛ ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها ..... وهذه الشهادات مثل :

« تحدث الله مع موسى » .

« وكان الله مع موسى وجها لوجه » .

« وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس » (١) .

« فسخط موسى على وكلاء الجيش » (٢) .

« موسى رجل الله » (٣) .

« لقد مات موسى خادماً لله ولم يبق من بعده فى بنى اسرائيل كموسى » (٤) .

وعلى العكس من ذلك ، فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول مثلاً :

« كلمنى الرب » .

---

(١) سفر العدد ٢٥ : ٣ .

(٢) سفر العدد ٣١ : ١٤ .

(٣) سفر التثنية ١٣ : ١ .

(٤) يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى هو السفر الوحيد الذى يمكن نسبة محتواه الى موسى ؛ لأنه قد احتوى على الشريعة التى شرحها موسى لبنى اسرائيل ومن جانبنا نقول : ان هذا السفر قد احتوى على وصايا خلقية ، وآداب شرعية لا ريب أن فيها بقية وحى وأثر نبوة ؛ لأنها من معدن التعاليم والآداب التى يدعو الأنبياء إليها ، ولا بأس برأى سبينوزا هذا ؛ لأن مثل هذه التعاليم قد حث عليها القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، ومن ثم فهى صادقة فى - سفر التثنية - فى جزء كبير من مضمونها ومحتواها .

« رجوت الرب » . . . . الخ (١) .

الا في آخر السفر ، حيث يستمر المؤلف بعد أن نقل أقوال موسى - يحكى في رواية كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، التى شرحها موسى كتابة ، ثم أعطاهم تحذيرا أخيرا ، وبعد ذلك انتهت حياته .

« كل ذلك ، اعنى : طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها تدعو الى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر » (٢) .

٢ - يجب أن نذكر أيضا أن هذه الرواية - الواردة في الأسفار الحالية - لا تقص فقط موت موسى . ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للبرانيين عليه : بل تروى - أيضا - أنه فاق جميع الأنبياء ، اذا ما قورن بالأنبياء الذين جاءوا بعده .

« ولم يقم من بعد نبي في اسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجها لوجه » (٣) .

هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ؛ بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة ، وقرا عن أنبياء عديدين بعد موسى . . . ولا سيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرة :

« ولم يقم من بعد نبي في اسرائيل » .

ويقول عن القبر :

« ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا » .

٣ - يجب أن نذكر - أيضا - والكلام للفيلسوف سبينوزا - أن بعض الأماكن ، لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها ، فى زمن موسى ؛ بل

---

(١) التثنية ٢ : ١ / ١٧ .

(٢) الرسالة ص ٢٦٩ .

(٣) التثنية ٣٤ : ١ .

اطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل ؛ اذ يقال - في التوراة -  
تابع أعداءه حتى ( دان ) ( ١ ) ، وهو اسم لم تأخذه المدينة - التي تحمله -  
الا بعد موت يشوع بمدة طويلة ( ويشوع هو فتى موسى عليه السلام  
وخليفته ) جاء في سفر القضاة :

« سموا المدينة ( دان ) ، باسم أبيهم الذى ولد لاسرائيل ، وكان اسم  
المدينة قبل ذلك : لايش ( ٢ ) » فكيف يذكر موسى - وهو يقص قصة ابراهيم  
عليه السلام : أنه جد في طلب أعدائه الى مدينة دان ، وهى لم يطلق عليها  
هذا الاسم الا بعده بزمان طويل جدا . ١٢

٤ - تمتد روايات التوراة - في بعض الأحيان - الى ما بعد موسى .  
فيروى سفر الخروج : أن بنى اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة حتى وصلوا  
الى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان ( ٣ ) ، أى حتى اللحظة التى  
يتحدث عنها سفر يشوع ( ٤ ) .

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود - بعد  
موسى بزمان طويل جدا - « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل  
أن يملك ملك فى بنى اسرائيل » ( ٥ ) .

هذه هى الملاحظات أو البراهين التى أوردها باروخ سبينوزا ، وهى  
تضاف الى ما أورده ابن عزرا ، وبناء عليها يقرر سبينوزا :

« من هذه الملاحظات كلها ، يظهر واضحا وضوح النهار : أن موسى

---

( ١ ) سفر التكوين ١٤ : ١٤ .

( ٢ ) سفر القضاة ١٨ : ٢٩ .

( ٣ ) سفر الخروج ١٦ : ٣٥ « وأكل بنو اسرائيل المن أربعين سنة الى

أن ذهبوا الى أرض عامرة ، أكلوا المن الى حين واقفوا أرض كنعان » .  
( ٤ ) يشوع : ٥ : ١٢ « فانقطع المن من الغد منذ أكلوا من غلة

الأرض .. » .

( ٥ ) التكوين ٢٦ : ٣١ .

لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص آخر ، عاش بعد موسى بقرون عديدة !! « (١) » .

أين تورا موسى ؟ !

يبحث سبينوزا بحثا دقيقا عن السفر الحقيقي الذى كتبه موسى عليه السلام ، والعلاقة بينه وبين هذه الأسفار الخمسة التى لم يكتبها موسى قط ، وان كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها اليه كذبا وزورا .

يرى سبينوزا ، طبقا لاشارات الأسفار الحالية ، أن موسى كتب بنفسه - عن الرب - سفرا يسمى : « سفر حروب الرب » ، يحتوى على قصة الحرب مع العماليق (٢) .

وهناك اشارة الى سفر آخر يسمى : ( سفر العهد ) ، قرأه موسى أمام الاسرائيليين عندما عقدوا عهدا مع الرب ، ويرجح سبينوزا أن مضمون هذا السفر متضمن فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج الحالى (٣) .

وهناك ذكر لسفر يسمى : « تورا الرب » أو « تورا الله » ... ثم شرح موسى الشرائع التى سنّها ، وأخذ من الشعب ميثاقا جديدا بأن يظلّوا

---

(١) الرسالة ص ٢٧١ وينبغى علينا أن نذكر القارئ الكريم بأن سبينوزا لم يبين أحكامه هذه على استنتاجات العقل من مصادر خارج نصوص التورا ذاتها ، أو على الأحكام السابقة عنها ، وانما بنى أحكامه على ملاحظاته المرتكزة على قراءة هذه الأسفار ، وفحصها فحصا دقيقا . أى أن نص هذه الأسفار - بما احتوى عليه - يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التى قطع بها سبينوزا ، ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا .

(٢) جاء فى سفر الخروج ١٧ : ١٤ « وقال الرب لموسى : اكتب هذا ذكرا فى الكتاب .. الخ » وجاء فى سفر العدد ٢١ : ١٤ « ولذلك يقال فى كتاب حروب الرب .. » .

(٣) يشعر هذا بأن ذلك السفر كان وجيزا جدا فامكن له قراءته أمام الشعب فى موقف واحد ، وكلمة سفر تطلق على : الرسالة أو الورقة أو الكتاب .



خاضعين للشرية ، ثم كتب ذلك كله في سفر تورااة الله (١) .

ثم قطع يشوع عهدا مع بنى اسرائيل بعد موت موسى ، وكتبه في سفر « تورااة الرب » . اين سفر ( تورااة الله ) او ( تورااة الرب ) ؟

يجيب سبينوزا :

« لما لم يكن لدينا اى سفر يحتوى على عهد موسى ، وفي نفس الوقت على عهد يشوع ، فيجب ان نعترف ضرورة بان هذا السفر قد فقد . !! » . .  
و « نستنتج اذا ان سفر تورااة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الاسفار الخمسة الحالية ؛ بل كان سفر مختلفا كلية » (٢) !!

---

(١) ٢٠ : ٢٢ — ٢٤ .

(٢) الرسالة ص ٢٧٢ .



## الأصل الرابع

### الإيمان بالرسول



## الأصل الرابع : الايمان بالرسول

### معنى النبى والرسول :

« النبوة » : اسم مشتق من النبا ، وهو الخير . الا أن المراد به فى هذا الموضع خبر خاص ، وهو : الذى يلزم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه - بالقاءه اليه - عن غيره ، ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهى ووعظ وارشاد ووعد ووعيد ؛ فتكون النبوة على هذا : الخبر والمعرفة بالمخبرات الموصوفة التى ذكرتها ؛ والنبى : هو المخبر بها .

فإن أنصاف إلى هذا التوفيق : أمر تبليغه الى الناس ودعائهم اليه ، كان نبيا رسولا . وإن القى اليه ما ذكرنا ليعمل به فى خاصته ، ولم يؤمر بتبليغه والدعاء اليه ، كان نبيا ولم يكن رسولا . . . فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا (١) .

### الرسول المذكورون فى القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى - فى القرآن الكريم - أسماء خمسة وعشرين رسولا ؛ هم :

« آدم ، ونوح ، وإدريس ، وصالح ، وإبراهيم ، وهود ، ولوط ، ويونس ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، واليسع ، وذو الكفل ، وداود ، وزكريا ، وسليمان ، والياس ، ويحيى ، وعيسى ، وخاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين » . قال تعالى :

« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ،

---

(١) الامام الحليمي : المنهاج ج ١ ص ٢٣٩ ، وانظر : شرح الفقه الأكبر لعلی القاری ، وشرح الطحاوية ص ١١٠ ، وفيها : أن من نبأه الله بخبر السماء ؛ أن أمره أن يبلغ غيره فهو نبى رسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره ، فهو نبى وليس برسول . . والنبوة جزء من الرسالة .

ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ، واسماعيل واليسع ويونس . ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين « (١) .

اشتملت هذه الآيات الأربع على أسماء ثمانية عشر رسولا ، وورد ذكر الآخرين في آيات أخرى :

قال تعالى : « والى عاد أخاهم هودا » (٢) ، و « والى ثمود أخاهم صالحا » (٣) ، و « والى مدين أخاهم شعيبا » (٤) ، و « ان الله اصطفى آدم ونوحا » (٥) ، و « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (٦) ، « محمد رسول الله والذين معه . . . » (٧) .

هؤلاء هم الرسل المذكورون بأسمائهم في القرآن الكريم ، والله تعالى أنبياء ورسل آخرون لم يذكر الله في القرآن أسماءهم أو أزمانهم ، أو أقوامهم ، ولا يعلم أسماء هؤلاء الأنبياء والرسل الا الله تعالى ، يقول عز وجل :

« ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » (٨) .

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٩) ، و « ولكل أمة رسول » (١٠) .  
اولو العزم من الرسل :

يرى أكثر العلماء أن أولى العزم من الرسل - يعنى أصحاب الاجتهاد والصبر العظيم - خمسة رسل هم : محمد ، وابراهيم ، وموسى ، ونوح ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام ؛ وقد وردت أسماؤهم عليهم السلام ، في قوله تعالى :

- |                            |                    |
|----------------------------|--------------------|
| (١) سورة الأنعام ٨٣ - ٨٦ . | (٦). الأنبياء ٨٥ . |
| (٢) هود ٥٠ ، الأعراف ٦٥ .  | (٧) الفتح ٢٩ .     |
| (٣) هود ٦١ ، الأعراف ٧٣ .  | (٨) غافر ٧٨ .      |
| (٤) هود ٨٤ ، الأعراف ٨٥ .  | (٩) فاطر ٢٤ .      |
| (٥) آل عمران ٣٣ .          | (١٠) يونس ٤٧ .     |

« واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم » .

الايمان بالرسل :

يستلزم الايمان بالله جل ثناؤه اعتقادا وقرارا ، الايمان برسل الله صلوات الله عليهم - عامة - اعتقادا وقرارا . الا أن الايمان بمن عدا نبينا محمد صلوات الله عليه هو : الايمان بانهم كانوا مرسلين الى الذين ذكروا لهم ، أنهم رسل الله اليهم ، وكانوا في ذلك صادقين محققين ، والايمان بالمصطفى نبينا صلوات الله عليه هو : التصديق بأنه نبي الله ورسوله الى الذين بعث فيهم والى من بعدهم - من الانس والجن - الى قيام الساعة .

فيجب على المؤمن بالله تعالى أن يؤمن برسل الله الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم ، ويؤمن على الاجمال بأن الله رسلا أرسلهم الى الناس ، ولم تذكر أسماؤهم في القرآن والسنة ، ولا يجوز أن تثبت لأحد ما من البشر أنه نبي أو رسول ، ما دام اسمه لم يرد في القرآن ضمن رسل الله وأنبيائه ، قال تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله » (١) و « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٢) .

« ان الذين يكفرون بالله ورسوله يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (٣) .

« والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما » (٤) .

مهمة الرسل :

وقد أرسل الله هؤلاء الرسل الى أقوامهم بالبشارة والنذارة :

(٣) النساء ١٥٠ .

(٤) النساء ١٥٢ .

(١) الحديد ٧ .

(٢) البقرة ٢٨٥ .

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون » (١) .

فهذا تبشير بالآمن وحسن العاقبة وحسن المثوبة والرضوان والجنة ان آمنوا وأصلحوا . وانذار بغضب الله وبالعذاب الأليم ، ان هم عصوا وفسقوا عن أمر ربهم .

وقد نهض الرسل أجمعون بدعوة الناس الى توحيد الله توحيدا خالصا ، توحيدة سبحانه في ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته .

« ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢)

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٣) .

فهذه وحدة الدين ، وهذا دين التوحيد من لدن أول رسول الى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام (٤) .

وعلى المؤمن أن يؤمن بهم جميعا - دون تفريق بين أحد منهم ، فيؤمن بالبعض ويكفر بالآخرين ، فلا بد من الايمان بجماعتهم كلهم .

تفصيل بعض الرسل على بعض :

جاء في القرآن أن الله تعالى قد فضل الرسل بعضهم على بعض ، فقال عز وجل :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ؛ منهم من كلم الله ورفع

---

(١) الأنعام ٤٨ - ٤٩ .

(٢) النحل ٣٦ .

(٣) الشورى ١٣ .

(٤) الطحاوية ص ١١٥ والفتاوى لابن تيمية ج ١٨ ص ٩٣ - ٩٨ ،

١٠١ - ١٠٢ ، ج ٧ ( كتاب الايمان ) .



بعضهم درجات « (١) » .

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (٢) .

وهناك كلام طويل عن نوع هذا التفضيل وفي أى شيء يكون (٣) .  
وكيف يجمع بين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلوني على موسى » (٤) وقوله : « أنا سيد الناس يوم القيامة » (٥) وقوله : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع » (٦) .

والرسل معصومون فيما يبلغون عن ربهم ، وفيما عدا ذلك هم معصومون من الكبائر دون الصغائر ، لكنهم لا يقيمون عليها ، ولا تذكر صغيرة لنبي إلا مقرونة بتوبة ، يذكر ابن تيمية : « ان القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر - دون الصغائر - هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الأمدى أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول » (٧) .

ماذا يجب علينا نحو الرسل :

يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله قد أدى أمانته ، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل ، وبينها بيانا واضحا شافيا كافيا .

- 
- (١) البقرة ٢٥٣ . (٢) الاسراء ٥٥ .  
(٣) انظره في مصادر كثيرة منها : شرح الطحاوية ص ١١٢ - ١١٦ وللامام الماتريدي : تاويلات أهل السنة ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص ٦٧ .  
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد .  
(٥) متفق عليه .  
(٦) رواه مسلم وأحمد وأبو داود ج ١ ص ٢٤١ ، ٥٥٠ ، شرح الفقه الأكبر ص ٥٦ - ٥٧ ، البغدادى : أصول الدين ص ١٦٧ - ١٦٩ .  
(٧) انظر ( الفتاوى ) ج ٤ ص ٣١٩ - ٣٢١ ومواضع أخرى متفرقة وانظر للفخر الرازى ( عصمة الأنبياء ) ، الماتريدي : التاويلات ج ١ ص ٤٢١ والمواقف ص ٣٥٨ - ٣٦٦ ، شرح العقائد النسفية ص ٤٦٧ .

ويجب علينا أن نؤمن بأنهم أكمل الخلق علما وعملا ، وأصدقهم  
وأكملهم أخلاقا ، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ،  
وأنه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ ،  
وعن الذنوب كلها .

كما نؤمن بأن رسل الله - جميعا كانوا رجالا من البشر ، فلم يكونوا  
من الملائكة ، ولم يرسل الله امرأة ويكلفها بإبلاغ رسالته الى الخلق ،  
قال تعالى :

« وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم » ( ١ ) .

هذا ، ويرى بعض العلماء أن الله قد أنعم على بعض النساء بالنبوة -  
وليس بالرسالة - كمریم عليها السلام ، ومن هؤلاء : أبو الحسن الأشعري ،  
والقرطبي ، وابن حزم ( ٢ ) .

#### الرسل من جملة البشر :

ونؤمن بأنهم كانوا جميعا من البشر ، ولم يخصصهم الله بطبائع أخرى  
غير الطبائع البشرية ، وإنما اختارهم الله سبحانه من الرجال ، الذين يأكلون  
ويشربون ، ويمشون في الأسواق ، وينامون ويستيقظون ، ويضحكون ،  
ويحزنون ، ولهم ذرية وأزواج ، ويتعرضون للأذى والاضطهاد ، وأنهم  
يموتون ، وقد يقتلون بغير حق ، وأنهم يتألمون ، ويصيبهم المرض ، وسائر  
الأعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق ،  
وقد تضافرت الآيات القرآنية على ذلك ، قال تعالى :

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى ، انما الحكم اله واحد » ( ٣ ) .

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل

انقلبتم على أعقابكم » ( ٤ ) .

---

( ١ ) الأنبياء ٧ .

( ٢ ) راجع للدكتور عمر سليمان الأشقر : ( الرسل والرسالات )

ص ٨٦ .

( ٤ ) آل عمران ١٤٤ .

( ٣ ) الكهف

« وما أرسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق » (١) .

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » (٢) .  
« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٣) .

ونؤمن أن الرسل جميعا لا يملكون شيئا من خصائص الألوهية ، فلا يتصرفون في الكون ، ولا يملكون النفع والضرر ، ولا يؤثرون في ارادة الله تعالى ، ولا يعلمون الغيب الا ما أطلعهم الله عليه ، قال تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » (٤) .  
« وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » (٥) .

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٦) .

ونؤمن بأن الله قد أهلهم بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق ، تؤهلهم لتلقى الوحي والاضطلاع بأعباء الرسالة ليكونوا قدوة للناس وأسوة ، يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا ، فيجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله معصومون عن أى نقيصة فادحة في دينهم وطاعتهم لله تعالى وبلاغهم ، أو في مقدرتهم على تبليغ الرسالة التى حملوها ؛ قال تعالى :

« أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٧) .

(٤) المائدة ٧٢ ، ١٧ .

(٥) التوبة ٣٠ .

(٦) الأعراف ١٨٨ .

(١) الفرقان ٢٠ .

(٢) الرعد ٣٨ .

(٣) المائدة ٧٥ .

(٧) الأنعام ٨٩ .

فهم قد كملهم الله سبحانه في الأمانة والصدق والفتانة والتبليغ وغيرها من الأخلاق التي لا بد منها للقيام بالحمل الذي حملهم الله إياه (١) وبالمسئولية التي كلفهم بها . وملاك الأمر أن الله تعالى لا يرسل الى خلقه الا خيارهم وصفوتهم خلقا وسلوكا ونسبا ، فقد اقتضت حكمته أن يختار هؤلاء ، دون سواهم ، وأن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم فامتازوا - كما ذكرنا - بصدق الدعوة ، والاخلاص والتوبة ، ونزهوا عن جميع الرذائل ، وسائر الأخلاق الذميمة ، ولهذا اختصت النبوة بأشرف أفراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء ، والفتنة وقوة الرأي والعصمة من الزلل ، والزيغ والكذب والبهتان (٢) .

الوحي ، وطرقه ، والحاجة اليه :

الوحي الالهي : هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها ، العادلة في أحكامها - بطريقة من طرق الوحي - الى من يصطفى من عباده . . وشاهد ذلك - اليوم - القرآن الكريم ، فهو وحي الله المحفوظ ؛

« وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (٣) .

ولتلقى الوحي طرق بينها الله تعالى في كتابه بقوله :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو

يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء ، انه على حكيم » (٤) .

فللوحى الالهي وجوه ، أعلاها : درجة تكليم الله عز وجل من كلم منهم ، قال تعالى : ( وكلم الله موسى تكليما » (٥) وقال : « هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى : اذهب الى فرعون انه طغى » (٦) ، ومنها : أن يلهم الله تعالى واحدا منهم بالكلام يسمعه . . .

- 
- (١) كتاب الايمان للدكتور نعيم ياسين ص ٦٤ - ٦٨ ( بتصرف ) .  
(٢) راجع المصادر الآتية : المنهاج للحليمي ص ٢٣٩ وما بعدها ، فتاوى ابن تيمية ج ١٥ ص ٣٠ ، السفاريني لوامع الأنوار البهية ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ج ٢ طبعة دمشق ، ( النبوة والأنبياء ) للندوي ، و ( الايمان ) .  
(٣) النمل ٦ .  
(٤) النساء ١٦٤ .  
(٥) النازعات ١٥ - ١٧ .  
(٦) الشورى ٥١ .

فيجده في نفسه من غير موصل يقدمه اليه . . ومنها : أن يوحى اليه على لسان ملك فيراه ، فيكلمه كما يكلم واحد من البشر صاحبه فيقع له العلم بما يسمعه منه .

ومنها : ( أن يأمر الملك فينفث في روعه ) ( ١ ) :

فطرق الوحي كما حددته الآية ثلاثة ، هي :

١ - الوحي المباشر ، وهو أن يعد الله تعالى قلب الرسول اعدادا خاصا ، ثم يلقي عليه بكلماته ، فيتلقاها الرسول ويعيها وعيا كاملا صحيحا .

٢ - أن يخاطب الله تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسله ، فيسمعه كلمة المباشرة مع القرب أو بدونه ، ولكن من وراء حجاب ، فيسمع النبي الكلام ، ولا يرى المتكلم ، وقد تم هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج في الملكوت الأعلى ؛ إذ عرج به حتى بلغ سدره المنتهى ، وكلمه ربه تعالى ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، غير أنه لم ير ربه .

كما كلم الله موسى عليه السلام تكليما من وراء حجاب ، « قال رب أرني انظر اليك » قال الله تعالى : « لن تراني » ( ٢ ) .

٣ - أن يوحى الله تعالى الى من اصطفاه ، بواسطة ملك يرسله اليه ؛ وكان جبريل موكلا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومازال معه يأتيه بوحى ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم . والملك الرسول يأتي أحيانا في صورة الملائكية ، وأحيانا يتمثل بشرا كما تمثّل لمريم البتول عليها السلام ، وقال لها :

« قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » ( ٣ ) .

وكما جاء للرسول في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وفي صورة أعرابي كما في حديث مسلم الذي سأل فيه عن الاسلام والايمان والاحسان ،

---

( ١ ) المنهاج ج ١ ص ٢٤٠ .

( ٢ ) سورة الاعراف ١٤٣ .

( ٣ ) سورة مريم ٢٠ .

وبعد أن اجابه الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال للصحابه : « انه جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم » (١) .

حاجة الناس الى الرسل :

ولا ريب أن حاجة الناس للرسل وللوحى الالهى ، حاجة ملحه وضرورية لأسباب عديدة منها : أن الانسان فى حياته على الأرض لابد له من تعاليم من ربه تنظم حياته ، ولابد له من هدى يعيش عليه ، ولا يكون ذلك بغير الوحي (٢) .

كما أن الانسان مكون من جسم وروح ، وأن العالم عالمان : علوى وسفلى ، وأن الحياة حياتان : أولى تنقضى ، وثانية تدوم ولا تنتهى ، وتبقى أبدا ولا تنقص ، فالانسان بحاجة الى تعاليم الوحي لتعرفه وتخبره عن الروح والعالم العلوى ، والحياة الآخرة بل وتنظم له حياته الدنيا ليسعد فيها ، ويستعد لحياته الخالدة ... وهذه أمور لا يستقل عقل الانسان بادراكها .. وعلى الجملة ، فإن الله تعالى قد أراد من الانسان - فى هذه الحياة - اعتقادا صحيحا وسلوكا قويا ، يحقق مصلحته ويجلب سعادته ، وليس له أن يدرك ذلك مستقلا بحسه وعقله ، فكان أن تفضل الله - رحمة بالانسان - فاختار رجالا واصطفاهم ، وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه للناس (٣) .

الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه مطالب :

الأول : أن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتضمن الايمان له ، أى أن الاعتقاد والتصديق بأنه رسول من عند الله ، يتضمن - ضرورة -

- 
- (١) مسلم ( ١ - ٢٨ - ٢٩ ) وانظر ( الوحي المحمدى ) للاستاذ محمد رشيد رضا ، والوحي للأستاذ مصطفى عبد الرازق ، سلسلة المكتبة الفلسفية ، والمنهاج ، و ( الفتاوى ) وتاويلات أهل السنة ج ١ ص ٥٢٥ ، ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢ - المنقذ من الضلال ص ٣٨ - ٣٩ .
- (٢) قارن الجزائرى ( عقيدة المؤمن ) ص ٢٦٨ .
- (٣) قارن المبحث الخاص بقصور الفلسفة العقلية فى مجال الالهيات من هذا الكتاب .

الطاعة له . . . ، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتفرع ويتشعب فروعاً وشعباً .

أولها : تصديقه في أن الله عز وجل ثناؤه أرسله .

ثانيا : تصديقه في أنه عز اسمه ، أرسله بما يقول ، وأن الذي يؤديه هو رسالة الله التي أرسله بها .

ثالثها : تصديقه في أنه أرسله الى من يذكر أنه أرسله اليهم .

رابعها : تصديقه في أنه خاتم النبيين ، لا رسول ولا نبي بعده ، والشرعية المشروعة له آخر الشرائع ، وعليها تقوم الساعة .

خامسها : تصديقه في صفة إرساله اذ اثبتتها لقومه ، فان قال أوحى الى على لسان ملك صدق في أن الذي يأتيه ملك ، والذي ينزل عليه وحى ، وان قال ألهمنى ربى ، صدق في أن ما يجده في قلبه قذف من الله ليقع بذلك تنزيهه عن الوسوسة ، أى يصدق ويطاع في كل ما يقول (١) .

الثانى : الايمان بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأن كل من ادعى الرسالة أو النبوة بعده فهو كذاب ، وقد تنبأ صلى الله عليه وسلم بأنه « لا تقوم الساعة حتى يظهر دجالون كذابون قريباً من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » (٢) .

وقال تعالى واصفاً - رسوله :

« ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣) .

وأن ما يزعمه محى الدين بن عربى أن محمداً صلى الله عليه وسلم ختم الله به الرسالة ، ولم يختم به النبوة ، وأن النبوة سارية لا تتوقف الى قيام الساعة ، يخالف فيه القرآن والسنة الصحيحة ، ولا وجه له ، وقد

---

(١) المنهاج ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ج ١ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) الأحزاب ٤٥ .

استغله المتنبيون المحدثون مثل القادياني وغيره من زمرة الكذابين (١) .  
فليس بعد قول الله : ( وخاتم النبيين ) قول وقد أجمع علماء الأمة وثقاتها  
على ذلك ، ومن ينكره ينكر معلوما من الدين بالضرورة (٢) .

### الثالث : دلائل وأعلام نبوته صلى الله عليه وسلم :

دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا ، لا يمكن  
حصرها ، وقد كتب فيها الكاتبون مؤلفات ضخمة ذكروا فيها دلائل يقينية ،  
وأعلاما قاطعة تثبت نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) . وذكر العلماء  
من بين هذه الدلائل الكثيرة على نبوته هذا القرآن الآية الباقية الخالدة ،  
ومعجزاته الأخرى صلى الله عليه وسلم ، التي ذكرت في القرآن والسنة  
الصحيحة ، وكذلك بشارات الكتب السابقة (٤) مثل التوراة والزبور والانجيل  
ثبوتهم صلى الله عليه وسلم .

### الرابع : شمائله ، وأخلاقه ، وهديه صلى الله عليه وسلم :

نؤمن أن الله تعالى قد حباه أخلاق القرآن كلها ، مما يدل على صدقه

---

(١) انظر : بحثنا : ( محيي الدين بن عربي : الرجل والمذهب )  
منشور في حولية دار العلوم ، وانظر بحث المودودي ( ختم الأنبياء )  
نشر المكتب الاسلامي .  
(٢) انظر مؤلفات علماء العقيدة والكلام كلها ، فلا خلاف بينهم  
على ذلك .

(٣) انظر من بين هذه الكتب الكثيرة جدا : ( الشفا ) للقاضي عياض ،  
( تثبيت دلائل النبوة ) للقاضي عبد الجبار ، و ( أعلام النبوة ) للماوردي ،  
( دلائل النبوة ) لأبي اسحاق الحربي ت ٢٥٥ هـ ، و ( دلائل النبوة )  
لابن قتيبة ، و ( دلائل النبوة ) للبيهقي ، و ( دلائل النبوة ) لأبي نعيم ،  
ودلائل النبوة للمستغفري ، والدلائل لأبي القاسم الأصفهاني ، والخصائص  
الكبرى للسيوطي ، والوفا بأحوال المصطفى ، لابن الجوزي : وغير ذلك  
كثير جدا .

(٤) انظر في ذلك كتب علماء اليهود والنصارى الذين أسلموا وعلى  
رأسها ( الدين والدولة في اثبات نبوة سيدنا محمد ) لعلي بن ربن الطبري ،  
( مسالك النظر في نبوة سيد البشر ) لاسكندراني ( كان يهوديا فأسلم ،  
كتبنا في مقارنة الأديان ) .



وتأييد الله له ، فما سمع منه أحد كذبا ، لا في أمور الدين ، ولا في أمور الدنيا ، ولا قبل البعثة ولا بعدها ، وما فعل قبيحا ولا منفرا ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، وما فرق أحدا من أعدائه مهما عظم الخوف واشتد الأمر مثل يومى أحد والأحزاب ، وكان عظيم الرحمة والشفقة بأمته ، وإن سيرته تبرز ذلك جليا فهي مسجلة بأدق تفاصيلها يوما بيوم ، وهي مكتوبة ومنشورة ، ومتواترة ويقينية ثابتة ، كما أن علماءنا - أثابهم الله - قد كتبوا أجل المؤلفات في شمائله وأخلاقه وهديه صلى الله عليه وسلم (١) . وكان في أعظم درجات الكرم والسخاء ، وكان زاهدا في الدنيا ، قانعا باليسير منها ، لا يدخر شيئا ، وكان في غاية الفصاحة ، أوتى جوامع الكلم ، وكان حلما صفوحا ، متواضعا للمؤمنين ، عابدا لله ، مجاهدا في سبيله ، متوكلا عليه . . . وقد ظل - صلى الله عليه وسلم - طوال عمره ، من أوله الى آخره - على هذه الأخلاق الربانية العالية ، لم يبدل ولم يغير (٢) ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك قائلا :

« وما أنا من المتكلفين » (٣) . ومعروف أن المتكلف لا يمكنه أن يثبت على هذه الأخلاق طوال عمره دون أن يبدلها أو يغيرها . . . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر كتب السنة والسيرة النبوية المطهرة ، والتاريخ والمغازي . وكتب الدلائل والشمائل وأشهرها : ( الخصائص ) ( الشمائل ) و ( وزاد المعاد في هدى خير العباد ) للإمام ابن القيم وهو من أجل الكتب في هذا الباب ، وكذلك ( أحياء ) الإمام أبى حامد الغزالي رحمهم الله جميعا .

(٢) وانظر ( الاعتقاد والهداية ) للبيهقي ص ١٦٨ وما بعدها ، لأستاذ أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء ، طبع وهبة ، وانظر - د . نعيم ياسين ، مرجع سابق ص ٧٤ ، ود . عمر الأشقر ، مرجع سابق ، والرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ، المكتب الاسلامي .

(٣) سورة ص : ٨٦ .

## مكانة الرسل

### بين التوراة الحالية والقرآن الكريم

سنقابل في هذا المبحث بين ما ورد في التوراة وكتب العهد القديم ، وما جاء في القرآن الكريم خاصا بالأنبياء عليهم السلام ؛ ولأن مثل هذا المبحث الوجيز يعجز عن سوق كل ما جاء في حق جميع أنبياء الله في التوراة والقرآن ، فاننا سنقتصر على بعض هؤلاء الرسل الكرام ، كما سنقتصر على النصوص التوراتية ومقابلتها بالنصوص القرآنية من غير تعويل على شروح العلماء واستنباطاتهم ، حرصا على الايجاز .

وليعذرنا القارئ الكريم اذ ننقل له نصوصا من التوراة المنسوبة الى موسى (★) عليه السلام في حق الأنبياء ، ما كان لنا أن نتلفظ أو نستشهد بها لولا أن القرآن قد حكى عن بنى اسرائيل ما افتروه على الله جل جلاله وعظم سلطانه ، مثل قولهم :

« ان الله فقير ونحن أغنياء » (١) « يد الله مغلولة » (٢) « عزيز ابن الله » (٣) كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » (٤) .

ورحم الله أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ اذ يقول : « لولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا ... لكنت لأن أخر من السماء أحب الى من

---

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة المائدة ٦٤ .

(٣) سورة التوبة ٣٠ .

(٤) رواه البخارى ، انظر ص ٤٩٦ ج ٦ من فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل .

(★) تقرر التوراة الحالية أنها تنزيل من رب العالمين ؛ حيث ذكر فيها : « ودعا الله موسى الى رأس الجبل ، فصعد موسى » الخروج ١٩ : ٢٠ « ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات » الخروج ١/٢٠ « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكنهة بنى لاوى حاملى عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل » سفر التثنية ٩/٣١ .

ان اللفظ بحرف مما يقولون ، ولكنى لا أصل الى اظهار جميع مخازيهم  
وما يسرون من فضائحهم ، الا بالاخبار عنهم والحكاية منهم « (١) » .

#### ١ - نوح - عليه السلام - في التوراة والقرآن :

تصور التوراة نوحا - عليه السلام - على أنه رجل خمر وسكر ،  
يعاقر الخمر حتى تدور برأسه .. وتذهب بعقله . ، فيتعرى .. وتنكشف  
سواته ، فيراه ابنه حام على هذا الحال المزرى .. فيخبر أخويه بذلك ..  
وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام ، ويحكم عليه بالعبودية  
والمذلة لأخويه .

« ... وابتدا نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما ، وشرب منه الخمر ،  
فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر  
أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا  
الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما الى الوراء ، فلم يبصرا عورة  
أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال :  
ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته ، وقال : مبارك الرب اله سام .  
وليكن كنعان عبدا لهم « (٢) » .

هذه هي صورة نوح عليه السلام ، التى يرى اليهود والنصارى أن  
الله قد كلم بها موسى عليه السلام ، ثم كتبها موسى ووضعها في التوراة ،  
ووضع التوراة في التابوت ، وسلمها لبني اسرائيل ، وجعل الهارويين من  
بني لاوى - أحد أسباط بني اسرائيل الاثنى عشر - حفظة لها وحراسا  
عليها .

وأحسب من جانبى - أن الأمر لا يعدو أن يكون تاويلا لنظرية بنى

---

(١) الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، بتحقيقنا ، ونشر دار  
الصحوة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ وقد نقل ابن حزم صاحب ( الفصل فى الملل  
والأهواء والنحل ) ، هذه العبارة عنه ، انظر ج ١ ص ٣٢٨ .  
(٢) سفر التكوين ٩ : ٢١ - ٢٦ .

اسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات ...  
ووراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثنان شنيعان خسيان ، هما :

اولهما - تاصيل اصطفاء السلالة الاسرائيلية ورفعها - عرقيا  
وعنصريا - فوق الكنعانيين اعدائهم التقليديين ؛ ذلك أن الكنعانيين انهم  
الا الفلسطينيين أصحاب الأرض التي استولى عليها بنو اسرائيل ....  
وكانت بينهم دماء وحروب وثورات !!

ثانيهما - التشنيع على أول رسل الله نوح عليه السلام والتشغيب  
عليه ، تنفيذا لخطتهم الخبيثة في تشويه صورة كرام البشر عموما ، ورسل  
الله خصوصا ، على ما سيذكر ان شاء الله .

أما صورة نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم ، فهي - على عكس  
ما جاء في التوراة - فهي صورة وضيئة مشرقة ، فهو - عليه السلام -  
أول رسل الله الى الناس (١) ، وهو من صفوة الصفوة ، وخلاصة  
الخلاصة ، فهو واحد من أولى العزم من الرسل الكرام :

« واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى  
وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (٢) .

يلق العلامة الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله : ان الله قد أخذ عليه  
العهد والميثاق في اقامة دين الله وابلاغ رسالته والتعاون والتناصر (٣) .  
هذا وقد أرشد الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر أولو العزم  
ومنهم نوح عليه السلام .

---

(١) روى البخارى في حديث الشفاعة « ... يا نوح أنت أول الرسل  
الى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا ، أشفع لنا الى ربك » انظره  
في فتح البارى شرح صحيح البخارى ج٦ / ص ٣٧١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٧ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ص ٣٨٣ طبعة دار  
الشعب بمصر .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (١) .

ويشهد الله عز وجل بأن نوحا كان عبدا شكورا :

« ... ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا » (٢) .

وان الله عز اسمه قد اصطفى نوحا وهداه الى صراطه المستقيم .

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على

العالمين » (٣) .

« ونوحا هدينا من قبل » (٤) .

وقد أطلق اسمه على سورة من سور القرآن العظيم ؛ تنويها بشأنه ،  
واعلاء لذكره ، وثناءه عليه ، وتشريفا له ، فهو عليه السلام ، قد أنعم الله  
عليه ، وهداه ، واصطفاه ، واجتباه ، ووثقه على تبليغ رسالته الى  
عباده (٥) . . فكيف يذكر الله تعالى - فيما تفتريه التوراة على الله -  
انه كان سكيما عريدا متعتكا متعريا كاشفا لعورته ؟ ! ، او كيف يسوغ  
في العقل - لغير متصون أن يلعن ابنه لانه اطلع على عورته . . وهل يعقل  
أن يكتب موسى عليه السلام هذا الكلام عن أخيه نوح عليه السلام . . .  
وهل يرضى هذا لنفسه واحد من كرام الناس !! فضلا عن صفوة الناس ؟ . .  
لكنه الحق الفريسي الاسرائيلي على خيرة البشر وهداتهم !!

وهل أصبح أبناء حام عبيدا كما جاء في التوراة على لسان نوح ؟  
يعلق ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ على ذلك بأسلوبه الساخر  
المعروف متهمكما بواضع التوراة ، فيقول :

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥ .

(٢) الاسراء / ٣ .

(٣) آل عمران ٣٣ .

(٤) الأنعام ٨٤ .

(٥) وذكر نوح عليه السلام في سورة النساء / ١٦٣ ، الأعراف / ٥٩ ،

يونس / ٧١ ، هو / ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، الأنبياء

٧٦ ، مريم / ٥٨ ، المؤمنون / ٢٣ ، العنكبوت ١٤ ، الأحزاب ٢٧ ،

الشورى ١٣ ، الحديد ٢٦ ، الصافات ٧٥ ، ٧٩ ، نوح ١ ، ١٢ ، ٢٦ .

» ... ثم نسي المحرف ، وقال بعد ستة أسطر : ( بنو حام هم : كوش ، ومصر ايم ، وفرحا ... الخ وكوش بن حام ولد له نمرود الذى ابتداء يكون جبارا فى الأرض .. وكان أول مملكته بابل ) فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح عليه السلام !! لأن أبناء حام صاروا ملوكا على أبناء سام ، ولم يصبحوا عبيدا كما حكم نوح على أبناء حام بزعمهم ( ١ ) !!

## ٢ - لوط - عليه السلام - فى التوراة والقرآن :

تذكر التوراة أن لوطا ، عليه السلام - قد تلكأ فى الاستجابة لأمر الله له بالخروج من المدينة التى حل عليها عذاب الله ، وقد دفعه الملكان دفعا للخروج ، وتزعم التوراة كذلك أن امرأته قد نجت معه :

» ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين : قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة ، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه .. وأخرجاه ، ووضعاه خارج المدينة « ( ٢ ) .

ليس هذا فحسب ، لكن التوراة الفريسية تأبى إلا أن تمرغ وجه لوط - حاشاه - فى الوحل ، فتنسب اليه ، عليه السلام - جريمة معاقرة الخمر ، والسكر ، والزنى بابنتيه !! والانجاب منهما سفاحا ! وهبذا مما ياباه لأنفسهم شرار الخلق وأراذلهم فما بالك بالرسل الأئمة الهداة ؟ !

» ... وصعد لوط من صوعر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوعر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه ،

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض !! ، هلم نسقى أبانا خمرا ، ونضطجع معه ؛ فنحى من أبينا نسلا !! ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !!!

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : انى قد اضطجعت البارحة

---

( ١ ) ابن حزم : الفصل ، ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ .

( ٢ ) سفر التكوين ١٩ : ١٥ - ١٧ .

مع أبى ، تعالى نسقيه خمرا الليلة أيضا ، فادخلى عليه ... اضطجعى معه ، فنحى من أبينا نسلا !! فسقتا أباحما خمرا فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !! ، فحبلت أبنتا لوط من ابيهما !! ، فولدت البكر ابنا دعت اسمه موآب ، وهو أبو الموابيين الى اليوم ، والصغيرة ولدت أيضا ابنا دعت اسمه : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون الى اليوم ( ١ ) .

ولا ريب أن هذا تحريف اسرائيلى باعته : وصم أعدائهم التقليديين : بنى موآب وبنى عمون ، وأى جريمة أفحش أو أقذع من كونهم أبناء زنى ، وأى زنى !! وكذلك وصم لوط عليه السلام بكل هذه الخساعات والمناكر !! ، وأيضا الطعن فى شرف نبي الله داود عليه السلام ؛ لأن جدته لأمه كانت من بنى موآب !!

ويعلق على ذلك حبر من كبار أحبار يهود بعد أن شرح الله صدره للإسلام فى نهاية القرن السادس الهجرى ، فيكشف غرضهم الخبيث من وراء دس هذه القصة الوقحة فى التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام ، فيقول :

« هذه الحكاية منسوبة الى لوط النبى فى التوراة الموجودة بأيدى اليهود فلم يقدرُوا على جحدها ، فيلزمهم من ذلك أن الولدين ( ممزريم ) ( يعنى أولاد زنى ) اذ توليدهما على خلاف المشروع .

واذا كانت روث ( راعوث ) من ولد موآب ، وهى جدة داود عليه السلام ، وجدة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوهم جميعا من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .

« وأيضا ، فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة ، وقد سقى خمرا حتى سكر سكرًا حال بينه وبين معرفة ابنتيه ، فضاجعته احداها

واستنزلت منيه ، وقامت عنه وهو لا يشعر كما نطق كتابهم ، وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحبل ؛ لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب حسه لفرط سكره ، ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية ، فعلقت أيضا ، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم في ليلة ، ويعلق منه أيضا في الليلة الثانية .

« الا أن العداوة التي مازالت بين بنى عمون وموآب وبين بنى اسرائيل ، بعثت واضع هذا الفصل على تليفق هذا المحال ؛ ليكون أعظم الاخبار فحشا في حق بنى عمون وموآب .

« وايضا فان عندهم أن موسى جعل الامامة في الهارونيين ، فلما ولى طالوت ، وثقلت وطأته على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر الى داود ، بقى في نفوس الهارونيين التشوق الى الأمر الذى زال عنهم ، وكان هذا عزرا خادما لملك الفرس ، حظيا لديه ، فتوصل الى بناء بيت المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم .

« فلما كان ( عزرا ) هارونيا ، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودى ، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود : أحدهما : قصة بنات لوط ، والآخر : قصة شامار ....

« ولقد بلغ - لعمرى - غرضه ؛ فان الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس ( بعد عودتهم من الأسر البابلى المعروف ) لم يملك عليهم فيها داوديون ؛ بل كانت ملوكهم هارونيين » ( ١ ) .

وان قالوا : لا ملامة على لوط في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ، قلنا : كيف عمل اذا رآهما حاملتين ؟ ! واذا رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشده ؟ ! واذا رآهما تربيان أولاد الزنى ؟ !

---

( ١ ) انظر للمهتدى : السموأل بن يحيى المغربى ت ٥٧٠ هـ ، كتابه القيم : « افحام اليهود » بتحقيقنا ، ، ونشر دار الهداية بالقاهرة ، ١٤٠٦ هـ



هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى  
وبرسلة عليهم السلام (١) .

أما لوط ، عليه السلام ، في القرآن ، فقد فضله الله - مع اخوانه  
الرسل - على العالمين :

« واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » (٢) .

وما يدعو للدهشة والغرابة أن دعوة لوط في جوهرها دعوة للطهر  
والعفاف والسمو بقومه عن وهدة التمرغ في الشذوذ الجنسى ، والارتكاس  
في وجل الرذيلة والفجور الفاحش ؛ فوصمه بنو اسرائيل بما جاء ليظهر  
الناس منه !!

« ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من  
العالمين ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ،  
وما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوهم من قريبتكم انهم أناس يتطهرون ،  
فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطرا فساء  
مطر المنذرين ، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » (٣) .

هؤلاء المجرمون يشهدون أن لوطا كان من المتطهرين ، وبنو اسرائيل  
يتهمونه بأبشع أنواع الفسوق والشذوذ !!

ولقد كان لوط من الصالحين ، وآتاه الله حكما وعلما ، وأنجاه الله  
من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، انهم كانوا قوم سوء فاسقين ،

« ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ،  
انهم كانوا قوم فاسقين ، وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين » (٤) .

---

(١) ابن حزم : الفصل ، ج ١ ص ٢٢٤ .

(٢) الأنعام ٨٦/ .

(٣) لأعراف ٨٠ - ٨٤ .

(٤) الأنبياء ٧٤ - ٧٥ .

ولقد كان لوط قاليا لفسوق قومه :

« قال انى لعملكم من القالين » (١) •

ويؤكد القرآن الكريم رسالة لوط ، وإن الله قد شهد في حقه أنه كان من المحسنين (٢) ، فكيف يسعى محرفو التوراة الى وصمه عليه السلام بابشع الرذائل !! انهم زنادقة مبالغون في الاستخفاف بالله تعالى ورسله عليهم السلام •

٣ - اسحاق ويعقوب ، عليهما السلام ، في التوراة والقرآن :

قد يسبق الى خاطر ان محاولة كتبة التوراة تجريد اسماعيل من شرف التضحية والفداء - في قصة الذبح - ومنحها الى اسحاق (٣) ، ان اسحاق عليه السلام قد نجا من محاولة التشويه والتدنيس ، التى عقدوا العزم على رمى الانبياء جميعا بها !!!

وواقع الحال عكس ذلك قطعا ، فاسحاق - في التوراة - رجل خب تسهل خديعته والاحتتيال عليه !! ، ولكن ممن يخدع ؟ من ابنه يعقوب • فينسبون الى يعقوب أنه كذب على أبيه ، واحتال ، وتخابث ، وسرق أو استلب بركة أخيه البكر عيسو التى استحقها من أبيه لبكورته طبقا للقواعد التوراتية ؛ جاء في سفر التكوين :

« ... حدث لما شاخ اسحاق ، وكلت عيناه عن النظر ، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا بنى انى قد شخت ، ولست أعرف يوم وفاتى ، فلان خذ عدتك ... اخرج الى البرية ، وتصيد لى صيدا ، واصنع لى طعاما كما أحب ، وأتنى به لاكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت •

« وكانت رفقة ( أم يعقوب وعيسو ) سامعة اذ تكلم اسحاق مع عيسو

---

(١) سورة الشعراء / ١٦٨ •

(٢) هود ٧٧ - ٨١ ، النمل ٥٤ - ٥٦ ، العنكبوت ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ،

٣٣ ، الصافات ١٣٣ •

(٣) انظر كتابنا ( فى مقارنة الأديان ) •

ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كى يصطاد صيدا ليأتى به ، وأما رفقة  
كلمت يعقوب ابنها قائلة : انى سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : ايتبنى  
بصيد وأطعمة لآكل وإباركك أمام الرب قبل وفاتى .. فالآن يا بنى اسمع  
لقولى : اذهب الى الغنم ، وخذ لى جديين جيدين من المعز ، فاصنعهما  
لأبيك كما يحب ، فتحضرها الى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .

» فقال يعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخى رجل أشعر ، وأنا رجل  
املس ، ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى  
لعنة لا بركة ، ... وأخذت رفقة بثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى  
كانت عندها فى البيت ، وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه  
وملاسة عنقه جلود جديى المعز ، وأعطت الأطعمة التى صنعت فى يد  
يعقوب ابنها .

» فدخل الى ابيه وقال : يا أبى . فقال : من أنت يا ابنى ؟ فقال  
يعقوب لأبيه : أنا عيسو بركك ، قد فعلت كما كلمتنى ، قم اجلس وكل من  
صيدى لكى تباركينى نفسك .. فقال اسحاق ليعقوب : تقدم لأجسك يا بنى :  
أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟ ، فتقدم يعقوب الى اسحاق ، فجسه ، وقال :  
الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه ، فباركه ،  
وقال : كن سيدا لاختوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ،  
ومباركوك مباركين « ( ١ ) .

بعد أن يفرغ قارئ هذا الفصل من قراءته يخيل اليه قطعاً انه أمام  
قصة بوليسية مما يؤلف عن الصعاليك والشطار والعيارين ، ولا ينقذ  
فى خاطره قطعاً انه يقرأ وحياً اليها يتعلق بنبى ابن نبى ، كتبه نبى ، عن  
الله عز وجل !!

وقد علق العلامة ابن حزم على ذلك بقوله :

فى هذا الكلام فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ، وأول ذلك :

---

( ١ ) سفر التكوين ٢٧ : ١ - ٤٥ .

اطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد  
عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبي مع أبيه  
النبي أيضا ؟!! .. هذه سوءات مضاعفات .

وثانية : هي اخبارهم أن بركة يعقوب انما كانت مسروقة مأخوذة  
بغش وخديعة وتخابث ، وحاش للأنبياء عليهم السلام من ذلك . ولعمري  
انها لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع ، الا الشاذ .

وثالثة : وهي اخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه ، وأعطى نعمته  
على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهي التي لا يشك أحد في أن اسحاق عليه السلام اذ بارك  
يعقوب اذ خدعه - بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهوس - انما قصد  
بتلك البركة عيسو ، وله دعا ؛ لا ليعقوب ، فأى منفعة للخديعة هنا لو  
كان لهم عقل ؟ ! .

وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا ؛ من ذلك :

نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام ، وهو نبي الله تعالى ورسوله  
في أربعة مواضع : أولها : قوله لأبيه اسحاق « أنا عيسو ابنك بركك » فهذه  
كذبتان في نسق ؛ لأنه لم يكن ابنه عيسو ، ولا كان بركه .

وثانيه : قوله لأبيه : صنعت جميع ما قلت لي ، فأجلس وكل من  
صيدى ، فهذه كذبتان في نسق ؛ لأنه لم يكن قال له شيئا ، ولا أطعمه من  
صيد (١) .

وكذبة أخرى : وهي بطلان بركة اسحاق ، اذ قال له : تخدمك الأمم ،  
وتخضع لك الشعوب ، وتكون سيد اخوتك ، ويسجد لك بنو أمك .  
ومعلوم أن ذلك لم يقع والذي تحقق عكس ذلك تماما ، في أكثر أيام بنى  
اسرائيل ، كما نص عليه في كتبهم .

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٩  
( بتصرف يسير ) .

ولم يقف كتبة التوراة مع نبي الله يعقوب ( اسرائيل ) عليه السلام عند هذا الحد ؛ لكنهم ذكروا أنه احتال على أخيه عيسو ، وابتاع منه بكوريته ، فجرده من البركة والبكورية معا ( ١ ) ، وقد صرخ عيسو متحسرا على ذلك ، فقال :

« ... أخذ بكوريتي ، وهو ذا الآن قد أخذ بركتي !!! » ( ٢ ) .

وجاء في سفر اشعيا ، وفي سفر ميخا - من أسفار العهد القديم - أن يعقوب قد عصى الله ، وأثقل عليه بأثامه ، وأتعبه :

يزعمون أن الله قد قال ليعقوب : « أنت لم تدعني يا يعقوب ، ... ولم تحضر لى شاة .. ، ولم استخدمك بتقدمة ، .. لكن استخدمتني أنت خطاياك ، واتعبتني أثامك » ( ٣ ) .

ويظهر كتبة التوراة يعقوب في صورة الرجل الخب الذي يخدع ويخدع ، فقد خدعه ( لابان ) خاله ، وزوجه ( ليئة ) بدلا من ( راحيل ) ، وأدخله عليها دون نكاح صحيح ( ٤ ) .

وقد خدع يعقوب قلب لابان الآرامى ؛ إذ لم يخبره أنه هارب ، فهرب وكل من كان له ( ٥ ) .

وقد سرقت زوجته أصنام أبيها ، وكذبت عليه وعلى زوجها ( ٦ ) .  
كما ينسب كتاب التوراة حوادث زنى متكررة في بيت يعقوب ، فقد زنى شكيم بن حمور بابنة يعقوب « دينا » ( ٧ ) . واضطجع ابنه راوين سفاحا مع سرية أبيه ( ٨ ) ، وكذلك يهوذا يزنى بثامار ( ٩ ) ؛ مما يعكس صورة ملطخة بالرديلة والفجور والدعارة لبيت يعقوب عليه السلام !!

والحق ان عجب قارئ التوراة - المنسوبة الى موسى عليه السلام والتي

---

( ١ ) سفر التكوين ٢٥ : ٣١ - ٣٩ . ( ٢ ) سفر التكوين ٣٧ : ٣٦ .

( ٣ ) سفر اشعيا ٤٣ : ٢٢ - ٢٤ ، وسفر ميخا ١ : ٢ - ٨ .

( ٤ ) سفر التكوين ٢٩ : ٢٥ - ٢٦ . ( ٦ ) التكوين ٣١ : ٣٤ / ٣٥ .

( ٥ ) سفر التكوين ٣١ . ( ٧ ) التكوين ٣٤ / ٣٥ .

( ٨ ) التكوين ٣٥ / ٢٢ .

( ٩ ) التكوين ٣٨ : ٦ - ١١ ، ٣٤ - ٣٥ .

يؤمن بها اليهود والنصارى جميعا - لا ينفذ ، من الصورة الكالحة البشعة التي رسمها هؤلاء الأنذال ليعقوب عليه السلام ؛ ان يعقوب هو ( اسرائيل ( ١ ) الذي ينتسب اليه بنو اسرائيل ، ومنهم هؤلاء الزنادقة الكفرة الذين كتبوا لهم أسفارهم تلك .

واذا كان أبوهم - اسرائيل - كاذبا محتالا سارقا ، وإذا كانت بركته وبكوريته قد سلبها من أخيه بالتخابث والخديعة ، فما يبقى له من فضل وفضيلة ؟ وماذا يبقى لبنيه من بعده ؟

اما اسحاق في القرآن الكريم فانه قد بشر الله به ابراهيم حين اراد ان يذبح أخاه اسماعيل ، وقد اصطفاه الله لرسالته ، وهداه ، وهو « من المصطفين الأخيار » ( ٢ ) « أولى الأياد والأبصار » ( ٣ ) ، وهو « من الصالحين » ( ٤ ) .

أما يعقوب ( اسرائيل ) فقد اثنى الله عليه وعلى أبيه فقال :  
« ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » ( ٥ ) .

فهو من العابدين الصالحين ، وهو امام يهدى بأمر الله ، وقد أوحى الله اليه فعل الخيرات ... وكان من المهتدين ( ٦ ) . يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة .  
« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دُون الله ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لسان صدق عليا » ( ٧ ) .

---

( ١ ) وسمى يعقوب اسرائيل لانه تغلب على ملاك الرب ، وجاهد ملاك الرب وصمد أمامه أو جاهد الرب وصمد أمامه ، أو صرع ملاك الرب . . . حسبما جاء في كتبهم من تفسير لهذا ، انظر سفر التكوين .

( ٢ ) سورة ص ٤٨ . ( ٣ ) ص ٤٥ .

( ٤ ) سورة الصافات ١١٢ ، الأنبياء ٧٢ .

( ٥ ) سورة الأنبياء ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر الآية ١٦٣ من سورة النساء .

( ٦ ) الأنعام ٨٤ .

( ٧ ) سورة مريم ٤٩ - ٥٠ .

فاسرائيل - فى القرآن - له لسان الصدق ، أمين على النبوة والوحى (١) ، وله فى كتب بنيه لسان الكذب والاحتيال والخديعة !! ونعوذ بالله من الخذلان ، فقد حق فيهم قول الله عز وجل :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » (٢) .

وصدق الله ، فسوف يلقون غيا .

ء - موسى وهارون ، عليهما السلام ، فى التوراة والقرآن الكريم :

تذكر التوراة أن موسى ، عليه السلام ، أبان الخروج من مصر قد أمر بنى اسرائيل بنهب جيرانهم من المصريين ، وسلب امتعتهم ، والتحايل على ذلك :

« ... فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ؛ بل تطلب كل امرأة من جارتها ( المصرية ) ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » (٣) .

وكرام الناس لا يأمرؤن أتباعهم بالنهب والسلب والاحتيال لذلك .

وليت التوراة انتهت عند هذا الحد !! لكنها وجهت الى موسى - اعظم أنبياء بنى اسرائيل قاطبة - وإلى أخيه وشريكه فى الأمر هارون ، عليهما السلام ، جريمة خيانة الرب عز وجل !! وعدم تقديسه أو عدم الايمان به ايمانا عميقا !! ، وتذكر التوراة - الحالية - ذلك عن موسى صراحة دون موارد ، وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقابا لهما على اثمهما وخيانتهم الرب وسط بنى اسرائيل :

« فقال الرب لموسى وهارون :

من أجل أنكم لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى أعطيتهم اياها » (٤) .

---

(١) سورة العنكبوت ٢٧ . (٣) سفر الخروج ٣ : ٢١ - ٢٢ .  
(٢) سورة مريم ٥١ . (٤) سفر العدد ٢٠ : ١٢ - ١٣ .

### وجاء في سفر التثنية :

« وكلم الله موسى . . . قائلا : اصعد الى جبل عفاريم في أرض موآب الذى قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا ، ومت في الجبل الذى تصعد اليه ، وانضم الى قومك ، كما مات هارون من قبل في جبل هور ، وضم الى قومه ؛ لأنكما خفتماني في وسط بني إسرائيل عند مربية قادش في برية صين ؛ اذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل ؛ فانك تنظر الأرض من قبلتها ، ولكنك لا تدخل الى هناك ، الى الأرض التى أنا أعطيها لبني إسرائيل » (١) .

لم يكف كاتب التوراة ذلك ؛ بل نسب الى موسى عليه السلام أنه هو الذى صنع لبني إسرائيل الحية النحاسية التى قدسها الاسرائيليون ونذروا لها ، وقدموا لها الذبائح ؛ حتى جاء حزقيا ابن آحاز ملك يهوذا فسحقها : « وسحق ( حزقيا ) حية النحاس التى عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها نحشتان » (٢) .

أما هارون شريك موسى عليهما السلام ، فقد كال له واضع التوراة ، فأوفى المكيال اذ اتهمه بخيانة الرب - كما مر - وخيانة موى أخيه ، فترك أخاه يذهب الى الجبل ليتلقى الهداية من ربه ، فاستغل الفرصة وصنع لبني إسرائيل عجلا ذهبيا صنما وأمرهم بعبادته ، وعبدوه معهم ، وبني له مذبحا ، وعيد له عيدا ، وذبح له ، جاء في سفر الخروج :

« . . . ولما رأى الشعب أن موسى أبطا في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا ؛ لأن هذا موسى الرجل الذى أصدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه !! ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى في آذان نسائكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى في آذانهم وأتوا بها الى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالازميل ، وصنعه عجلا

---

(١) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٢ .

(٢) سفر الملوك الثانى ١٨ : ٤ .



مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصدتكَ من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هارون وقال : غدا عيد الرب ( يعنى للعجل الصنم ) فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة « (١) .

هارون عليه السلام - فى زعم المبطلين كتاب التوراة - يصنع عجلا لها لبنى اسرائيل ويصوره بالازميل ، والله قد أمرهم فى الوصايا العشر قائلا : « لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة » (٢) .

فلم يجد النذل واضع التوراة لموسى وهارون عليهما السلام جريمة مناسبة يفتريها عليهما ، فوصمهما بخيانة الرب والتقصير فى تقديسه امام شعب اسرائيل ، وصنع العجل الصنم ، والحية النحاسية ليتعبدا بها بنى اسرائيل !!

أما صورة موسى عليه السلام ، فى القرآن الكريم فأبرز قسماؤها الجلال والبهاء والرسالة والنبوة والوحى وكلام الله عز وجل . وشتان شتان بين صورته فى التوراة التى تنسب - زورا وبهتانا - اليه ، وبين صورته فى القرآن الحكيم . فهو - فى القرآن - قد جمع الله له النبوة والرسالة ، وهو من أولى العزم من الرسل ، فهو من الخمسة الكبار فى جلدتهم وصبرهم واحتمالهم وطاعتهم ... صبر على فرعون المتاله الجبار ، وصبر على قومه ذوى اللجاج والعناد والفساد والافساد ، ولقد أفاض القرآن فى سوق قصت العجيبة ووصف سجاياه الكريمة (٣) ما لم يفض به فى قصة رسول آخر.

---

(١) سفر الخروج : الاصحاح الثانى والثلاثين كله .

(٢) سفر الخروج ١٧/٣٤ .

(٣) انظرها فى سورة البقرة ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٩٢ ،

١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، آل عمران ٨٤ ، النساء ١٥٣ ، ١٦٤ ،

المائدة ٢٠ ، ٢٦ ، الأنعام ٨٤ ، ١٥٤ ، الأعراف ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ،

يونس ٧٥ ، ٨٩ ، هود ١٧ ، ٩٦ ، ١١٠ ، براهيم ٥ ، ٦ ، ٨ ، الاسراء

٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، الكهف ٦٠ ، ٦٦ ، مريم ٥١ ، طه ٩ ، ٩٨ ، الأنبياء

=

وهو أعظم أنبياء بنى اسرائيل الذى أنزل الله عليه التوراة والصحف ،  
وآتاه الله الكتاب والفرقان والبيّنات ، وآتاه الله سلطانا مبينا ، وهو كليم  
الله كلمه سبحانه مباشرة تكريما له وتشريفا : « وكلم الله موسى  
تكليما » ، وقد اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسلطان  
مبين .

« قال يا موسى انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما  
آتيتك وكن من الشاكرين » (١) .

هذه صورة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم ؛ صورة الجلال والكمال  
والرفعة والطاعة لله والأمانة على كلامه ووحيه .

وليس بغريب على بنى اسرائيل الذين وصموا أباهم بكل خسيّة ، أن  
يصموا أعظم رسلهم موسى عليه السلام الذى قادهم فى خروجهم من مصر ،  
وخلصهم من عبوديتهم لفرعون وعذابه المهين .

أما هارون فكان نبيا من أنبياء الله أوحى اليه مع أخيه :

« وأوحينا الى موسى وأخيه » (٢) .

بعثه الله الى فرعون مع موسى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون  
الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا » (٣) .

وقد شد الله به أزر موسى أخيه وأشرکه فى أمر رسالته :

« واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشرکه فى  
أمرى » (٤) .

=

٤٨ ، الحج ٤٤ ، المؤمنون ٤٥ ، الفرقان ٣٥ ، شعراء ١٠ ، ٦٦ ،  
النمل ٧ ، ٩ ، ١٠ ، القصص ٣ ، ٤٨ ، ٧٦ ، العنكبوت ٣٩ ، السجدة  
٢٣ ، الأحزاب ٧ ، ٦٩ ، الصافات ١١٤ ، ١٢٠ غافر ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٣ ،  
فصلت ٤٥ ، الشورى ١٣ ، الزخرف ٤٦ ، الأحقاف ١٢ ، ٣٠ ، الذاريات  
٣٨ ، النجم ٣٦ ، الصف ٥ ، النازعات ١٥ ، الأعلى ١٩ .

(١) سورة الأعراف ١٤٤ . (٢) سورة يونس ٧٥ .

(٣) سورة يونس ٨٧ . (٤) سورة طه ٢٩ - ٣٢ .

وقد برأ القرآن الكريم ساحة هارون ، فذكر أن الذى صنع لهم العجل هو السامرى ؛ أما هارون النبى فقد نهاهم وحذرهم ، وبذل جهده فى منعهم حتى كادوا أن يفتكوا به ويقتلوه .

« قال فانا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامرى » .

« فكَذَلِكَ الْقَى السَامِرَى فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا الْهَكَمُ وَالْهَ مُوسَى » .

« وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِ وَأَطِيعُوا أَمْرِي » . قالوا : لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

« قَالَ : فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ » . قال : بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى « (١) » .

وهارون فى القرآن الكريم من المؤمنين (٢) المحسنين (٣) ، وليس من الخائنين للرب كما فى التوراة الحالية المنزورة التى تذكر أيضا أن هارون ومريم أخته قد قاما معاندين لموسى من أجل امراته الكوشية :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ؛ لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! ألم يكلمنا نحن أيضا ... ؟ ! الخ » (٤) .

#### ه - داود عليه السلام فى التوراة والقرآن :

لم يكن داود - عليه السلام - فى نظر كتاب أسفار العهد القديم - إسرائيليا خالصا ؛ فهو ينحدر - من جهة أمه من مؤاب ، ونقاء النسب من جهة الأم خصوصا قضية بالغة الأهمية فى التراث اليهودى ؛ فلا يعتبر يهوديا خالصا ، أو لا يعد يهوديا مطلقا من كانت أمه غير يهودية ، وجدة داود عليه السلام ( راعوث ) مؤابية كما ذكر من قبل .

---

(١) انظر القصة كاملة فى سورة طه ، الآيات من ٨٤ - ٩٧ .

(٢) الصافات ١٢٢ . (٣) الصافات ١٢١ .

(٤) سفر العدد ١٢ : ١ ، وسفر الخروج ٢ : ١٦ - ٢٢ .

ويظهر أن واضعى أسفار العهد القديم كانوا فى غاية الحرص على اثبات ذلك وتقريره ، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم برأسه ووقفه على بيان هذا النسب وتفصيله (١) . وقد عرفنا من حديث التوراة عن لوط - فى سفر التكوين - أن موآب - أصل الموابيين - فرخ زنى ، فهو قد نتج من مضاجعة بنت لوط البكر أباه لوطا النبى - حاشاه - بعد أن سقته الخمر ، فأفقدته وعيه ، فواقعته !!

وخلاصة القول تنحصر فى أن نسب داود عليه السلام مطعون فى اسرأئليته ؛ بل مطعون فى شرفه وحصانته فى ذات الوقت !!

ويبدو جليا أن النذل الموصغ واضع أسفار العهد القديم الحالية ، يلح الحاحا ، ويتهافت تهافتا على تلطيخ شرف داود عليه السلام الذى جمع الله له النبوة والملك معا ، فوصمه بأحط المناكر وأرذلها دركة ولم يكتف بما مر من اتهامه بأنه سليل زنى ، فحدث عن بيت داود ، وصوره على أنه بيت زنى وفسوق ودعارة وفجور !!! ، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك ... فهاهم أولاده يزنون بأخواتهم ، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب !! فأمنون ابنه يزنى باخته ثامار (٢) ، وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك ، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع اسرأئيل !! (٣) .

هذا عن بيت داود عليه السلام ، أما هو نفسه فان مؤامرة العهد القديم عليه أدهى وأمر ، وأشنع وأفحش وأواضر ، فهو فى نظر بنى اسرأئيل ... ماذا أقول ؟ ! ان لسانى لينعقد ، وان قلمى ليكاد يقفز من يدى ، وأفضل من أن أقول شيئا أن تقرأ هذا النص الذى أورده سفر صموئيل الثانى ، وقد نقلته لك كاملا :

» ... وأما داود فأقام فى اورشليم ( وقد أرسل جيشه بقيادة موآب

---

(١) هو سفر راعوث ، وعدد اصحاباته ( فصوله ) أربعة ، ويشغل من ص ٤٢٠ - ٤٢٥ فى طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م .

(٢) سفر صموئيل الثانى ١٣ : ١ - ٢٢ .

(٣) سفر صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ - ٢٣ .

ومعه الشعب الاسرائيلى للجهاد فى سبيل الله ومقاتلة اعدائهم بنى عمون ( وكان فى المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا .

فارسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى ؟ . فارسل داود رسلا ، وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها ، وهى مطهرة من طمئتها !! ثم رجعت الى بيتها .

وحبلت المرأة !! ، فارسلت ، وأخبرت داود ، وقالت : انى حبلت .

فارسل داود الى يوأب يقول : أرسل الى أوريا الحثى . فارسل يوأب أوريا الى داود . فأتى أوريا اليه ، فسأل داود عن سلامة يوأب ، وسلامة الشعب ونجاح الحرب !!

وقال داود لأوريا : أنزل الى بيتك واغسل رجلك .

فخرج أوريا من بيت الملك ، وخرجت وراءه حصاة من عند الملك .

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته !! فاخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا الى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لا تنزل الى بيتك ؟

قال أوريا لداود : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوأب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا أتى الى بيتى لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر !!

وفى الصباح كتب داود مكتوبا الى يوأب وأرسله بيد أوريا ، وكتب فى المكتوب يقول :

أجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت !! . . ( ففعل يوأب ) . . ، ومات أوريا الحثى !! . . .

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلمها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته (١) . .

وعزى داود بتشبع ، ٠٠ ودخل اليها ، واضطجع معها ، فولدت ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (١) . وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب « (٢) » .

فالاغتصاب ، والزنى ، والخيانة ، وفقدان المروعة ، والتحايل والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح ، ثم قتل أوريا الحثى زوج المرأة ، كل ذلك مناكر خسيصة يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم ، فضلا عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم ٠٠ فضلا عن سادتهم وأنبيائهم ورسلمهم !!

وان أوريا الحثى زوج بتشبع فى رأى بنى اسرائيل السذيين وضعوا اسفار العهد القديم ، أشرف ، وأوفر نبلا ، وأكثر مروعة ، وأحسن رفاء من داود ؛ اذ لم يسمح له خلقه وشهامته واخلاصه ان يذهب الى بيته ويستمتع بزوجته ، بينما جيش اسرائيل - ومعهم تابوت العهد - فى الخيام والخنادق يحاربون ٠ أما داود - عندهم - فرجل غير عابىء بذلك ، غير مستشعر لأدنى مسئولية ، همه ملذاته ونزواته !!

وانتهى كاتب هذا السفر الى غايته التى روى اليها ، وهى أن الرب قد قبح فى عينيه جدا ما فعله داود !! ، ومن ثم فقد أرسل ناثان اليه ليوبخه ويقرعه ويزجره زجرا شديدا ، ويضرب له مثل النعاج ، ويتوعده :

« فأرسل الرب ناثان الى داود ، فجاء اليه ، وقال له :

كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى ، والآخر فقير ، وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا ، وأما الفقير فلم يكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ...

« فجاء ضيف الى الرجل الغنى ، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذى جاء اليه ، فأخذ نعجة الرجل الفقير ، وهيا للرجل الذى جاء اليه .

« فحمى غضب داود وقال : حى هو الرب ؛ انه يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف ؛ لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤ .

(٢) سفر صموئيل الثانى ١١ : ٢٧ .

« فقال ناثان لداود : أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب اله اسرائيل :  
انا مسحتك على اسرائيل ، وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك .  
ونساء سيدك في حضنك ، وأعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا ، وان كان ذلك  
هليلا كنت أزيدك . . . لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه !!؟ ،  
قد قتلت أوريا الحثي بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة .

« والآن . لا يفارق السيف بيتك . وأخذك الى الأبد : لأنك احتقرتني . .  
هأنذا أقيم عليك الشر من بينك . وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك  
فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس !! » (١) .

يرمى كاتب هذا السفر الى تاريث عداوة اسرائيل لبيت داود ، وان  
يجعل ذلك حكما الهيا ، وان يهيج عليهم . ويوصل ذلك من الكتاب  
المقدس !!

أما داود - في زعمه - فلم ينزجر من كلام الرب وتهديده ووعيده ، بل  
تمادى في الغى - والعياذ بالله - وعزى بتشبع ، ودخل عليها ، واضطجع  
معها ، فولدت له ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (٢) .  
فسليمان عليه السلام - في هذا الكتاب الرقيع - ابن هذه المرأة !! التي  
قتل أبوه رجلها وزنى بها !!

هذا عن داود في شبابه !! ، أما عندما « شاخ الملك داود ، وتقدم في  
الأيام ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا  
الملك عن فتاة عذراء ، فلتقف أمام الملك ، ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع  
في حضنك ، فيدفأ مولانا الملك ، ففتشوا عن فتاة جميلة في جميع تخوم  
اسرائيل ، فوجدوا ابشج الشمونية ، فجاءوا بها الى الملك ، فكانت حاضنة  
الملك !! » (٣) .

هذا ، ولم يكن داود - في العهد القديم - مشفقا بالضعفاء والمعوقين ،  
بل كان مبغضا لهم ؛ بل أقصاهم من مدينة اورشليم (٤) .

---

(١) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ١ - ١١ .

(٢) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٢٤ .

(٣) سفر الملوك الأول ١ : ١ - ٤ . (٤) صموئيل الثاني ٥ : ٨ .

وتقابلك في القرآن الكريم صورة لداود عليه السلام - مقابلة لهذه الصورة التوراتية الدنسة . فالصورة القرآنية لداود طاهرة القسمات ، وضيئة الملامح . . فهو النبي الأبواب ذو الأيد ، « واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه وأواب » (١) .

قال قتادة : أعطى داود قوة في العبادة ، وفقها في الاسلام ، وقد ذكر انه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر (٢) ، وانظر ما ورد في البخارى عن عبادة داود ، وحب محمد صلى الله عليه وسلم لها (٣) .

ولقد كان داود بطلا مقداما فقد قتل عدو الله الجبار جالوت ، وقد آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .

« وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » (٤) .

وقد أنزل الله عليه زبوراً « وآتينا داود زبوراً » (٥) .

وقد أتى الله نبيه داود حكماً وعلماً ، وسخر الجبال يسبحن معه والطير مسخر له (٦) ، وقد فضله الله على كثير من عابديه المؤمنين (٧) . « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبى معه والطير ، والناله الحديد أن اعمل سابغات ، وقدر في السرد ، واعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير » (٨) .

« اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب ، انا سخرنا الجبال معه يسجن بالعشى والاشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٩) .

(١) سورة ص ١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٩ ، وانظر تفسير القرطبي ص ١٥٨

ج ١٥ .

(٣) فتح البارى ج ٦ ص ٤٥٥ . (٤) الأنبياء ٧٨ / ٨٠ .

(٥) سورة البقرة ٢٥١ . (٦) النمل ١٥ - ١٦ .

(٧) سورة النساء ١٦٣ . (٨) سورة سبأ ١٠ - ١١ .

(٩) ص ١٧ - ٢٠ .



اما مثل النعاج الذى ضرب لداود فى القرآن الكريم فى سورة  
( ص ) ( ١ ) وقصة تسور المحراب ، فلا يسوغ فى العقول الصريحة والفتن  
المستقيمة أن تفسر هذه الآيات بما جاء فى العهد القديم مما سقناه من  
ان داود قد اعتدى على زوجة جنديه أوريا الحثى ، ثم قتله وضمها الى  
نسائه ، ثم انجب منها سليمان عليه السلام .

كيف يسوغ هذا من داود وهو الأواب ، ذو الأيد ، الذى أعطاه الله  
فضلا وزبورا وحكمة وعلمًا وفصل خطاب ؟!

كيف يسوغ هذا منه وهو الذى له عند الله زلفى وحسن مثاب ؟ !  
وهو الذى سخر الله معه الكون يسبح بتسبيحه ؟ ! هذا لا يجوز الا فى  
عقل واضع الكتاب المذكور ؛ لنذالته ورقاعته ، وسوء طويته ، وفساد  
فطرته ، وخبث غرضه .

ولقد دست هذه القصة الاسرائيلية فى بعض كتب التفسير ، وينبغى  
أن نذكر هنا ما كتبه العلامة الحافظ ابن كثير :

« وذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم  
يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبى حاتم  
هنا حديثا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ، ويزيد  
وان كان من الصالحين الا أنه ضعيف عند الأئمة .

الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها الى  
الله عز وجل ، فان القرآن حق ، وما تضمنه فهو حق أيضا « ( ٢ ) .  
هذا ، وقد جاء ذكر داود عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن  
الكريم ( ٣ ) ، كلها مقرونة بالثناء والتبجيل والاكرام له من ربه عز وجل .

---

( ١ ) سورة ص ٢١ - ٢٦ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم ، ج ٧ ص ٧١ .

( ٣ ) انظر : سورة البقرة ٢٥١ ، النساء ١٦٣ ، المائدة ٧٨ ، الأنعام

٨٤ الاسراء ٥٥ ، الأنبياء ٧٨ - ٨٠ ، النمل ١٥ - ١٦ ، سبأ ١٠ - ١١

ص ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ .

والحق أن ما جاء في هذه الكتب - التي يقدسها اليهود والنصارى -  
عن رسل الله الكرام ، لهو خير دليل على تحريف هذه الكتب وتزويرها ،  
لأنه قد ثبت أن هؤلاء أنبياء ، والأنبياء لا تكون أخلاقهم كما جاء في هذه  
الكتب قطعا ؛ فما جاء فيها بشأن الأنبياء - موضوع محرف بالضرورة  
الملزمة (١) .

---

(١) انظر لنا : ( في مقارنة الأديان ) ص ١٩١ - ٢٣١ .

الأصل الخامس  
الإيمان باليوم الآخر



## الأصل الخامس : الايمان باليوم الآخر .

### المراد باليوم الآخر :

يطلق « اليوم الآخر » ويراد به عدة أمور تشمل : افناء هذا العالم ، ثم بعث من كانوا احياء وماتوا الى الحياة مرة اخرى ، ثم ما اخبر عنه القرآن الكريم والسنة المطهرة من حشر ، وحساب وصحف ، ووزن أعمال ، وصراط ، وحوض ، وشفاعة ، وثواب في الجنة ، وعقاب في النار والعياذ بالله . كما يشمل يوم القيامة : ما يكون بعد الموت من فتنة القبر ، وعذابه ، أو نعيمه . وقد استغرب الملحدون وأنكروا أصل هذه الأمور وهو بعث الأموات من قبورهم مرة اخرى . ومن ثم دلت القرآن على مكان البعث بأدلة قاطعة باهرة .

وهذه الأمور التي يطلق عليها « اليوم الآخر » : أمور سمعية ، أي أخبرنا بها الله تعالى في القرآن الكريم ، أو في السنة المطهرة ، وأمرنا الله تعالى أن نؤمن بها إيماناً صادقاً جازماً . وأن نعقد قلوبنا على التصديق بها ، والعمل من أجلها . فيجب على كل مؤمن بالله تعالى : الايمان بكل ما ورد - عن اليوم الآخر - طبقاً لما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة دون تزيد ودون نقصان ، ودون غلو أو تفريط ، وبلا تعمق في البحث عن الكيفيات والحقائق ، وعدم قياس تلك الأمور الغيبية على ما نعرفه في حياتنا الدنيا من أمور محسوسة مشاهدة . . . ، إنما على المؤمن أن يصدق ويسلم ، ويعتقد ، ويؤمن ، وأن ينظر في الأدلة الشرعية العقلية ، ولا يكلف نفسه مالا تستطيعه من كيفيات وحقائق : « فكل ذلك كائن على ما جاء به الخبر ، ووعد الله صدق ، وقوله حق ، وأما ما وراء ذلك مما لم يخبر الله عز وجل ، عنه فأمره إليه ، وهو أعلم بما هو فاعله » ( ١ ) .

اليوم الآخر في القرآن الكريم (١) :

لقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر ، واهتم بتقريره ، ونبه اليه ، وأكد وقوعه ، ودل على ذلك ببراہين يقينية - ومن بين مظاهر هذا الاهتمام القرآنى العظيم باليوم الآخر : انه يقرن ويربط الايمان بالله بالايمان باليوم الآخر فى آيات كثيرة جدا ، منها :

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » (٢) .

« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) .

« ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » (٤) .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » (٥) .

« اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » (٦) .

ولئن كان الايمان بالله يجيب على السؤال الفطرى الضرورى عز مصدر الوجود ، فان الايمان باليوم الآخر ، يقدم اجابة يقينية ثابتة عز السؤال حول المصير : الى أين ؟ ما النهاية ؟

لقد أكثر القرآن من ذكر اليوم الآخر ، حتى أنه لا تكاد تخلو سورة

---

(١) لقد انطلق علماءنا من اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر ، واقتدوا به ، فوضعوا مؤلفات كثيرة مستقلة عن اليوم الآخر ، لم يصلنا منها الا أقلها مثل : كتاب القرطبى المفسر ( التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة ) وطبع أخيرا فى دار الفكر ، ومنها : ( كتاب البعث والنشور ) للحافظ البيهقى ، وقد نشره الأخوان الدكتور عبد الفتاح الغاوى ، والدكتور أحمد يوسف نشره دار العروبة بالكويت ، كما درسه علماءنا فى أبواب ضمن كتبهم مثل الحليمى ، وابن أبى العز ، والأشعرى ، والباقلانى ، والماتريدى ، والجوينى ، والغزالى ، وابن تيمية ، ومن علمائنا المعاصرين : السيد سابق ، وأبو بكر الجزائري ، والدكتور نعيم ياسين ، وغيرهم .

(٥) التوبة ٢٩ .

(٦) العنكبوت ٣٦ .

(٢) البقرة ١٧٧ .

(٣) البقرة ٦٢ .

(٤) البقرة ٢٣٢ .

الا وفيها حديث عن اليوم الآخر (١) ، وما سيقع فيه من أحداث واحوال  
باساليب متنوعة كثيرة جدا ، فقد فصل الله القول فيه تفصيلا وصرفه  
تصريفا . وما ذلك الا اشعارا بأهميته ، وضرورته (٢) .

ومما يسترعى الانتباه ويستوقف النظر كثرة ما سماه الله من الأسماء  
التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من حوادث عظمى ، ووقائع  
كبرى وأهوال واحوال ، ومن أسمائه في القرآن الكريم :

القيامة ، والساعة ، والآخرة ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم  
الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم الخلود ، ويوم  
الخروج ، ويوم الحسرة ، ويوم التناد ، والآزفة ، والطامة ، والصاخة ،  
والحاقة ، والغاشية ، والواقعة ، والقارعة ، والبعث ، والنبأ العظيم ،  
الى غير ذلك من أسماء (٣) .

#### لماذا اهتمام القرآن باليوم الآخر ؟

يذكر الامام الحليمي أن : « في اعتقاده - يعنى اليوم الآخر -  
وانشراح الصدر به ، ما يبعث على ( طلب ) فضل الهبة من الله تعالى ،  
وقلة الركون الى الدنيا ، والتهاون بأحزانها ومصائبها ، والصبر عليها ،  
وعلى مفض الشهوات ؛ احتسابا وثقة بما عند الله تعالى من حسن الجزاء  
والثواب (٤) .

ويهتم القرآن الكريم بقضية البعث : لأنها - كما يقول الاستاذ سيد  
قطب رحمه الله - : قاعدة أساسية في العقيدة الاسلامية . . . ، قاعدة تقوم  
عليها العقيدة ، ويقوم عليها التصور الكلى لمقتضيات العقيدة ؛

---

(١) راجع كتاب الاستاذ الشهيد سيد قطب ( مشاهد القيامة في  
القرآن الكريم ) ط : الشروق .

(٢) راجع كتابنا : القرآن والكون .

(٣) راجع كتاب الشيخ سيد سابق ( العقائد الاسلامية ) ص ٢٦١ -  
٢٦٤ طبعة دار النصر ١٩٦٧ م وانظر كتاب ( الايمان ) للدكتور نعيم  
ياسين ، فقد لخص فيه القول في هذا الركن تلخيصا جيدا ص ٩٩ وما بعدها .

(٤) المنهاج ج ١ ص ٣٣٦ .

فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل ، وأن ينهض بالخير ليقضى على الشر ، وأن يجعل نشاطه كله في الأرض عبادة لله - بالتوجه في هذا النشاط كله لله . ولا بد من جزاء العمل ، وهذا الجزاء قد لا يتم في رحلة الأرض ، فيؤجل الحساب الختامى بعد نهاية الرحلة كلها . . . فلا بد اذن من عالم آخر . . ولا بد اذن من بعث للحساب في العالم الآخر ، وحين ينهار أساس الآخرة في النفس ، ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليفها ، ولا تستقيم هذه النفس على طريق الاسلام ابدا (١) .

معنى ذلك أن للايمان باليوم الآخر أثرا عظيما في توجيه سلوك الانسان في هذه الحياة الدنيا ، ذلك أن الايمان به ، وبما فيه من حساب وميزان ، وثواب وعقاب ، وفوز وخسران ، وجنة ونار ، له أعمق الأثر وأشدّه على سير الانسان ، وانضباطه ، والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل . وشتان ما بين اثنين : أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على عمل أو قول ، ولا يقيدّه غير مصلحته الذاتية . وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الانسان امام أعدل الحاكمين فيثاب على الخير ، ويعقاب على الشر ؛ فلا ريب أن الأول منفلت من أى ضابط فيما عدا الشهوة والهوى ، والغاية عنده تبرر أية وسيلة وأى خلق ، وأى عمل . أما الآخر فهو منضبط في حدود الحق والخير والصالح والتقوى رجاء ثواب الله تعالى في الآخرة (٢) .

وكما ربط القرآن بين الايمان بالله والايمان باليوم الآخر ، قرن - في غير ما أية - العمل الصالح بالايمان باليوم الآخر ؛ اشعارا بوثاقة الارتباط بينهما ، وأن أحدهما دافع وحافز للآخر ، والعمل الصالح هو الثمرة المباركة لهذه الايمان ، قال تعالى :

---

(١) سيد قطب ، الظلال ، ج٦ ص ٢٣٥٨ ، طبعة الشروق .  
(٢) د . نعيم ياسين ص ٩١ - ٩٣ د . عبد الحميد مدكور : (مذكرات في علم الكلام ) ، وعباس العقاد : ( الفلسفة القرآنية ) ص ٢١٠ ،  
ووحيد الدين خان : ( الاسلام يتحدى ) ص ٨٣ - ٨٤ .



- « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » (١) .
- « والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون » (٢) .
- كما يقرن القرآن العمل السيء بالكفر باليوم الآخر في غير ما آية ،  
يقول تعالى :
- « أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض  
على طعام المسكين » (٣) .
- « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله  
ورسوله » (٤) .

#### عقيدة البعث عقيدة الرسل كلهم من آدم الى محمد :

ولما كان منكرو اليوم الآخر كثيرين ، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، - بعث هو والساعة كهاتين ، وكان هو الحاشر المقفى ، بيثن تفصيل الآخرة بيانا لا يوجد فى شيء من كتب الأنبياء ؛ حتى ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يخبر بالبعث والمعاد الا محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا غير صحيح ؛ لأن القيامة معروفة عند الأنبياء من آدم ، الى نوح ، الى ابراهيم ، وموسى وعيسى وغيرهم ، عليهم السلام . بل ان الله قد أخبر بها من حين اهبط آدم (٥) ، فقال تعالى :

- « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ، ومنها تخرجون » (٦) .
- ونوح عليه السلام قال : « والله انبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا » (٧) .

وقد أخبر به كل رسل الله تعالى ، بل ان النذارة بقاء هذا اليوم كانت من صميم رسالة جميع الرسل عليهم السلام ، وقد أخبر الله عن

---

(٥) شرح الطحاوية ص ٣٩٧ .

(٦) الأعراف ٢٤ - ٢٥ .

(٧) نوح ١٧ - ١٨ .

(١) التوبة ١٨ .

(٢) الأنعام ٩٢ .

(٣) الماعون : أول السورة .

(٤) المجادلة ٢٢ .

أهل النار أنهم اذا قال لهم خزنتها : « ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ! » ( ١ ) .

### الغناء والاعادة ممكنان عقليان :

قد ثبت بالبراهين العقلية والمادية الحسية معا حدوث العالم ؛ فالتغير الجارى والمستمر على الوجود دليل على حدوثه ، وان حدوثه دليل على جواز فنائه وعدم استحالة ذلك .

كما أن قانون الطاقة المتاحة - وهو قانون علمى ثابت مبرهن - يقطع بان الحرارة تنتقل دائما من وجود حرارى الى آخر غير حرارى . . واستمرار انتقال الحرارة من الاجسام الحارة الى غير الحارة ، سيقرب عليه أن : تتساوى حرارة جميع الموجودات ؛ بحيث لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل ؛ فتنتهى العمليات الكيماوية الطبيعية ، وعندها تنتهى الحياة تلقائيا . . فهذا القانون يبطل بقاء العالم بلا انتهاء . . أى أن هذا برهان علمى على انتفاء أبدية هذا العالم وأنه سيفنى ، ولا بد . وهو فى نفس الوقت برهان على عدم أزلية العالم ، اذ أن هذه الطاقة لم تزل لباقية ، وكذلك المواد المشعة - التى يتناقص اشعاعها - لم يزل اشعاعها - رغم التناقص - باقيا ، فلو كان هذا العالم بلا بداية ، أى أزليا ، لكان اشعاعه قد انتهى منذ زمن بعيد .

واثبتات المعاد لا يوجب تناقضا عقليا ، وكل ما لا يوجب تصور وقوعه تناقضا عقليا ، فهو من قبيل الجائز الممكن ، فتصور وقوع المعاد جائز عقلى ، غير واجب أو مستحيل فى العقل الخالص .

### أدلة الايمان بالبعث ( ★ ) :

الايمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة

---

( ★ ) قد ظهر لنا من خلال سؤال ابراهيم عليه السلام ربه أن يريه : ( كيف يحيى الموتى ) أن أمر البعث أو ( احياء الموتى ) يحتاج المؤمن

السليمة ، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ،  
ورد على منكريه في غالب سور القرآن (١) . بل ان كل رسول من رسل  
الله قد أنذر قومه لقاء هذا اليوم .

قال تعالى :

« الله لا اله الا هو ليجمعنكم ليوم الجمع لا ريب فيه » (٢) .  
« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا  
بميد » (٣) .

بل قد أمر الله نبيه محمدا أن يقسم به على وقوع البعث :  
« وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة » قل : بلى وربى لتأتينكم عالم  
الغيب » (٤) .

« زعم الذين كفروا ان يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن » (٥) .  
ولئن كان الايمان بالبعث دعوة الرسل جميعا ، فان من يكذب به ،  
يكذب بالرسل جميعا ، ويكفر بالله رب العالمين .

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على انكارهم ؛ ذلك انه أمر من  
أمور الغيب الذى لا يعلمه الا الله ، وأمور الغيب عامة لا يملك أحد اثباتها  
أو انكارها الا بطريق واحد ، لا ثانى له ؛ هو الوحي ؛ اخبار الله عالم

---

به الى طمأنينة القلب . ( قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن  
قلبى ) .

فابراهيم عليه السلام ، طلب من ربه أن يريه كيف يحيى  
الموتى ، وهو مؤمن بذلك مصدق به معتقد له ، لكن قلبه  
بحاجة الى اطمئنان . . وفي ضوء ذلك نفهم سر اهتمام القرآن بأمر  
البعث ، واحياء الموتى ، وتصريف البراهين ، وتكثيف الأدلة ، وحشدها ،  
للكفار النفاة والمؤمنين معا .

- |                          |                 |
|--------------------------|-----------------|
| (١) عقيدة المؤمن ص ٢٢٣ . | (٤) مباح ٣ .    |
| (٢) النساء ٨٧ .          | (٥) التغابن ٧ . |
| (٣) النساء ١٣٦ .         |                 |

الغيب ، به • واذا كان ذلك كذلك ، فان الرسل - الذين قامت البراهين والحجج على تلقيهم من عند الله مجتمعون على الاخبار به ، فانكاره اذا مكابرة وعناد لا يستند الى عقل ، ولا يرتكز على دليل • وكل ما عند منكرى البعث - على كثرتهم الكاثرة - شبهات وشكوك ، واستبعاد واستغراب واستعظام لأمر البعث بعد الموت ، وقد دحض القرآن هذه الشبهات وردّها ، وكشف تهافتها ووهاءها وسقوطها في آيات كثيرة عديدة ، قال منكرو البعث كما أخبر الله عنهم :

« اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » ( ١ ) •

« وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » ( ٢ ) •

« وقالوا اذا كنا رفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا » ( ٣ ) •  
وقد جاءت أدلة القرآن على البعث والمعاد أو الحياة الآخرة أدلة براهنية يقينية واضحة سهلة ملزمة ، لا يملك المتلقى حيالها غير التسليم والاذعان ؛ من هذه الأدلة :

١ - الاحالة على القدرة : أى أن الذى خلق هذه العوالم التى لا تحد ولا تحصر ولا تعد ، فى عظمتها ، واتقانها ، وتوازنها ، وخلوها من العيب والامت والنقص والفتور لقادر ، عقلا ، على اعادة حياة الناس بعد موتهم وفناء أجسامهم ، قال تعالى :

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ( ٤ ) •

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها .....  
الآيات » ( ٥ ) •

« أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض ، ولم يعى بخلقهن ، بقادر على ان يحيى الموتى انه على كل شىء قدير » ( ٦ ) •

( ٤ ) المؤمن / ٥٧ •  
( ٥ ) النازعات ٢٧ - ٣٢ •  
( ٦ ) الأحقاف ٣٣ •

( ١ ) ق / ٣ •  
( ٢ ) الجاثية / ٢٤ •  
( ٣ ) الاسراء / ٤٩ •

٢ - المعارضة بالابتداء : أى أن الشيء اذا لم يكن ، ثم كان ، وأعدم ، كانت اعادته أيسر وأهون على من بداه أول مرة ، ثم أعدمه وأفناه ، يقول تعالى :

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ! اولى الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ ! بلى • وهو الخلاق العليم » ( ١ ) •

يعلق الحليمى على هذين الدليلين قائلا :

« وكل واحد منهما يلزم منكرى البعث أشد اللزوم ؛ أما أحدهما : فلأن الانسان أحد الحيوانات ، فينبغى أن يكون خلق الأرض نفسها بما يحيط بها من السموات أكبر من خلق الانسان مبتدأ ومعادا • فاذا كان الله قد خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهما ، فأولى أن يقدر على خلق الانسان مبتدأ ومعادا •

وأما الآخر : فلأن الاعادة ليس منها الا ما فى الابتداء ، فاذا جاز أن يخلق آدم من حمأ مسنون ، ثم جعله صلصالا كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح ، فجعله لحما وودما وعظاما وعروقا وأعصابا ، فلم لا يجوز أن يجعل الأموات منه ومن ولده ترابا ، ثم يخلقهم منه مرة أخرى بشرا كما خلق آدم أولا • ويرى الحليمى أن هاتين الحجتين على من اعترف بالبارى جل جلاله وابتدائه الخلق ، وأما من بلغت به ( الزناخة ) أن يجحد البارى جل جلاله فانما يكلم فى اثباته أولا ( ٢ ) •

وقد لفتت هذه الآيات الكريمة نظر العلماء ( ٣ ) الى ما فيها من

---

( ١ ) يس ٧٨ - ٨١ •

( ٢ ) المنهاج ص ٣٤٧ ويلاحظ أن الحليمى يعلق - فى الدليل الثانى -

على آية واحدة فقط هى : ( قل يحيى الذى أنشأها أول مرة ) •

( ٣ ) انظر تعليق الكندى الفيلسوف ( الرسائل ) بتحقيق الدكتور

أبوريدة ، وقد نقلناه فى كتابنا : ( تأملات حول وسائل الإدراك فى القرآن ) •

ايجاز مع وضوح الادلة ، وصحة البراهين ، يقول شارح الطحاوية معلقا عليها :

« فلو رام أعلم البشر ، وأفصحهم ، وأقدرهم على البيان ، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها ، بالفاظ تشابه هذه الألفاظ - في الايجاز ووضوح الادلة ، وصحة البرهان ، لما قدر ؛

فانه سبحانه - افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد ، اقتضى جوابا ، فكان في قوله : ( ونسى خلقه ) : ما وفي بالجواب ، وأقام الحجة ، وأزال الشبهة .

ولما أراد الله سبحانه تأكيد الحجة ، وزيادة تقريرها ، قال : ( قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ) ، فاحتج بالابداء على الاعادة ، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ؛ اذ كل عاقل يعلم علما ضروريا أن من قدر على هذه ، قدر على هذه ، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية ، لكان عن الأولى أعجز وأعجز .

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل خلقه ، أتبع ذلك بقوله : ( وهو بكل خلق عليم ) . فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ، ومواده ، وصورته ، فكذلك الثانى . فاذا كان تام العلم ، كامل القدرة ، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم ؟

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة ، وبرهان ظاهر ، يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر - يقول : العظام اذا صارت رميما ، عادت طبيعتها باردة يابسة ، والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة - بما يدل على أمر البعث ؛ ففيه الدليل والجواب معا ، فقال : ( الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ) . فأخبر سبحانه باخراج هذا العنصر ، الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة ، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة . فالذى يخرج الشئ من ضده ، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا تستعصى عليه ، هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه ، من احياء العظام وهى رميم .

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم ، على الأيسر الأصغر ، فان كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل ، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر . فمن قدر على حمل قنطار ، فهو على حمل أوقية أشد اقتدارا ، فقال : ( أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ) فآخبر أن الذى أبدع السموات والأرض - على جلالتهما ، وعظم شأنهما ، وكبر أجسامهما وسعتيها ، وعجيب خلقهما ، أقدر على أن يحيى عظاما قد صارت رميما ، فيردها الى حالتها الأولى . . . . . ، ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر ، هو أنه ليس فعله بمنزلة غيره ، الذى يفعل بالآلات والكلفة ، والنصب والمشقة ، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل ، بل لابد معه من آلة ومعين ، بل يكفى فى خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه بنفس ارادته وقوله للمكون : ( كن ) ، فاذا هو كائن كما شاء وأراد .

ثم ختم هذه الحجة باخباره أن ملكوت كل شيء بيده ( ١ ) ، فيتصرف فيه بفعله وقوله ( واليه ترجعون ) .

٣ - الاحتجاج بما يشاهد من احياء الله تعالى الأموات ، وهو واقع فى ثلاثة أشياء ؛ أحدهما : الأرض تكون حية تنبت وتثمر ، وتموت فتصير الى ألا تنبت وتبقى خاشعة هامدة . . أما حياتها فبالماء ينزل عليها ، فتحيا ، وعلامة حياتها أن تهتز - تتحرك وتربو - وتنبت الزرع . والله عز وجل هن الفاعل للأميرين والمصرف لها على الحالين ، فاذا قدر على ذلك لم يعجزه أن يميت الانسان ، أو يسلبه معانى الحياة ثم يعيدها اليه ويجعله كما كان .

والثانى : أن الله احتج على عباده بقوله : ( كنتم أمواتا فأحياكم ) ( ٢ ) يعنى نطفا فى الأصلاب والأرحام ، فجعلكم منها بشرا تنتشرون وقال : « ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه

---

( ١ ) شرح الطحاوية ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

( ٢ ) بقرة ٢٨ .

الزوجين الذكر والأنثى ، ليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى « (١) .  
فاعلمهم أنه اذا أخرج النطفة من صلب الأب قد صارت ميتة ، ثم انه  
عز وجل يجعلها حية ، فيخلق من خلق منها ، ويركب الحياة فيه ،  
فهذا احياء ميت في المشاهدة . فمن يقدر على هذا لا يعجز عن أن يميت هذا  
الخلق ، ثم يعيده حيا .

والثالث : قوله عز وجل : ( ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى  
من الميت ) (٢) فان الحب والنوى اذا جفا ويبسا ، كانا ميتين لا يتحركان  
ولا ينموان ، ثم انهما اذا أودعا الأرض الحية فلقهما الله تعالى ، وأخرج  
منهما ما يشاهد من النخيل والزرع حيا ينشا ويثمر الى أن يبلغ غايته (٣) .

٤ - الاستدلال بنوم الانسان والحيوان واستيقاظهما ، فالنوم موت  
أصغر ، والاستيقاظ بعث أصغر ان جاز لنا هذا التعبير - فكما تتم عملية  
النوم للانسان والحيوان ، ثم تتم عملية الامتيقاز ، كذلك تتم عملية الموت  
ثم البعث ، قال تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم  
بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ، ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ، ثم  
ينبئكم بما كنتم تعملون » (٤) .

٥ - أنه ضرورة اذ به يصبح للخلق معنى وحكمة ، وبه يظهر أن الله  
لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا سدى . لأن الانسان ان لم يجز على كل أعماله  
في هذه الحياة قبل موته في هذه الدار ، وجب أن يكون في دار أخرى بعد  
الموت . . . ولأن الله لا يعبث ، فقد أمر الناس ونهاهم ، وكلفهم ، وشرع لهم  
فهو لم يخلقهم سدى ، فلا بد من المعاد اليه ليجزى الناس بما كانوا يعملون ،  
ويوفى لهم أجورهم . . . وان احساس الانسان بأنه لم يخلق عبثا ، ولم يترك  
سدى ، يثمر في نفسه شعورا بأن له قيمة وأن لحياته معنى ومغزى وأنه مسئول ،  
فهو ليس ذرة شاردة في هذا الوجود كما صورته بعض قصار النظر من  
الفلاسفة .

(٤) المنهاج ص ٣٥٠ .  
(٣) الأنعام ٦٠ .

(١) القيامة ٤٠ .  
(٢) الأنعام ٩٥ .



« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليينا لا ترجعون » (١) .

« ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٢) .

ويرى الحاكم الحليمى ان الله سبحانه قد « دل بهاتين الايتين على ان البعث واجب فى حكمته ، كما دل بغيرها على انه جائز فى قدرته » (٣) .  
والناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتاً كبيراً فى ارزاقهم ، واجالهم ، وصحتهم وسقمهم ، واعمالهم ، وفى سعادتهم وشقاوتهم ، فمنهم الظالم الغشوم ، ومنهم المظلوم المهضوم ، ومنهم الصحيح السليم ، ومنهم المريض السقيم ، ومنهم الغنى الثرى ، ومنهم الفقير المعدم ، ومنهم العزيز ، ومنهم الذليل ، ومنهم المحسن ومنهم المسىء ، الى آخر هذا التفاوت والاختلاف .

فلو انهم يموتون ولا يبعثون ، ولا يثابون أو يعاقبون ، لكان ذلك مجانباً للحكمة ، مجانباً للعدل ، والرحمة ، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء ، وحكم بهما ، فهما كائنان لا محالة ، فقد امر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ان يقسم به عليهما (٤) :

تفاصيل احداث اليوم الاخر :

المؤمن بالله واليوم الآخر ، عليه ان يصدق بكل ما ذكر فى القرآن الكريم والسنة المطهرة من احوال ووقائع تقع فى اليوم الآخر أو تمهد له ، لا يزيد عليها ولا ينقص منها .

عليه ان يؤمن بأشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى التى ذكرت فى القرآن والسنة ، وأن يؤمن بما يكون فى القبر مما ورد فى السنة ، وكذلك

---

(١) المؤمنون ١٥٠ .

(٢) القيامة ٣٦ .

(٣) المنهاج ص ٣٥٤ ج ١ .

(٤) سورة التغابن ٧ ، وانظر عقيدة المؤمن ص ٣٣٠ وقارن :

د . مذكور : مذكرات ، ووحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، السيد سابق :

العقائد الاسلامية ، ونعيم ياسين : الايمان .

الحشر ، والشفاعة ، والحساب ، والصحف ، والميزان ، والصراف ،  
والجنان وما أعدّه الله للمؤمنين فيها ، والنيران وما اشتملت عليه ..  
وباختصار على من يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يعتقد ويصدق بكل ما جاء  
به الوحي من تفاصيل أحوال اليوم الآخر ، وأن يلتزم بأعلام الله وأعلام  
رسوله ، فيقف حيث وقف به ، ولا يكلف نفسه ما لم يكلفه الله به ؛ وعن  
هذه الأحوال وتفاصيلها وأدلتها الشرعية يمكن التزود من مصادر موثوقة  
عديدة أهمها كتب التفسير والحديث والعقيدة (١) .

---

(١) للتوسع انظر : تفسير ابن كثير والظلام ، وفتح الباري ، وشرح  
النووي على مسلم ، منهاج الحليمي ، وكتاب البعث والنشور للبيهقي ،  
والتذكرة للقرطبي ، وفتاوى ابن تيمية ، وكتب ابن القيم ، وشرح الطحاوية .

الأصل السادس

الإيمان بالقدر



## الايمان بالقدر

الايمان بالقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام (١) . والقدر سر عظيم هائل لأنه - في حقيقته - يقوم على اخلاص التوحيد لله ؛ فالقدر يعنى : أن يوحد المؤمن الرب الخالق الفاعل المرید ، فيقر له بالخلق والأمر ، وأن يوحد الوهيته ؛ فيطيع أمره ، ويجتنب نهيه ، واثقا بحكمته وعدله وعلمه فالايمان بالقدر : ايجابية تامة في العمل ، وتسليم كامل بحكمة الله وعدله وعلمه ؛ يورث المؤمن به الرضى والطمأنينة نفسا وقلبا وعقلا .

وقبل أن نسترسل في الحديث نذكر بأن من يبحث في حقيقة القدر يجب أن يستحضر في ذهنه : أن الله تعالى : فعال لما يريد ، وأنه لا يسأل عما يفعل ، وأنه حكيم لا يعبث ، وأنه عادل لا يظلم ، وأنه غفور رحيم ، وأن له الأولى والأخرة ، وأن الكل عبيد له ، ناصيتهم بيده ، له الخلق والأمر والحكم جميعا .

### ما المقصود بالقضاء والقدر ؟

« القدر : اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، يقال : قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتشديد ، فهو قدر ، أى : مقدور ومقدر ، كما يقال : هدمت البناء فهو هدم ، أى : مهدوم ، وقبضت الشيء ، فهو قبض أى : مقبوض .

فالايمان بالقدر : هو الايمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من

---

(١) عندما سأل جبريل النبی صلى الله عليه وسلم عن الايمان ؟ فقال : ( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ، وروى البخارى مثله عن أبى هريرة .

أكساب الخلق ، وغيرها من المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقدير منه ،  
وخلق لها خيرها وشرها ( ١ ) .

وأما قول الله عز وجل : « انا كل شيء خلقناه بقدر » ( ٢ ) ، فمعناه :  
انا كل شيء خلقناه بحسب ما قدرناه قبل ان نخلقه ، اذ كان علمنا به  
سابقا له ، فأثبتنا منه ما علمناه في أم الكتاب ، وبيننا ما هو كائن منه  
قبل أن يكون . فاذا كان ، كان بحسب ذلك الذى قدرناه ، وفى الوقت  
الذى قدرناه ( ٣ ) .

وقد رأى أكثر العلماء أن ( القضاء والقدر ) بمعنى واحد ، ورأى  
بعضهم أن القدر علم الله بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل .  
والقضاء : ايجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وارادته ( ٤ ) .

وقد عرفهما ( الشيخ سيد سابق ) تعريفا واحدا ، فقال : « هو  
النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن  
التي ربط بها الأسباب بمسبباتها » ( ٥ ) .

ويذكرهما الشيخ الجزائرى بمعنى واحد ، فيقول : ومن هنا صح  
لنا أن نعرف القدر والقضاء بأنهما : علم الله تعالى الأزلى بكل ما أراد  
ايجاده من العوالم ، والخلائق ، والأحداث ، والأشياء وتقدير ذلك الخلق ،  
وكتابته فى الذكر الذى هو اللوح المحفوظ ( والامام المبين ) كما هو ،  
حين يقضى بوجوده فى كميته ، وكيفيته ، وصفته ، وزمانه ، ومكانه ،  
وأسبابه ، ومقدماته ، ونتائجه ، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن ابانه ،

---

( ١ ) البيهقى : الاعتقاد والهداية ، ص ٨٣ .

( ٢ ) النساء ٧٩ .

( ٣ ) الحليمى فى المنهاج ص ٣٢٨ ج ١ .

( ٤ ) يرى محيى الدين بن عربى أن القضاء : هو حكم الله الذى ينفذ  
فى الأشياء أما القدر : فهو ما يترتب على وجود شيء معين من آثار تنتقل  
منه الى شيء أو الى أشياء أخرى ، الفتوحات المكية ج ٣ ص ١١٢ ، انظر  
رسالتنا عن الأسباب والمسببات ص ٣١٥ وما بعدها .

( ٥ ) العقائد الاسلامية ص ٩٥ .

ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ،  
ولا يتغير في هيئة ، ولا صفة ، بحال من الأحوال ، وذلك :

أولا : لسعة علم الله تعالى الذي علم ما كان وما يكون ، وما لم يكن  
لو كان ، كيف كان يكون ، وعظيم قدرته ، عز وجل التي لا يحدها شيء ،  
ولا يعجزها شيء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وثانيا : لربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذي يحكم كل أجزاء  
الكون علوية وسفلية على حد سواء ، هذان هما القضاء والقدر اللذان  
لا ينكرهما الا مكابر جاحد ، أو جاهل معاند ، اذ هما يتجليان في شكل  
قوانين ثابتة تشمل كل كائن في هذا الوجود من الفلك الى النور والحلك ،  
ومن الانسان الى الحيوان ، ومن النبات الى الجماد (١) ولنستمع بقلوب  
واعية الى الخلاق العليم وهو يقول :

« ما اصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم الا في كتاب من  
قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٢) .

« والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل  
شئ موزون ، وجعلنا فيها معاش ومن لستم له برازقين ، وان من شئ  
الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدر معلوم » (٣) « انا كل شئ خلقناه  
بقدر » (٤) « وخلق كل شئ فقدره تقديرا » (٥) « وكان امر الله قدرا  
مقدورا » (٦) « والذي قدر فهدى » (٧) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كتب ربكم مقادير الخلائق  
كلها قبل أن يخلق السموات والأرض ، بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه  
على الماء » (٨) .

- 
- (١) الجزائري / عقيدة المؤمن ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .  
(٢) الحجر ١٩ - ٢١ .  
(٣) الحديد ٢٢ .  
(٤) القمر ٤٩ .  
(٥) الفرقان ٢ .  
(٦) الأحزاب ٣٨ .  
(٧) الأعلى ٣ .  
(٨) رواه مسلم .

ويروى أن الوليد دخل على أبيه عبادة بن الصامت ، وهو مريض ، فقال له : يا أبت أوصني واجتهد ، فقال : انك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة الايمان حتى تؤمن بالقدر ؛ خيره وشره ، قلت : كيف لي أن أعلم خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول شيء خلقه الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : أكتب القدر ، فجرى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » ( ١ ) .

**النهى عن التعمق والتنقيب عن القدر وحقيقته وسره :**

على المؤمن أن يعتقد أن الايمان ركن من أركان العقيدة وأصل من أصول الايمان ، وأنه أمر غيبى ، نتلقى خبره عن الوحي ، فما علمناه عن الوحي ( القرآن والسنة ) من أمر القدر ، هو الذى يلزمنا العلم به والتصديق والاعتقاد فيه ، دون بحث فى تفاصيل لم يرد بها الوحي ، أو تزيد وافتئات ، أو تفريط وتقصير ، ولنعلم أن الله تعالى أخبرنا من أمور الغيب على قدر ما يتوقف عليه صلاح أمرنا من ناحية ، وعلى قدر استطاعتنا ادراكه والاحاطة به من ناحية أخرى .

وبالجملة يقال : ان الايمان بالقدر مبنى على الايمان بالله وتوحيده ، فمن آمن بالله وبأسمائه الحسنی وصفاته العلیا ، استجاب لأمره واجتنب نهيه ، ومما أمر الانسان به الايمان بالقدر ، ومما نهى عنه الغلو والتنقيب والتعمق فى البحث عن سره وكنهه وحقيقته ..

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا ذكر القدر فامسكوا » ( ٢ ) ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، قال : فكانما تفقا فى وجهه حب الرمان من الغضب ، قال : فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم » ( ٣ ) .

---

( ١ ) رواه أبو داود والترمذى وأحمد .

( ٢ ) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

( ٣ ) رواه أحمد وابن ماجه .



ويذكر محمد بن الحسين الأجرى : فان سائلا سأل عن مذهبنا في القدر ؟  
فالجواب في ذلك : أنا ننصح للسائل ، ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقيح  
والبحث عن القدر ، لأن القدر سر من سر الله عز وجل ، بل الايمان  
بما جرت به المقادير من خير أو شر : واجب على العباد أن يؤمنوا به ، ثم  
لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد ،  
فيضل عن طريق الحق (١) .

ويرى الامام الطحاوى أن « أصل القدر سر الله تعالى في خلقه ، لم  
يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . والتعمق والنظر في ذلك  
ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر  
من ذلك ، نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله تعالى عمى القدر عن أنامه ،  
ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »  
فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من  
الكافرين . فهذا جملة ما يحتاج منه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ،  
وهي درجة الراسخين في العلم ، لأن العلم علما ؛ علم في الخلق موجود ،  
وعلم في الخلق مفقود ، فانكار العلم الموجود كفر ، وادعاء العلم المفقود  
كفر ، ولا يثبت الايمان الا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم  
المفقود » (٢) .

#### ربط القدر بالاسباب والمسببات :

اما ابن رشد فيرى أن مسألة القدر من أعوص المسائل الشرعية (٣) .  
ويقدم ابن رشد تصورا لمسألة القدر أسسه على مبدأ السببية ، فقال : يظهر  
أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد ،  
لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء لا يتم الا بمواتاة الأسباب التي سخرها

---

(١) الأجرى : الشريعة ص ١٤٩ .

(٢) أبو جعفر الطحاوى : العقيدة ، شرح وتعليق ناصر الدين

الألبانى ، ط ١ سنة ١٣٩٨ هـ المكتب الاسلامى ص ٣٢ - ٣٤ .

(٣) مناهج الأدلة ، وابن رشد وفلسفته الدينية للدكتور محمود

قاسم ، وانظر رسالتنا للدكتوراه عن ( الأسباب والمسببات ) ص ١٧٠ .

الله لنا من خارج وزوال العوائق عنها ، كانت الأفعال المنسوبة اليها تتم بالأميرين جميعا .

واذ كان ذلك كذلك ، فالأفعال المنسوبة اليها - أيضا - يتم فعلها بـ :  
١ - ارادتنا ، و ٢ - موافقة الأفعال التي من خارج لها ؛ وهى المعبر عنها :  
بقدر الله .

وهذه الأسباب التى سخرها الله من خارج ، ليست متممة للأفعال التى نروم فعلها ، او عائقة عنها فقط ؛ بل وهى السبب فى أن نريد أحد المتقابلين .  
فان الارادة انما هى شوق يحدث لنا عن تخيل ما ، او تصديق بشئ ، وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا ؛ بل هو شئ يعرض لنا عن الأمور التى من خارج .

مثال ذلك : أنه اذا ورد علينا أمر مشتهى من خارج ، اشتهيناه ، بالضرورة ، من غير اختيار ، فتحركنا اليه ، وكذلك اذا طرأ علينا أمر مهروب عنه ، من خارج ، كرهناه بالضرورة ، فهربنا منه . واذا كان هذا هكذا ، فارادتنا محفوظة بالأمور التى من خارج ، ومربوطة بها ( ١ ) .

وخلاصة رأى ابن رشد : أن الأفعال الارادية أو الاختيارية ، التى يقوم بها الانسان ، تتوقف - ضرورة - على الأسباب الخارجية . ومعنى هذا أن أفعال الانسان ليست اختيارية تماما ، ولا جبرية تماما ، وانما هى تجمع بين الجبر والاختيار ، فى آن واحد ؛ لأنها تتوقف على : ارادتنا ، وعلى الأسباب الخارجية ( ٢ ) .

فالنظام فى الكون - عند أبى الوليد - هو ما يطلق عليه : اسم القضاء والقدر . أى علم الله بالأشياء ثم اختراعها أو ايجادها وفقا لهذا العلم . يقول : « والنظام المحدود فى الأسباب الداخلة والخارجة - أعنى التى

---

( ١ ) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢٢٧ ، وله تلخيص كتاب الخطابة ، ص ٧٨ بتحقيق د . محمد سليم سالم ، نشر الهيئة المصرية .  
( ٢ ) انظر لنا : ( الأسباب والمسببات ) ص ١٧٤ وما بعدها .

لا تخل - هو القضاء والقدر الذى كتبه الله على عباده ، وهو اللوح المحفوظ « (١) .

ومما يلاحظ أن كثيرا من الباحثين قد رضى بمناقشة ابن رشد وحله هذا ، يقول واحد من المعاصرين (٢) : « ونستطيع أن نتصور - مجرد تصور - أن القدر هو الأسباب التى أودعها الله سبحانه فى المخلوقات بحيث لو جرت الأسباب الى غاياتها ، لنتج عنها مسبباتها التى تلازمها ، والتى لا تتخلف أبدا » .

### درجات القدر :

يقول ابن تيمية (٣) : الايمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الاولى : الاولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون - بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا - وعلم جميع احوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال ، ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء ، واذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه ، بعث اليه ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات : كتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ، .. فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ، ومنكره اليوم قليل .

---

(١) مناهج الأدلة ص ٢٨٨ .

(٢) الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، القضاء والقدر ص ١٥٠ ط دار المعرفة ، وانظر ( أبو بكر الجزائرى ) والشيخ ( محمد الغزالى ) فى « عقيدة المسلم » ، و ( الشيخ الشعراوى ) فى « عقيدة المسلم » أيضا ، والدكتور محمود قاسم فى ( ابن عربى ) والدكتور كمال جعفر فى ( التصوف ) وغير ذلك .

(٣) الفتاوى ج ١ ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الايمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما فى السموات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، ولا يكون فى ملكه الا ما يريد ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير من الموجودات والمعدومات .

ومع ذلك ، فقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم ارادة ، الله خالقهم ، وخالق قدرتهم وارادتهم ، كما قال تعالى : « لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين .. » .

وهذه الدرجة من القدر ، يكذب بها عامة القدرية ، الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه ، حكمها ومصلحتها « (١) » .

ويذكر أبو حامد الغزالى :

« أن الله قد خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق المختار والاختيار جميعا ، فأما القدرة فوصف للعبد خلق للرب ، وأما الحركة فخلق للرب وصف للعبد وكسب له . ويقول : واعلم أن من ظن أن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وأمر ونهى ، ووعد وتوعد ، لغير قادر مختار ، فهو مختل المزاج يحتاج الى علاج « (٢) » .

---

(١) مجموع الفتاوى .

(٢) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٠ ، الرسائل ص ٢٧٣ .

ويذكر الطحاوي أن : « على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ، ليس فيه ناقص ، ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الايمان ، وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته ، كما قال تعالى في كتابه : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » (١) ، « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٢) .

فويل لمن صار لله تعالى - في القدر - خصيما ، واحضر للنظر فيه قلبا سقيما ، لقد التمس - بوهمه - في فحص الغيب سرا كتيما ، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما » (٣) .

أما الأجرى فيذكر رأيه في القدر ، قائلا :

« اعلّموا أن مذهبنا في القدر أن نقول : ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق النار ، ولكل واحدة منهما أهلا ، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ثم خلق آدم عليه السلام ، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها الى يوم القيامة ، ثم جعلهم فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير . وخلق ابليس ، وأمره بالسجود لآدم عليه السلام ، وقد علم أنه لا يسجد للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة التي قد سبقت في العلم من الله عز وجل . ولا معارض لله الكريم في حكمه ، يفعل في خلقه ما يريد ، عدلا من ربنا قضاؤه وقدره .

وخلق آدم وحواء عليهما السلام ، للأرض خلقهما ، أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغدا ما شاءا ، ونهاهما عن شجرة واحدة لا يقربانها ، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة . فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما ، وفي الباطن من علمه قد قدر عليهما أنهما يأكلان منها : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ، لم يكن لهما بد من

---

(١) الفرقان ٢ .

(٢) الأحزاب ٣٨ .

(٣) العقيدة الطحاوية ص ٣٣ - ٣٤ .

أكلهما ؛ سببا للمعصية وسببا لخروجهما من الجنة ، اذ كانا للأرض خلقا ، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية ، كل ذلك سابق في علمه ، لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه الا وقد جرى مقدوره به ، وأحاط به علما قبل كونه ، أنه سيكون .

خلق الخلق كما شاء لما شاء ، فجعلهم شقيا وسعيدا ، قبل أن يخرجهم الى الدنيا ، وهم في بطون أمهاتهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ، وكتب أعمالهم ، ثم أخرجهم الى الدنيا ، وكل انسان يسعى فيما كتب له ، وعليه .

ثم بعث رسله ، وأنزل عليهم وحيه ، وأمرهم بالبلاغ لخلقهم ، فبلغوا رسالات ربهم ، ونصحوا قومهم ، فمن جرى في مقدور الله أن يؤمن آمن ، ومن جرى في مقدوره أن يكفر ، كفر . قال تعالى : « هو الذى خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير » .

أحب من أراد من عباده ، فشرح صدره للإيمان والاسلام . ومقت آخرين ، فختم على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ، فلن يهتدوا أبدا ، « يفضل من يشاء ويهتدي من يشاء » و « لا يسأل عما يفعل » .

الخلق كلهم له ، يفعل في خلقه ما يريد ، غير ظالم لهم ، جل ذكره عن أن ينسب ربنا الى الظلم ، انما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك . وأما ربنا ، عز وجل ، فله ما فى السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وله الدنيا والآخرة ، جل ذكره ، وتقديست أسماؤه ، أحب الطاعة من عباده ، وأمر بها ، فجرت ممن أطاعه بتوقيفه لهم .

ونهى عن المعاصي ، وأراد كونها من غير محبة منه لها ولا للأمر بها تعالى الله عز وجل ، أن يأمر بالفحشاء أو يحبها . وجل ربنا وعز أن يجرى فى ملكه ما لم يرد أن يجرى ، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه .

قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وبعد أن يخلقهم ، قبل أن يعاصوا قضاء وقدره ، قد جرى القلم بأمره عز وجل ، فى اللوح المحفوظ

بما يكون من بر أو فجور . يثنى على من عمل بطاعته من عبده ، ويضيف العمل الى العباد ، ويعددهم عليه الجزاء العظيم . ولولا توفيقه لهم ، ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » . وكذا ذم قوما عملوا بمعصيته ، وتوعددهم على العمل بها وأضاف العمل اليهم بما عملوا ، وذلك بمقدور جرى عليهم ، يضل من يشاء ويهدي من يشاء . . . قال الأجرى : هذا مذهبنا في القدر الذي سأل عنه السائل . فان قال : ما الحجة فيما قلت ؟

قيل له : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسنة أصحابه رضى الله عنهم ، والتابعين لهم باحسان ، وقول أئمة المسلمين (١) .

#### موقف الانسان أمام القدار :

هنالك امران ، الأول : قدر الله أى علمه ومشيئته وكتابه ولوحه المحفوظ وامامه المبين ، ويجب على المؤمن أن يؤمن به اجمالا . أى أن يؤمن أن الله قدرا مقدورا ولا يكلف المؤمن علم ذلك ، ولا البحث فيه .

والأمر الثانى : فان الله قد أمر الناس بأوامر ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون أن يعلموه علما مستيقنا . . . ان الله قدرا لا نعرف تفاصيله ولم نكلف بذلك . وان الله أوامر ونواهى ، نملك معرفتها ، ونملك الاستجابة لها وزودنا الله بالاختيار والارادة التى نطيع بها أو لا نطيع . . هذه خلاصة المسألة .

#### يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال :

ان الله أمرهم بأوامر ، ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون أن يعلموه علما مستيقنا . . . فأما مشيئة الله فهى غيب لا وسيلة لهم اليه . فكيف يعلمونه ؟ واذا لم يعلموه يقينا ، فكيف يحيلون عليه ، . . . ان الله

---

(١) الأجرى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ : ( الشريعة ) ص ١٥٠ - ١٥٢ .

أوامر ونواهي معلومة علما قطعيا ، فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية ليمضوا وراء الحدس والخرص في واد لا يعلمونه .

هذا هو فصل القول في هذه القضية .. ان الله لم يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره ، حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه . انما يكلفهم أن يعلموا أوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها ... وهم حين يحاولون هذا يقرر الله سبحانه أنه يهديهم اليه ، ويشرح صدورهم للإسلام ... وهذا حسبهم في القضية ، التي تبدو عندئذ في واقعها العملي ، يسيرة واضحة ، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته .

ان الله قادر - لو شاء - على أن يخلق بنى آدم ابتداء ، بطبيعة لا تعرف الا الهدى ، أو يقهرهم على الهدى ، أو يقذف بالهدى في قلوبهم ، فيهدتوا بلا قهر .. ، ولكنه سبحانه شاء غير هذا ! ، شاء أن يبتلى بنى آدم بالقدرة على الاتجاه الى الهدى أو الضلال ، ليعين من يتجه منهم الى الهدى على الهدى ، وليمد من يتجه منهم الى الضلال في غيه وفي عميانه .. وجرت سنته بما شاء .....

وبعد : فلقد جاء هذا الدين ليحقق واقعا عمليا ، تحدده أوامر ونواهي واضحة ، فالاحالة الى المشيئة الغيبية دخول في متاهة ، يرتادها العقل بغير دليل ، ومضية للجهد الذي ينبغي أن ينفق في العمل الايجابي الواقعي .

والقضية واضحة ، مصوغة في أيسر صورة يدركها الادراك البشرى ، اما المعاظلة فيها والمجادلة ، فهي غريبة على الحس الاسلامي ، وعلى المنهج الاسلامي ، .. ولم ينته الجدل فيها في أية فلسفة أو أى لاهوت (١)

---

(١) راجع كتاب الأستاذ العقاد : ( الفلسفة القرآنية ) ص ١١١-١٤٣ ، الامام البخارى ( خلق أفعال العباد ) ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، شرح العقيدة الطحاوية ، وعقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ، و ( عقيدة المسلم ) للشيخ الشعراوي مكتبة التراث الاسلامي ص ٧ - ٣٢ ، ( ايثار الحق على الخلق ) لابن المرتضى اليماني ص ٢٧٨ ،



الى نتيجة مريحة ، لأنه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها ( ١ ) .

### اثر عقيدة القدر على المسلم :

لعقيدة القدر آثارها الايجابية العظيمة في نفوس المؤمنين بها ، فان الذى يؤمن بالقدر ، يؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف .

ويؤمن بان « ما إخطاك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها ، هذا الانسان هو وحده الذى يتحرر من العبودية الهابطة السافلة للعباد ، ويتخلص للعبودية الصاعدة المتسامية لرب العباد ، الذى بيده مقاليد كل شيء . . بيده الخلق والأمر .

هذه العقيدة تحرر المؤمنين ، وتنزع من قلوبهم الخوف والجبن والخور والتثاقل ، وهى تسكب السكينة في نفوسهم ، وتغرس فيهم شجاعة لا نظير لها ولا شبيه .

والايمان بالقدر يجعل المؤمن راضيا فهو مأمور اذا أصابه مصيبة مقدرة أن ينظر الى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ، ويقول قدر الله وما شاء فعل ، ولا يقول : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، فيقدر ما لم يقع ، يتمنى أن لو كان وقع ، فان ذلك يورث حسرة النفس وحزنا لا يفيد ، والتسليم للقدر هو الذى ينفعه ، كما قال بعضهم : ان الأمور أمران :  
● أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه .

---

دار الكتب العلمية ، و ( الوحي المحمدى ) للشيخ محمد رشيد رضا ط ٩  
المكتب الاسلامى ، الدكتور على المغربى : امام أهل السنة الماتريدى  
ص ٣٣٦ - ٣٤٤ نشر وهبة ، الدكتور عرفان عبد الحميد : الفرق والعقائد  
الاسلامية ، ص ٢٥١ - ٢٧٨ ، ط مؤسسة الرسالة . ولتراجع كتب علم  
الكلام والردود عليهم .

( ١ ) سيد قطب : الظلال ج ٨ ص ١٢٢٧ .

● وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه (١) .

وكما أن الانسان مأمور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب ، فهو مأمور بذلك عندما ينعم الله عليه من فعل الطاعات ، فيشهد قبل فعلها حاجته وفقره الى اعانة الله له ، ويدعو بالأدعية التى فيها طلب اعانة الله له على فعل الطاعات ، . . . . . وهناك أدعية كثيرة تتضمن افتقار العبد الى الله فى أن يعطيه الايمان والعمل الصالح ، فهذا افتقار واستعانة بالله ، قبل حصول المطلوب . فاذا حصل بالدعاء أو بغير الدعاء ، شهد انعام ربه فيه ، وكان فى مقام الشكر والعبودية لله ، وأن هذا حصل بفضل واحسانه ، لا بحصول العبد وقوته . . . . . فيتخلص بذلك من العجب والكبر ودعوى القوة والغنى (٢) .

والحق أن آثار هذه العقيدة فى نفوس المؤمنين عظيمة القيمة ؛ منها الصبر والرضى والتسليم والسكينة ، مع الشجاعة والأقدام والتحرر من الخوف والعبودية لغير الله سبحانه . ومنها رؤية الله تعالى فى نعمه وآلائه ومعونته ووافر كرمه وبره ، مع التخلّى عن مشاعر الكبر والعجب (٣) . الخ . فالايمان بالقدر حافز قوى للايجابية والعمل ، والأخذ بالأسباب والتوكل على الله مسبب الأسباب اسبابا ، مع التجافى عن التواكل والخمول والقعود . « فالعبد مأمور بأن يجاهد فى سبيل الله ، ويدفع ما قدر من المعاصى ، بما قدر من الطاعة ، فهو منازع للمقدور المحذور ، بالمقدور المأمور له تعالى . وهذا هو دين الله الذى بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، صلوات الله عليهم » (٤) .

- 
- (١) ابن تيمية : الاحتجاج بالقدر ص ٢٧ طبعة أنصار السنة .  
(٢) الاحتجاج بالقدر ص ٤٢ - ٤٥ ، وانظر مبحث اثر العقيدة فى النفس والمجتمع من هذا الكتاب .  
(٣) انظر : للدكتور يوسف القرضاوى ، ( الايمان والحياة ) وله دراسته القيمة عن ( الصبر ) وللدكتور نعيم ياسين ( الايمان ) ص ١٥٦ - ١٦٦  
(٤) الاحتجاج بالقدر ص ١٢ .

## كلمة ختامية

وبعد :

فانى احمد الله تعالى أن وفقنى الى كتابة هذه البحوث عن اصول  
الايمان الستة ، فقد كانت هذه اعز أمنياتى منذ سنوات •

وقد نهجت فيها نهج القرآن الحكيم ، وتجافيت كلية عن خلافات  
المتكلمين ، وخصوصات المتجادلين •

وحرصت على الربط بين تقرير اصول العقائد ، والنظر فى آيات  
الله فى القرآن : ( مصدر العقائد ) وآيات الله فى الآفاق والآنفس - الكون :-  
( مصدر الأدلة على هذه العقائد الايمانية ) •

وعنيت بابرار مقتضى هذه العقائد ، عند الحديث عن كل اصل ؛  
خصوصا عند الحديث عن توحيد الله تعالى : فهو اصل اصول الدين •

وقد اشرت اشارات عجلى مجملة الى نواقض الايمان ؛ ولأن موضوع  
نواقض الايمان دقيق وخطير ، فهو بحاجة الى بسط وتفصيل ، أرجو أن  
أفرد له بحثا قائما براسه ان شاء الله تعالى •

وكذلك شعب الايمان ، أو فروعها بحاجة الى دراسة مستوعبة ؛ ينظر  
فيها الى ما كتبه علماؤنا رحمهم الله ، مثل كتاب : « المنهاج فى شعب  
الايمان » ، والبيهقى فى « شعب الايمان » ، وغيرهم •

هذا ،

وأرجو الله تعالى أن يوفقنى لانجاز ذلك ، وأن يعيننى ، ويرزقنى  
الاخلاص ، وينفع بما اكتب •

والحمد لله أولا وآخرا •

## المصادر والمراجع

أولا : باللغة العربية :

- ابراهيم خليل أحمد ( فيلبس سابقا ) : محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل مكتبة الوعى العربى .
- ابن أبى شيبة ( أبو بكر ) : الايمان تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى نشر دار الأرقم بالكويت .
- ابن أبى العز الدمشقى : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ابن برجان الصوفى : شرح أسماء الله الحسنى رسالة ماجستير بدار العلوم .
- ابن البطريق ( البطريق سعيد ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق .
- ابن بطة العبرى : الشرح والاناة على أصول أهل السنة والديانة تحقيق د . رضا نعان مصطفى ، سنة ١٩٨٤ م الفيصلية بمكة .
- ابن تيمية : الاحتجاج بالقدر طبعة أنصار السنة .
- ابن تيمية : التوحيد تحقيق د . محمد السيد الجليند نشر مؤسسة علوم القرآن .
- ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح نشرة المطبعة المدنية بمصر .
- ابن تيمية : الحسنة والسيئة « رسالة ضمن مجموع شذرات البلاتين جمع الشيخ حامد الفقى .
- ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول تحقيق د . محمد رشاد سالم ط جامعة الامام بالرياض .
- ابن تيمية : الرد على المنطقيين طبعة الهند .
- ابن تيمية : الرسالة التدمرية - المكتب الاسلامى .
- ابن تيمية : رسالة العبودية - المكتب الاسلامى ( نشرة البانى ) .
- ابن تيمية : العقيدة الواسطية وشرحها للأستاذ محمد خليل هراس توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- ابن تيمية : الفتاوى - طبعة الرياض .
- ابن تيمية : الفرقان - طبعة مصر .

- ابن تيمية : معارج الوصول الى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول  
طبع السلفية سنة ١٣٨٧ هـ بمصر .
- ابن تيمية : منهاج السنة ط بولاق .
- ابن تيمية : نقض المنطق ط أنصار السنة المحمدية بمصر ، دار الجيل  
بـلبنان .
- ابن الجوزى : الوفاء بأحوال المصطفى تحقيق مصطفى عبد الواحد نشر  
دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى على شرح صحيح البخارى - السلفية .
- ابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل نشر دار الندوة .
- ابن خزيمة : التوحيد واثبات صفات الرب الطبعة المنيرية الأولى ، تعليق  
محمد خليل هراس .
- ابن رجب الحنبلى : كلمة الاخلاص وتحقيق معناها نشرة المكتب  
الاسلامى ط ٤ .
- ابن رشد : تلخيص كتاب الخطابة تحقيق د . محمد سليم سالم نشر  
الهيئة المصرية .
- ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، من مجموع رسائل  
ابن رشد ، تحقيق د . محمود قاسم ط الأنجلو  
المصرية ط ٣ .
- ابن عبد الوهاب ( محمد ) : أصول الايمان نشر مكتبة المعارف بالرياض .
- ابن العربى ( أبو بكر ) : أحكام القرآن - بيروت - دار الكتب العلمية .
- ابن عربى : الفتوحات المكية - الهيئة العامة للكتاب بتحقيق  
د . عثمان يحيى .
- ابن فورك : مشكل الحديث .
- ابن القيم : اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ط الحلبي بمصر  
سنة ١٩٦١ م .
- ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد - طبع جامعة الامام  
محمد بن سعود .
- ابن القيم : شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
- ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين -  
بيروت .

- ابن قتيبة : تاويل مختلف الحديث - بيروت .
- ابن قتيبة : دلائل النبوة - بيروت .
- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط دار الشعب بمصر .
- ابن منده : الايمان .
- أبو ريان ( د . محمد على ) : موقف الاسلام من الماركسية - الاسكندرية .
- أبو زهرة ( الشيخ محمد ) : محاضرات في النصرانية نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية في الرياض .
- أبو نعيم : دلائل النبوة - بيروت .
- الأجرى ( محمد بن الحسن ) : الشريعة تحقيق محمد حامد الفقى تصوير دار الكتب العلمية بيروت .
- أحمد عزت باشا ( المشير ) : الدين والعلم نشر لجنة التأليف سنة ١٩٤٨ .
- الاسكندراني : مسالك النظر في نبوة سيد البشر . مخطوط - تحت الطبع .
- الاسفرايين ( أبو المظفر ) : التبصير في الدين تحقيق كمال الحوت - بيروت .
- الأشعرى : أصول أهل السنة والجماعة ( رسالة ) وهى مسماة برسالة أهل الثغر تحقيق د . محمد السيد الجلنيد ط التقدم بمصر سنة ١٩٨٧ م .
- الأشقر ( عمر سليمان ) : الرسل والرسالات .
- الأشقر ( عمر سليمان ) : عالم الملائكة ط سنة ١٩٧٩ م .
- الأصفهاني ( أبو القاسم ) : الدلائل - بيروت .
- الأصفهاني ( الراغب ) : المفردات في غريب القرآن - بيروت .
- أمزيان ( محمد ) : منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية وهو رسالة ماجستير بدار العلوم سنة ١٩٨٧ م .
- الأفغانى ( جمال الدين ) : الرد على الدهريين - القاهرة .
- آل الشيخ ( الشيخ عبد الرحمن بن حسن ) : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - الرياض .
- الألوسى ( د . حسام ) : حوار بين المتكلمين والفلاسفة .
- الأندلسى ( ابن عطية ) : تفسير ابن عطية - طبعة الدوحة .
- الأيجى ( العضد ) : المواقف في علم الكلام ، تصوير عالم الكتب بيروت .

- أيوب ( الشيخ حسن ) : تبسيط العقائد الاسلامية ط. دار البحوث العلمية .
- الباقلانى ( أبو بكر بن الطيب ) : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به تحقيق زاهد الكوثرى مؤسسة الخانجى سنة ١٩٦٣ م .
- الباقلانى ( أبو بكر الطيب ) : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت سنة ١٩٨٧ م .
- البخارى ( محمد بن اسماعيل ) : خلق أفعال العباد تحقيق د. عبد الرحمن عميرة دار المعارف السعودية .
- بدران ( بدران محمد ) : التوراة توزيع دار الانصار بالقاهرة .
- برويائيف : الاتجاه العام للفلسفة السوفيتية اللاحادية . نشرة سنة ١٩٣٣ .
- برستيد ( جيمس هنرى ) : تاريخ مصر .
- برستيد ( جيمس هنرى ) : فجر الضمير .
- برنابا : انجيل برنابا ترجمة د . خليل سعادة مطبعة محمد صبيح القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- بريل ( ليفى ) : فلسفة أوجست كنت ترجمة د . محمود قاسم الأنجلو سنة ١٩٥٢ م .
- البغدادى ( أبو منصور ) : أصول الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت .
- البغوى : تفسير البغوى - طبعة دار الكتب العلمية بيروت .
- البكرى ( وهيب أحمد ) : بولس ودوره فى تحريف النصرانية رسالة ماجستير بكلية الدعوة بالرياض بإشراف د . محمد الشرقاوى .
- البنا ( الشيخ حسن ) : مجموع الرسائل نشر دار القلم بيروت .
- بوليتزر ( جورج ) : أصول الفلسفة الماركسية تعريب شعبان بركات . طبع بيروت .
- البيهقى : الأسماء والصفات المركز الاسلامى للكتاب .
- البيهقى : الاعتقاد والهداية نشرة كمال الحوت عالم الكتب بيروت .
- البيهقى : البعث والنشور نشرة الدكتور عبد الفتاح الغاوى والدكتور أحمد يوسف دار العروبة بالكويت .

- البيهقى : دلائل النبوة .
- البيروتى ( الطاهر ) : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية نشر دار الصحوة بالقاهرة ، تقديم وتعليق د محمد عبد الله الشرقاوى .
- الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على هل الصليب ، ط . المعارف بتحقيق د . محمود حمادة .
- الجاحظ المختار : فى الرد على النصارى تحقيق د . محمد الشرقاوى نشر دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م .
- الجزائرى ( الشيخ أبو بكر ) : عقيدة المؤمن ط دار الفكر العربى بمصر .
- نديم الجسر : قصة الايمان توزيع دار العربية .
- د . كمال جعفر : التصوف : مكتبة دار العلوم .
- الجوينى : شفاء العليل - نشرة الرئاسة العامة بالرياض .
- الجوينى : لمع الأدلة تحقيق د . فوقية حسين الدار المصرية للتأليف سنة ١٩٦٥ م .
- حجبى ( طارق ) أفكار ماركسية فى الميزان - مدبولى .
- حجبى ( طارق ) : الشيوعية والأديان - اتحاد البنوك الاسلامية .
- الحفنى ( عبد المنعم ) : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية بيروت .
- الحلیمى : المنهاج فى شعيب الايمان تحقيق حلمى محمد فودة دار الفكر بيروت .
- خان ( وحيد الدين ) : الاسلام يتحدى نشر المختار الاسلامى .
- الخضرى ( الدكتور القس حنا ) : تاريخ الفكر المسيحى دار الثقافة .
- الخطيب ( عبد الكريم ) : القضاء والقدر ط دار المعرفة .
- خلال : كتاب السنة .
- الدار قطنى ( على بن عمر ) : الصفات تحقيق عبد الله الغنيمان .
- داود ( البروفيسور عبد الأحد ) : محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس مترجم عن الانجليزية ومنشور فى الدوحة .
- دراز ( د . محمد عبد الله ) : الدين بدون بيانات .
- دوبولس ( بابا ) : تاريخ كنيسة أنطاكية تعريب الأسقف استفانس حداد نشر النور سنة ١٩٨٤ م .
- دوکاسيه ( بدير ) : الفلسفات الكبرى الترجمة العربية .



- ديورانت ( ول ) : قيصر والمسيح ، ترجمة محمد بدران نشر جامعة الدول العربية ( قصة الحضارة ١١ ) .
- ديورانت ( ول ) : مباحج الفلسفة ترجمة د . احمد فؤاد الأهواني الأنجلو سنة ١٩٥٦ م .
- الذهبي : العلو للعلی الغفار اختصار الشيخ ناصر الدين الألبانی المكتب الاسلامی .
- الرازی ( الفخر ) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين نشرة د . علی النشار دار الكتب العلمية .
- الرازی ( الفخر ) : شرح أسماء الله الحسنى نشر طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربی .
- الرازی ( الفخر ) : عصمة الأنبياء - بيروت .
- الرازی ( الفخر ) : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين نشر دار الكتاب اللبنانى .
- الرازی ( الفخر ) : مفاتيح الغيب - بيروت .
- رضا ( محمد رشيد ) : الوحي المحمدی المكتب الاسلامی .
- الزركشى : البرهان فى علوم القرآن - بيروت .
- الزركشى : معنى لا اله الا الله تحقيق على محى الدين القرة داغى نشر الاصلاح سنة ١٩٨٢ م .
- سابق ( الشيخ سيد ) : العقائد الاسلامیة دار النصر سنة ١٩٦٧ م ط ٢
- سبينوزا ( باروخ ) : رسالة فى اللاهوت والسیاسة ترجمة د . حسن حنفى نشر الهيئة المصریة للكتاب .
- د . سعيد رمضان : نقض أوهام المادیة الجدلیة مؤسسة الرسالة .
- السموال بن یحیی المغربی : افحام اليهود تحقيق د . محمد الشرقاوى نشر سنة ١٩٨٥ .
- السفارینی : لوامع الأنوار البهیة ط دمشق .
- السيوطی : الاتقان فى علوم القرآن - الحلبي .
- السيوطی : الخصائص الكبرى - الحلبي .
- السيوطی : الدر المنظم فى الاسم الأعظم ضمن مجموع بعنوان رسائل الاسم الأعظم للغزالی والسيوطی وابن عربی ( محى الدين ) نشرة مكتبة نصير بالقاهرة بعناية بدوى طه علام .

- الشرقاوى ( د . محمد عبد الله ) : تأملات حول وسائل الادراك في القرآن الكريم : الحس والعقل والقلب والفؤاد واللب  
نشر الرياض سنة ١٩٨٢ م .
- الشرقاوى ( د . محمد عبد الله ) : الفكر الأخلاقى دراسة مقارنة مكتبة  
الزهراء .
- الشروقاوى ( د . محمد عبد الله ) : الفلسفة العامة دراسة نقدية نشر  
مكتبة الزهراء .
- الشرقاوى ( د . محمد عبد الله ) : فى مقارنة الأديان نشر دار الهداية .
- الشرقاوى ( د . محمد عبد الله ) : القرآن والكون نشر مكتبة الزهراء .
- الشروقاوى ( د . محمد عبد الله ) : مبدأ السببية رسالة دكتوراه  
بدار العلوم سنة ١٩٨١ م .
- الشرقاوى ( د . محمد عبد الله ) : مدخل نقدى لدراسة الفلسفة نشر  
مكتبة الزهراء .
- الشعراوى ( الشيخ محمد متولى ) : عقيدة المسلم - دار التراث الاسلامى .
- الشنقيطى ( محمد الأمين ) : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات  
ط الدار السلفية بالكويت .
- الشهرستانى : الملل والنحل ، بتحقيق سيد كيلانى - بيروت .
- الشوكانى : التحف فى مذاهب السلف ضمن مجموع رسائل فى العقيدة  
نشرة عبد الله حجاج .
- الشوكانى : تحفة الذاكرين - ضمن مجموع .
- الصابونى ( اسماعيل بن عبد الرحمن ) : عقيدة السلف أصحاب الحديث  
ضمن مجموع رسائل فى العقيدة بعنوان عقائد الفرقة  
الناجية اعداد عبد الله حجاج نشر شركة السلام  
العالمية بالقاهرة .
- الصقلى ( حماد ) : مقالة عن النبوة والحاجة اليها مجلة هذه سبيل  
الحولية الصادرة عن كلية الدعوة والاعلام بالرياض  
سنة ١٤٠٤ باشراف د . الشرقاوى .
- الطبرى : ( على بن ربن الطبرى ) الدين والدولة فى اثبات نبوة محمد  
صلى الله عليه وسلم - بتحقيق عادل نويهض -  
ط دار الآفاق - بيروت .
- الطبرى : تفسير الطبرى - دار المعارف .
- الطحاوى : ( أبو جعفر الطحاوى ) : العقيدة . شرح وتعليق : ناصر  
الدين الألبانى - ط أولى . ١٣٩٨ - المكتب الاسلامى .

- عبد الجبار : ( القاضي عبد الجبار الأسدي ) : تنزيه القرآن عن المطاعن - بيروت .
- عبد الجبار : ( القاضي عبد الجبار الأسدي ) : تثبيت دلائل النبوة - بيروت - مكتبة دار العروبة .
- عبد الحميد : د . عرفان عبد الحميد : الفرق والعقائد الإسلامية - ط : مؤسسة الرسالة .
- عبد الرازق : مصطفى عبد الرازق : الوحي - سلسلة المكتبة الفلسفية .
- عبد الوهاب : أحمد عبد الوهاب : النبوة والأنبياء - ط وهبة .
- عبد الوهاب : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، وهبة .
- اختلاف في ترجمات الكتاب المقدس . وهبة .
- عبده : ( الشيخ : محمد عبده ) التوحيد .
- عبد الله بن أحمد بن حنبل : السنة - المطبعة السلفية - مكة المكرمة - ١٣٤٩ هـ .
- العجمي : ( د . أبو اليزيد العجمي ) فقه العقيدة عند الأئمة ، أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد نشر دار الهداية .
- العجمي : ( د . أبو اليزيد العجمي ) الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية - نشرة دار الهداية - القاهرة .
- العجمي : ( د . أبو اليزيد العجمي ) الانسان بين المسئولية والتكريم - ط - رابطة العالم الإسلامي .
- العسقلاني : ( ابن حجر ) فتح الباري .
- العقاد : عباس العقاد : الفلسفة القرآنية - دار نهضة مصر .
- العقاد : عباس العقاد : الله « كتاب في نشأة العقيدة الدينية » - دار المعارف - ١٩٤٧ .
- العقاد : عباس العقاد : الانسان في القرآن . دار نهضة مصر .
- عياض : القاضي عياض السفاء - بيروت .
- الغزالي ( الامام أبو حامد ) : احياء علوم الدين دار الندوة بيروت
- الغزالي ( الامام أبو حامد ) الاقتصاد في الاعتقاد نشر مكتبة الجندي بمصر .

- الغزالي ( الامام أبو حامد ) : المنقذ من الضلال - بتحقيق د . عبد الحليم محمود . دار المعارف .
- الغزالي ( الشيخ محمد ) : خلق المسلم ط الدوحة .
- الغزالي ( الشيخ محمد ) : عقيدة المسلم ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
- الغزالي ( الشيخ محمد ) : نظرات في القرآن .
- الغمراوي : د . محمد أحمد الاسلام في عصر العلم .
- فرغل : ( د . يحيى هاشم ) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الاسلامية  
نشرة مجمع البحوث سنة ١٩٧١ م .
- فريزر : ( جيمس ) الفلكلور في أسفار العهد القديم ترجمة د . نبيلة ابراهيم نشرة دار المعارف في جزأين .
- الفقى : ( محمد حامد ) شذرات البلاتين ط سنة ١٣٧٥ هـ بمصر وفيها كتاب رد الدرامى على المريسى .
- الفندى : ( د . أحمد جمال ) : الله والكون الهيئة العامة للكتاب .
- القاسم بن سلام : ( أبو عبيد ) : الايمان تحقيق وتخرىج محمد ناصر الدين الألبانى نشرة المكتب الاسلامى ط ٢ ١٩٨٣ م .
- القارى : ( على ) : شرح على القارى على الفقه الأكبر المنسوب لأبى حنيفة .
- القرافى : الأجوبة الفاجرة في الرد على الأسئلة الفاجرة .
- القرضاوى : ( د . يوسف ) : الايمان والحياة مؤسسة الرسالة ط الثانية عشرة سنة ١٩٨٥ م .
- القرضاوى : ( د . يوسف ) : وجود الله نشرة وهبة بمصر .
- القرطبى : التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ط دار الفكر .
- قطب : ( سيد ) : خصائص التصور الاسلامى ط الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية .
- قطب : ( سيد ) : في ظلال القرآن ط دار الشروق .
- قطب : ( سيد ) : مشاهد القيامة في القرآن الكريم ط الشروق .
- قطب : ( سيد ) : مقومات التصور الاسلامى .
- قطب : ( سيد ) : اتجاهات فكرية معاصرة الشروق .
- قطب : ( محمد ) : الانسان بين المادية والاسلام الشروق .
- كاريل : الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - بيروت .

- كرم : يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية بيروت .
- الكلبي : ابن جزى الكلبي التسهيل في علوم التنزيل بيروت .
- كلسن : هانز كلسن النظرية البلشفية . ترجمة د . حسين نصار - طبعة الحلبي - نشرة ١٩٥٤ م .
- الكندي : أبو اسحاق الكندي : رسائل الكندي الفلسفية . بتحقيق د . محمد عبد الهادي أبو ريذة - دار الفكر العربي .
- كوننج : الكاردينال كوننج : التوحيد في العالم المعاصر . نشرة القاهرة - ١٩٦٥ .
- كوخ : ادريين كوخ : آراء فلسفية في أزمة العصر ترجمة : محمود محمود - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- كريسون : اندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفي في العصور الوسطى . الترجمة العربية .
- لاروس : معجم لاروس للقرن العشرين .
- اللا لكائي : ( أبو القاسم ) : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعد حمدان نشر دار طيبة بالرياض .
- لوسكى : ( نيقولاى ) : تاريخ الفلسفة الروسية ترجمة فؤاد كامل نشر دار المعارف بمصر .
- لوقا : ( د . نظمي ) : الله مكتبة غريب .
- لينين : المختارات دار التقدم موسكو نشر سنة ١٩٧١ م .
- الماتريدى : أبو منصور الماتريدى : التأويلات ، التوحيد : تحقيق د . فتح الله خليف .
- الماوردى : اعلام النبوة - تصوير بيروت .
- المبارك : محمد المبارك : العقيدة في القرآن الكريم - بيروت .
- المتطبيب : نصر بن يحيى المتطبيب : النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية دار الصحوة .
- مدكور : د . عبد الحميد مدكور : مذكرة في علم الكلام - دار العلوم - ١٩٧٥ .
- المودودى : أبو الأعلى المودودى : مبادئ الاسلام . القاهرة .
- موريسون : كريسي موريسون : العلم يدعو الى الايمان - بيروت .

- موسى : د . محمد يوسف موسى : العقيدة وخطر الانحراف - سلسلة الثقافة الاسلامية عدد ٢٩ .
- موسى : د . محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه .
- مونسما : جون كلفر مونسما اشرف على تحرير كتاب « الله يتجلى في عصر العلم لمجموعة من أعيان الطبيعيين في الغرب - ترجمة : د . الدمرداش - رحان - نشر مؤسسة الحلبي .
- : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية - طبعة مكتب التربية للخليج العربي .
- النجدي : ابن قائد النجدي : نجاة الخلف في اعتقاد السلف - تحقيق : د . أبو اليزيد العجمي - نشرة دار الصحوة - القاهرة .
- الندوى : أبو الحسن الندوى ، رجال الفكر والدعوة في الاسلام - بيروت .
- الندوى : أبو الحسن الندوى ، النبوة والأنبياء - بيروت .
- النورسي : سعيد النورسي ( بديع الزمان ) الانسان والايمان - تعريب احسان قاسم الصالحى - نشرة دار الاعتصام .
- النورسي : سعيد النورسي ( بديع الزمان ) : حقيقة التوحيد - دار الوفا .
- نوفل : عبد الرازق نوفل : الله والعلم الحديث - الشعب .
- النووى : شرح صحيح مسلم . تصوير بيروت .
- الهاشمى : ( العميد الركن طه ) : تاريخ الأديان وفلسفتها منشورات مكتبة الحياة سنة ١٩٦٣ .
- الهندي : ( رحمة الله الهندي ) : اظهر الحق - ط قطر .
- هوك : ( سدن ) : التراث الغامض : ماركس والماركسيون ترجمة : سيد كامل زهران - الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦ م .
- الواسطى : أحمد بن ابراهيم : النصيحة في صفات الرب جل وعلا نشر المكتب الاسلامى .
- ولسون كولن : سقوط الحضارة ( ترجمة ) نشرة بيروت .
- ياسين : د . محمد نعيم ياسين : الايمان م الفلاح بالكويت .
- اليماني : ابن المرتضى اليماني : ايثار الحق على الخلق - دار الكتب العلمية .

ثانيا : باللغة الأجنبية

- 1 — Edwyn Bevan, Hellenism and Christianity, London. First published in 1921.
- 2 — Otto Eissfeldt, The old Testament : An Introduction, Oxford, 1974.
- 3 — John, Hayes, An Introduction to Old Testament Study, SCM London, 1979.
- 4 — Roben Lane Fox, Pagans and Christians, U.S.A. 1986. Great Britain, By viking, 1987.
- 5 — Martin Hengel, Judaism and Hellenism, 2 Vol. S.C.M 1974.
- 6 — John Hick, The Myth of God Incarnate, SCM. London, 1985.
- 7 — Otto Kaiser, Introduction to the Old Testament, Oxford, 1973.
- 8 — Werner G. Kummel, Introduction to New Testament, Revised English Edition, 1984. U.S.A.
- 9 — Alister Kee, Constantine Versus Christ, SCM, 1982.
- 10 — Elaine Pagels. The Gnostic Cospels, New York, 1967.
- 11 — J. M. Robertson, Pagans Christs, Univ. Books N. Y, 1967.
- 12 — Emil Schurer. The History of the Jewis Peopel in the Age of Jesus Christ, Tand T Clark, 1979.
- 13 — Eden Spence, Early Christianity and Paganism, Hoo Vince.
- 14 — G. A. wells, Jesus of the Early Christians, A study in Christian Origins, G. Britain, 1971.

## محتويات الكتاب

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| مقدمة المؤلف  | ١ - ٣      |
| القسم الأول : بحوث تمهيدية تتعلق بالايمان والاعتقاد ،<br>تشمل :                                   | ٥          |
| ● نظرة عامة الى خريطة العقائد الدينية في العالم المعاصر   | ٧          |
| - سبب أزمة الانسان المعاصر ١٠ - انفكالك الجهة بين ذبوع<br>الاحاد والشك وتقدم العلوم الطبيعية .    | ١٢         |
| ● نشأة الدين ، وهل هو ظاهرة اجتماعية ، ومناقشة من<br>يرى تطور الدين وترقيه من الوثنية الى التوحيد | ١٤         |
| - هل التدين نزعة أصيلة في الانسان أو فكرة عارضة<br>طارئة ؟  | ١٤         |
| - هل الدين ظاهرة اجتماعية نشأ أول ما نشأ وثنيا<br>ساذجا ، ثم ترقى الى التوحيد ؟                   | ١٩         |
| - تصورات الباحثين الغربيين عن أسباب نشأة العقيدة<br>الالهية                                       | ٢٤         |
| ● أثر العقيدة على النفس والمجتمع  | ٢٦         |
| - تمهيد   | ٢٦         |
| أولا : أثر العقيدة في الفرد   | ٢٧         |
| ١ - الايمان يحقق سكينة النفس وطمأنينة القلب   | ٢٧         |
| - كيف يحقق الايمان سكينة النفس المؤمنة ؟  | ٢٨         |
| - الايمان يحقق الرضى النفسى   | ٣٧         |
| - الايمان يسورث الأمن النفسى  | ٣٨         |
| - الايمان يمنح الأمل والتفاؤل والاستبشار  | ٤١         |
| - الايمان يثمر الحب فى القلوب   | ٤٣         |
| - أثر العقيدة فى ارتفاع الروح المعنوية للمؤمن   | ٤٤         |
| - الايمان يغرس الشعور بالعزة فى نفس المؤمن ( مكانة<br>الانسان فى نظر المسادين ، وفى الاسلام )     | ٤٥         |
| - التوحيد يحرر النفس الانسانية  | ٤٩         |



| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| ثانيا : أثر العقيدة في المجتمع  | ٥١         |
| نمهيـد  | ٥١         |
| - العقيدة والأخلاق  | ٥٢         |
| - العقيدة وبناء الضمير  | ٥٤         |
| - الدين والمجتمع  | ٥٥         |
| ● نبذة عن مصدر العقيدة وبيان قصور الميتافيزيقا وتهافتها في فهم الألوهية | ٥٧         |
| - الأسئلة الملحة  | ٥٧         |
| تخطب اجابات الفلاسفة عنها   | ٥٨         |
| - مهمة العقل ، ومجاله ، وطاقته  | ٥٩         |
| - الأثر السلبي للميتافيزيقا   | ٥٩         |
| ● كتب العقيدة في التراث الاسلامي : نظرة تقويمية عامة                    | ٦١         |
| - التجافي عن طريقة القرآن   | ٦٢         |
| - طغيان روح الخصومة والجسدال  | ٦٢         |
| - عدم تحري صحة الأحاديث ( أحاديث ضعيفة من كتب :                         |            |
| رد الدرامى على المرسى ،   | ٦٢         |
| كتاب السنة لابن أبى عاصم ،  | ٦٣         |
| كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ،                                  | ٦٤         |
| كتاب التوحيد لابن خزيمة ،   | ٦٥         |
| كتاب الايمان لابن منده ،  | ٦٥         |
| كتاب الابانة لابن بطة ، كتاب شرح أصول اعتقاد                            |            |
| أهل السنة والجماعة للالكائى   | ٦٥         |
| كتاب كلمة الاخلاص وتحقيق معناها لابن رجب الحنبلى                        | ٦٦         |
| - تصوير ابن تيمية للخصومة وذكر أسبابها                                  | ٦٦         |
| - نتائج الخصومة حول العقيدة على الأمة                                   | ٦٩         |
| ● من خصائص العقيدة الاسلامية وميزاتها :                                 | ٧٠ - ٧٦    |
| - الريانية  | ٧٠         |
| - الثبات  | ٧٠         |

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| - الكمال  | ٦٢         |
| - الوضوح  | ٧٢         |
| - الانسجام مع الفطرة  | ٧٣         |
| - التوازن   | ٧٣         |
| - الاعتداد بالعقل والبرهسان   | ٧٤         |
| - الوسطية   | ٧٥         |
| ● حقيقة الايمان والاعتقاد   | ٧٧         |
| - تمهيد   | ٧٧         |
| - معنى ( امنت بالله ) ، ( وامننت لله )                                  | ٧٧         |
| - رأى الامام الحليمى  | ٧٨         |
| - معنى صدقت بالله ، وصدقته لله  | ٧٩         |
| - الايمان والاعتقاد   | ٨٠         |
| - طاعات المؤمنين ايمان ، ومعصية المؤمنين ليست كفرا                      | ٨٠         |
| - الايمان بالله ورسوله منه خفى وجلى                                     | ٨١         |
| - الايمان يطلق على : الاعتقاد القلبى ، والاقرار اللسانى ، والعمل الصالح | ٨٢         |
| - رأى أبى عبيد القاسم بن سلام   | ٨٣         |
| - قول محمد بن الحسين الأجرى   | ٨٣         |
| - الايمان ينقسم الى أصل وفرع ، أو جذر وجذع                              | ٨٥         |
| - الاسلام والايمان وهل بينهما فرق                                       | ٨٦         |
| - زيادة الايمان ونقصانه   | ٨٩         |
| - ملحق رقم ( ١ ) عدم تكفر المؤمنين بالذنوب والمعاصى :                   |            |
| للحليمى والقاسم بن سلام   | ٩٢         |
| - الآثار الواردة فى التغليظ على مرتكبى الآثام على أربعة أنواع           | ٩٣         |
| - فهم العلماء لها وكيفية تأويلها  | ٩٦         |
| - رأى أهل السنة والجماعة : ( كفر دون كفر ، وكفر لا يخرج من الملة )      | ٩٨         |

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| القسم الثاني : أصول الايمان   | ١٠٤        |
| مدخل : المراد بالعقائد  | ١٠٥        |
| - أصول الايمان ستة كما وردت في القرآن والسنة                          | ١٠٨        |
| ● الأصل الأول : الايمان بالله تعالى ، ويشمل :                         | ١٠٩        |
| - أولا : وجود الله تعالى :  | ١١١        |
| - نظرة الى عقائد البشر ابان البعثة ( لأبي الحسن الأشعري )             | ١١١        |
| - وجود الله أظهر الحقائق وأجلاها                                      | ١١٢        |
| - الغزالي يشرح لماذا كان وجود الله أظهر الحقائق على الإطلاق           | ١١٣        |
| - الأدلة على وجود الله تعالى :  | ١١٥        |
| ( أ ) دليل الفطرة   | ١١٦        |
| ( ب ) الأدلة الكونية :  | ١١٩        |
| - الصلة بين العقيدة والنظر في الآفاق والأنفس ( الكون )                | ١١٩        |
| - دليل الخلق والاختراع  | ١٢٢        |
| - ظهور الحياة في المادة الصماء يضع الملحدين أمام مشكلة لا حل لها      | ١٢٤        |
| - دليل تسوية الخلق وإحسانه واتقان صنعه ، وخلوه من التفاوت والنقص      | ١٢٨        |
| - الحكمة والقصد وهدم فكرة المصادفة                                    | ١٣٠        |
| - اشارات القرآن الى ذلك   | ١٣١        |
| - اشارات القرآن الكريم اليه   | ١٣٢        |
| - دليل الهداية  | ١٣٣        |
| - مظاهره في المخلوقات ( كالنحل ، والنمل ، والعنكبوت الخ )             | ١٣٤        |
| - مظاهر الهداية في خلايا الجسم الحي                                   | ١٣٩        |
| - ابن رشد والأدلة الكونية   | ١٤٢        |
| - ملحق ( ٢ ) بيان ' كيفية التفكير في خلق الله تعالى لأبي حامد الغزالي | ١٤٣        |
| ( م ٢٢ - الايمان )  |            |

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| - التفكير في خلق الانسان من نطفة ساذجة ، وكيف تطورت وتحورت الى هذا المخلوق العجيب | ١٤٣        |
| - دلالة الوحي ( قصص الأنبياء مع أقوامهم )   | ١٥١        |
| - توظيف حقائق العلم الحديث في الاستدلال على صحة العقائد وتثبيتها في النفوس        | ١٥٢        |
| - نقد منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى                             | ١٥٦        |
| - دليل الجوهر والعرض ، ووجوه نقده   | ١٥٧        |
| - دليل الممكن والواجب ، ووجوه نقده  | ١٦٠        |
| ثانيا : توحيد الله تعالى :  | ١٦٢        |
| - التوحيد من أبرز خصائص العقيدة الاسلامية   | ١٦٢        |
| - حقيقة التوحيد وأقسامه   | ١٦٢        |
| ( أ ) توحيد الربوبية  | ١٦٣        |
| - القلوب مفطورة على الايمان بتوحيد الله   | ١٦٤        |
| ( ب ) توحيد الألوهية  | ١٦٨        |
| - من مقتضيات توحيد الألوهية   | ١٧٠        |
| ( ج ) توحيد الأسماء والصفات   | ١٧٢        |
| - ثلاثة مطالب لتحقيق توحيد الأسماء والصفات  | ١٧٢        |
| ثالثا : أسماء الله الحسنى وصفاته  | ١٧٦        |
| - معانى بعض هذه الأسماء   | ١٧٧        |
| - الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين  | ١٧٨        |
| - أسماء الله توقيفية  | ١٧٩        |
| - اسم الله الأعظم   | ١٧٩        |
| - الآثار في ذلك   | ١٨٠        |
| - صفات الله تعالى   | ١٨١        |
| - سؤال يهجم على بعض الناس   | ١٨٣        |
| - موقف علماء العقيدة من صفات الله تعالى   | ١٨٣        |
| - مشكلة الصفات والخلافات الحادة حولها   | ١٨٥        |

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| - رأينا في المسألة  | ١٨٦        |
| - رأى بعض العلماء   | ١٨٦        |
| رابعاً : من مباحث « لا اله الا الله » :                     | ١٨٨        |
| - الشهادة اعتقاد واقرار                                     | ١٨٨        |
| ماذا تتضمن ( لا اله الا الله )                              | ١٨٨        |
| - من قال « لا اله الا الله » ، وأدى حقها وفرضها             |            |
| دخل الجنة   | ١٨٩        |
| - تحقق القلب بمعنى الشهادتين                                | ١٩٠        |
| - شهادة أن ( لا اله الا الله ) تستلزم شهادة ( أن            |            |
| محمدًا رسول الله )  | ١٩١        |
| - من أسماء ( لا اله الا الله )                              | ١٩٢        |
| خامساً : مقارنة بين منهج القرآن الكريم في عرض قضايا الايمان |            |
| والدعوة اليها ، ومناهج المتكلمين :                          | ١٩٣        |
| - نقد المتكلمين في استدلالهم على وحدانية الله :             | ١٩٦        |
| سادساً : تصور الديانتين : اليهودية والنصرانية للتوحيد :     | ١٩٩        |
| ١ - التوحيد في الديانة اليهودية                             | ٢٠١        |
| ٢ - التوحيد في الديانة النصرانية                            |            |
| - مصادر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية                | ١٠١        |
| ● الأصل الثانى : الايمان بالملائكة                          | ٢٠٧        |
| - معناه   | ٢٠٧        |
| دليله من القرآن والسنة                                      | ٢٠٨        |
| - وظائف الملائكة وأسماء المعروفين من بينهم                  | ٢٠٩        |
| - الملائكة عباد لله مكرمون                                  | ٢١٢        |
| - علماء الكلام لم يعطوا هذا الأصل حقه                       | ٢١٥        |
| - أثر الايمان بالملائكة على الانسان                         | ٢١٦        |
| ● الأصل الثالث : الايمان بالكتب                             | ٢١٩ - ٢٤٧  |
| - مفهومه ودليله من القرآن والسنة المطهرة                    | ٢٢١        |
| - الكتب المذكورة في القرآن                                  | ٢٢٢        |

| الموضوع  | رقم الصفحة |
|--|------------|
| - حفظ القرآن   | ٢٢٤        |
| - دلالة القرآن على أنه كتاب الله تعالى وعلى الكتب المذكورة فيه : دلالة عقلية برهانية | ٢٢٥        |
| - القرآن مهيمن على الكتب السابقة عليه  | ٢٢٨        |
| - بيان القرآن عن بعض ما فيه من النور والهدى  | ٢٣٠        |
| - تحريف التوراة والإنجيل   | ٢٣٣        |
| - بعض الدراسات الغربية النقدية الحديثة   | ٢٣٤        |
| - نقد سند التوراة وممتنها  | ٢٣٧        |
| - الحبر اليهودى ابن عزرا الغرناطى ينقد سند التوراة                                   | ٢٣٧        |
| - الفيلسوف اليهودى سبينوزا ينقد سند التوراة  | ٢٤٢        |
| مراجع للتوسع .   |            |
| - التوراة الحالية ليست هى التى أنزلها الله على موسى                                  | ٢٣٦        |
| - أين توراة موسى ؟   | ٢٤٦        |
| ● الأهل الرابع : الايمان بالرسول   | ٢٤٩ - ٢٨٨  |
| - النبى والرسول  | ٢٥١        |
| - الرسل المذكورون فى القرآن خمسة وعشرون  | ٢٥١        |
| - أولو العزم من الرسل  | ٢٥٢        |
| - مفهوم الايمان بالرسول  | ٢٥٣        |
| - تفضيل بعض الرسل على بعض  | ٢٥٤        |
| - ماذا يجب علينا نحو الرسل   | ٢٥٥        |
| - الرسل بشر من جملة البشر  | ٢٥٦        |
| - الوحي ، وطرقه ، والحاجة اليه   | ٢٥٨        |
| - الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم   | ٢٦٠        |
| - مقتضى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم   | ٢٦١        |
| - ختمه للنبوّة والرسالة  | ٢٦١        |
| - خطأ دعوى ابن عربى والقاديانى   | ٢٦١        |
| - من دلائل وأعلام نبوته  | ٢٦٢        |

| الموضوع   | رقم الصفحة |
|---|------------|
| - من شمائله ، وأخلاقه ، وهديه                         | ٢٦٢        |
| - مكانة الرسل بين التوراة الحالية والقرآن الكريم :    | ٢٦٤ - ٢٨٨  |
| ١ - نوح - عليه السلام - في التوراة والقرآن            | ٢٦٥        |
| ٢ - لوط - عليه السلام - في التوراة والقرآن            | ٢٦٨        |
| ٣ - اسحاق ويعقوب - عليهما السلام - في التوراة والقرآن | ٢٧٢        |
| ٤ - موسى وهارون عليهما السلام - في التوراة والقرآن    | ٢٧٧        |
| ٥ - داود - عليه السلام - في التوراة والقرآن           | ٢٨١        |
| - مثل النعاج وكيف يفهم ؟                              | ٢٨٤        |
| ● الأصل الخامس : الايمان باليوم الآخر                 | ٢٨٩ - ٣٠٤  |
| - المراد باليوم الآخر                                 | ٢٩١        |
| - اليوم الآخر في القرآن الكريم                        | ٢٩٢        |
| - لماذا اهتمام القرآن باليوم الآخر                    | ٢٩٣        |
| - عقيدة البعث عقيدة الرسل كلهم من آدم الى محمد        | ٢٩٥        |
| - الفناء والاعادة ممكنان عقليان                       | ٢٩٦        |
| - أدلة الايمان بالبعث                                 | ٢٩٦        |
| ● الأصل السادس : الايمان بالقدر                       | ٣٠٥        |
| - المقصود بالقضاء والقدر                              | ٣٠٧        |
| - النهى عن التعمق والتنفير عن القدر وحقيقته وسره      | ٣١٠        |
| - ربط القدر بالاسباب والمسببات                        | ٣١١        |
| - درجات القدر   | ٣١٣        |
| - اقوال الغزالي والطحاوي والأجري في القدر             | ٣١٤        |
| - موقف الانسان أمام القدر                             | ٣١٧        |
| - أثر عقيدة القدر على المسلم                          | ٣١٩        |
| - كلمة ختامية   | ٣٢١        |
| - المصادر والمراجع                                    | ٣٢٢        |
| - محتويات الكتاب                                      | ٣٣٤        |
| - كتب للمؤلف  | ٣٤٢        |

## مؤلفات الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

أولاً: دراسات وبحوث.

- ١ — في مقارنة الأديان
- ٢ — الاسلام والنظر في آيات الله الكونية
- ٣ — القرآن والكون
- ٤ — مدخل نقدي لدراسة الفلسفة
- ٥ — في الفلسفة العامة: دراسة ونقد
- ٦ — الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة
- ٧ — تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم
- ٨ — الايمان
- ٩ — الأسباب والمسببات في الفكر الاسلامي
- ١٠ — الصوفية والعقل
- ١١ — ابن عربي: الرجل والمذهب
- ١٢ — منهج دراسة الأخلاق بين الأصالة والتبعية  
(بحث عن طه حسين)



## ثانياً: تحقيقات علمية

- ١ — إفحام اليهود (للسموأل بن يحيى المغربي)
- ٢ — الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل (للامام ابي حامد الغزالي)
- ٣ — المختار في الرد على النصارى (للجاحظ)
- ٤ — النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية (لنصر بن يحيى المتطيب)
- ٥ — رسالة راهب فرنسا الى المسلمين وجواب ابي الوليد الباجي عليها (تحقيق)
- ٦ — العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (دراسة وتعليق)

## ثالثاً: تعريب

ترجمة تعليق المستشرق جيمس. مونرو على وثيقة اندلسية عن سقوط غرناطة.

## تحت الطبع

- في مقارنة الأديان (الكتاب الثاني)
- تحقيق مسالك النظر في نبوة سيد البشر (السعيد بن الحسن الاسكندراني)
- في الفكر الاسلامي المعاصر (تحليل وتقييم).







